



ذاكرة الكتابة

108



ذكريات اللواء محمد صالح حرب

دراسة وتحقيق : د. أحمد حسن محمد الكنانى

مراجعة وتقديم : د. أحمد زكريا الشلق

ذكریات اللواء محمد صالح حرب

دراسة وتحقیق
د. أحمد حسن محمد الكنانی

مراجعة وتقديم
د. أحمد زكريا الشلق

وزارة الثقافة



تعنى بنشر أبرز الأعمال الفكرية والأدبية
والنقدية التي طبعت في بدايات القرن العشرين

• هيئة التحرير •

رئيس التحرير

د. أحمد زكريا الشلق

مدير التحرير

مسعود شومان

سكرتير التحرير

حامد أنور

علمة

ذاكرة الكتابة

تصدرها

الهيئة العامة لقصور الثقافة

رئيس مجلس الإدارة

د. أحمد مجاهد

أمين عام النشر

سعد عبد الرحمن

الإشراف العام

جمال العسكري

الإشراف الفني

د. خالد سرور

• ذكريات اللواء محمد صالح حرب

• دراسة وتحقيق،

د. أحمد حسن محمد الكنانى

• مراجعة وتقديم د. أحمد زكريا الشلق

• مراجعة لغوية،

عبد الحميد عيسى غازي

• الطبعة الأولى،

الهيئة العامة لقصور الثقافة

القاهرة - 2009 م

160 ص، 16 × 23,5 سم

• تصميم الغلاف، فكرى يونس

• رقم الإيداع، ١٩٢٥٢ / ٢٠٠٩

• الترقيم الدولي، 7 978-977-497-591

• الملاحظات،

باسم / مدير التحرير

على العنوان التالي، 16 شارع أمين

سامى - القصر العيسى

القاهرة - رقم بريدى 11561

ت، 27947891 (داخلى، 180)

• الطباعة والتتخير،

شركة الأمل للطباعة والنشر

ت، 23904096

الأراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة

بل تعبر عن رأى وتوجه المؤلف في المقام الأول.

• حقوق النشر والطباعة محفوظة للهيئة العامة لقصور الثقافة.

• يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن

كتاب من الهيئة العامة لقصور الثقافة، أو بالإشارة إلى المصدر.

ذكريات

اللواء محمد صالح حرب

7	- تقديم
11	- هذه الذكريات
27	١- عندما فقدت مذكراتي
31	٢- حكاية مقتل المجرم ياسين
41	٣- لماذا لم تدخل مصر الحرب العالمية الثانية
49	٤- الموقف على حدود مصر الغربية أثناء الحرب العالمية الأولى
57	٥- الاتصالات الإنجليزية بالسبب في أثناء الحرب العالمية الأولى
63	٦- محاولات جر السنوسى للإشتباك مع الإنجليز
75	٧- المقابلة الأولى مع السنوسى
83	٨- كيف أعلنت الثورة ضد الإنجليز فى عام ١٩١٥
91	٩- بداية المعارك العسكرية ضد الإنجليز فى الصحراء الغربية لمصر
109	١٠- رئاستى لجمعية الشبان المسلمين
117	١١- كيف سافرت مع السنوسى إلى تركيا
123	١٢- جهادى فى تركيا مع الحركة القومية التركية ضد اليونانيين
127	١٣- عينت قائدا عاما للجيش السنوسى
131	١٤- عندما رفعنا العلم المصرى على السلوم
137	- هوامش وتحقيقات
144	- العناوين الجانبية للذكريات
149	- ملاحق الصور

تقديم

لقد كان من دواعي غبطتي أن دعاني الصديق العزيز أ.د. جمال حجر إلى كلية الآداب جامعة الإسكندرية في صيف عام ٢٠٠٦ لمناقشة رسالة دكتوراه أعدها حينئذ أحد تلاميذه، وهو الدكتور أحمد الكتاني، تحت عنوان "محمد صالح حرب وبوره في القضايا الوطنية والإسلامية" وكانت أول دراسة علمية تتناول هذه الشخصية التاريخية؛ التي لعبت دوراً مهماً في تاريخ مصر والعالم العربي المعاصر، وبالرغم من أن الدراسة كانت تدور حول هذه الشخصية، إلا أنها تناولت جانباً مهماً من نضالها ضد العدوان الإيطالي على ليبيا منذ عام ١٩١١م، ذلك الدور الذي امتد لدعم الدولة العثمانية خلال سنوات الحرب العالمية الأولى ضد الإنجليز وحلفائهم، بل امتد دور اللواء صالح حرب إلى الاشتراك في حروب الحركة القومية التركية في الأناضول ضد الحلفاء واليونانيين في أعقاب الحرب الأولى .

الرجل إذن متعدد الأدوار فقد كان مشاركاً في جبهات المقاومة والجهاد الإسلامي، فضلاً عن دوره الوطني في مصر قبل الحرب وبعدها .. ومن هنا تكتسب شخصيته أهميتها التاريخية، ليس فقط من خلال دوره الوطني والقومي الذي قام به في دعم وتأييد حركة الجهاد الليبي ضد الغزو الإيطالي، ثم نضال الحركة القومية التركية (١٩١١ -

١٩٢٤) وإنما تكتسب هذه الشخصية أهمية جديدة عندما انتخب عضواً بمجلس النواب المصري (١٩٢٦ - ١٩٣٠) حين استطاع أن يثير ويناقش العديد من القضايا الوطنية خاصة ما يتعلق بالجوانب العسكرية مثل ضرورة تأمين الصحراء المصرية، وتسليح الجيش المصري وتحديثه، والمطالبة بإلغاء الامتيازات الأجنبية...

وكانت القضايا التي أثارها، مع خلفيته العسكرية وخبرته في ميادين القتال، قد أهلتة لكي يعين وزيراً للدفاع الوطني في وزارة علي ماهر (١٩٣٩ - ١٩٤٠) حين أخذ على عاتقه مهمة تطوير الجيش المصري وتحديثه ، والتصدي لنفوذ البعثة العسكرية البريطانية وثبتت أقدام العناصر الوطنية المصرية فيه، فضلاً عن محاولته مع علي ماهر تجنب مصر ويلات الحرب العالمية الثانية، وهي السياسة التي أدت إلى صدامه مع الإنجليز، وإن كان نشاطه مع عزيز المصري قد أثار الشعور الوطني داخل الجيش، خاصة لدى فئات الضباط الذين شكوا فيما بعد خلايا الضباط الأحرار وقادوا ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وعندما أسقط الإنجليز وزارة علي ماهر لم يشأ صالح حرب أن يكف عن النضال وإنما شرع يقاوم النفوذ البريطاني من خلال رئاسته لجمعية الشبان المسلمين منذ عام ١٩٤٠، وكان من المخططين لإنتقال عسكري، بالاشتراك مع رفيق نضاله عزيز المصري ويتأييد من الملك فاروق والألمان، كما هو معروف، وعندما وقع حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ اندد بموقف الإنجليز وجعل يحرض الضباط الشبان للإحتجاج على هذا الموقف المهيمن، مما أثار سلطات الإنجليز في مصر وجعلها تعتقله وتحدد إقامته بين عامي ١٩٤٢ و ١٩٤٥ لكنه لم يلق، ورفض مساومة الإنجليز لمنحه حريته مقابل تركه رئاسة جمعية الشبان المسلمين، وقد سجل التاريخ له دوراً وطنياً جديداً عندما دعا إلى تكوين تنظيمات من الشباب وقام بجهود كبيرة في تنظيم وتدريب كتائب الفدائيين لمقاومة الإنجليز في منطقة القناة عام ١٩٥١.

وقد لفت نظري عند مناقشة رسالة الدكتور أحمد الكتاني أنه استعان بذكريات كتبها اللواء صالح حرب، وعرفت منه أنه جمع حلقاتها من مجلة الشبان المسلمين، فافتحرت عليه إعدادها للنشر وتزويدها بما يستطيع من التحقيقات تمهيداً لنشرها بشكل مستقل ولتكون مصدراً من مصادر التاريخ المعاصر، وقد استجاب لذلك مرحباً، وأنجز هذا العمل الذي تشرف هذه السلسلة بنشره في هذا العدد ليكون متاحاً للدارسين والمثقفين جميعاً.

ولست أحب أن أسبق القراء الكرام إلى عرض أفكار هذه الذكريات حتى لا أضيع عليهم متعة قراءتها أو أحول بينهم وبين كاتبها، لكن حسبي أن أشير إلى أهميتها فيما تضمنته من شهادة على دعم مصر لحركة الجهاد الليبي ومعارك الصحراء وتفصيلها وكذلك مقاومة الأتراك سياسياً وعسكرياً، ودور الحزب الوطني في هذا الشأن .. وكذلك إباطتها اللثام عن مشروع بريطاني يستهدف تكوين إمبراطورية بريطانية في إفريقيا، تعتمد من السلوم حتى جنوب القارة، وكيف استطاع صالح حرب ورفاقه فك شفرات المراسلات البريطانية لخطة هذا المشروع وإفسادها، فضلاً عن جهوده ورفاقه للحفاظ على الأراضي المصرية من السلوم إلى حدود السودان.

ومن الموضوعات المهمة والمثيرة التي قدمت هذه الذكريات شهادة بشأنها تأتي مسألة إشعال صالح حرب للثورة ضد الإنجليز في أواخر عام ١٩١٥ وانضمامه إلى القوات السنوسية، حيث كان قائداً للقوات المصرية في الصحراء والواحات، وظل يقود حركة المقاومة ضد الإنجليز حتى أواخر عام ١٩١٨ وربما كانت هذه أول ثورة عسكرية يقوم بها مصري ضد الإنجليز منذ عام ١٨٨٢ وقد استطاع خلالها قيادة عمليات عسكرية ضد الإنجليز بعد أن استولى على الواحات، وكبد الإنجليز خسائر فادحة في العتاد والأرواح. ويتابع صالح حرب في ذكرياته الحديث عن نشاطه على الجبهة التركية بعد أن انتقل إلى استانبول في أعقاب الحرب العالمية الأولى وحتى بروز الحركة الكمالية فقدم روايات وشهادات عن مشاركته للحركة القومية التركية في الأناضول، حيث كان ينظر إليها باعتبارها حركة جهاد إسلامي، في بداية نشأتها، كما لعب دوراً في تكوين الجيش التركي الحديث وساهم في معاركه، حيث كان ينظر إلى مصطفى كمال باعتباره قائداً وطنياً ينقذ بلاده من قوات الاحتلال.

وأخيراً فإن هذه الذكريات تمدنا بمعلومات جديدة عن نشاط جمعيات الشبان المسلمين ونشاطها الوطني خلال الأربعينيات، خاصة فترة رئاسته لها، مما يعد مصدراً من مصادر دراسة الحركات الدينية في مصر المعاصرة..

وسوف نلاحظ أن صالح حرب لم يلتزم السياق التاريخي في تسلسله الزمني عندما بدأ في نشر هذه الذكريات، ففي الحلقة الثالثة انتقل إلى الحديث عن موقف مصر خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٤)، لكنه لم يلبث أن عاد إلى الحديث عن نشاطه خلال الحرب

العالمية الأولى ملتزماً بالسياق التاريخي.. وثمة ملاحظة أخرى تتمثل في أنه كان يكتب حلقات ذكرياته بنفسه كراوية لها حتى الحلقة التاسعة، وأنه سجل ما تبقى منها في شكل أحاديث صحفية فأتخذت شكل حوار بينه وبين محرر الصحيفة.

ولا ينقص ذلك من أهمية هذه الذكريات وقيمتها التاريخية، باعتبارها شهادة عن دور مهم قام به صاحبها.. عبر مراحل متعددة من حياته الخصب، بما تضمنته من معلومات جديدة، وآراء جديرة بالدرس والاهتمام، فتحية إلى روح محمد صالح حرب قائداً وطنياً مخلصاً ، ومناضلاً ضد الاستعمار، ومدافعاً عن قضايا العروبة والإسلام.

والله المستعان

د. أحمد زكريا الشلق

القاهرة في ٩ أغسطس ٢٠٠٩

هذه الذكريات

دراسة: د.أحمد حسن الكنانى

تعد المذكرات والذكريات مصدرا مهما من مصادر الكتابة التاريخية، وذلك لأنها تسجل تجربة المرء الشخصية ومشاهداته وما سمعه بأنثيه، وما قام به من أعمال، سواء سجل في وقته ويومه، أو سجل بعد أن يصبح نكرى.

وبطبيعة الحال فإن ما يسجل في يومه ووقته يكون عادة أكثر دقة مما يسجل بعد أن تمضى عليه فترة من الزمن، وفي الوقت نفسه فإن ما يسجل في وقته ويومه يكون أقرب إلى الواقع وأبعد عن التبرير والدفاع عن النفس. ومذكرات اللواء صالح حرب هي من نوع الذكريات التي كتبت بعد فترة من الزمن، وبالتالي فهي تحمل وجهة نظره الخاصة فيما قام به من أعمال، كما أنها تسلط الضوء على أحداث مهمة في التاريخ المصرى الحديث والمعاصر وحركة الجهاد الإسلامى فى كل من ليبيا وتركيا، من خلال اشتراكه فيها وارتباطه بزعماء العالم الإسلامى من عام ١٩١١ إلى عام ١٩٦٧، وهى فترة بالغة الأهمية تكشف الغطاء عن صفحات مطوية من جهاد فريق من أبناء مصر، بذلوا العون لإخوانهم فى العروبة والإسلام فى النصف الأول من القرن العشرين، وتجاهل الإنجليز جهادهم عمداً، وطمسوا حقيقته فى مقاومة الاستعمار.

والجدير بالذكر أن صالح حرب (١٨٨٩ - ١٩٦٨)، كان حريصا على تدوين مذكراته

منذ تخرجه فى سلاح الحدود ١٩٠٣م، إلا أن تلك المذكرات فقدت ثلاث مرات وذلك بسبب حياته العسكرية غير المستقرة، وقد أشار صالح حرب إلى ذلك فى بداية نكرياته، فذكر أن مذكراته الأولى تبدأ منذ ترقيته برتبة ملازم ثان إلى أن بلغ رتبة اليوزباشى (نقيب) وصار قائدا لأساس الهجانة والسواحل والحدود بمرسى مطروح، وتنتهى ليلة إعلانه الثورة على الإنجليز فى ٢٦ نوفمبر سنة ١٩١٥ حيث ضاعت مذكراته الأولى عندمانسيها فى سكنه بثكنة مرسى مطروح، أما مذكراته فى المرة الثانية والتي تبدأ منذ إعلان الثورة على الإنجليز وحتى موقعة «أورفلة» ضد الإيطاليين سنة ١٩١٧م، فقد ضاعت مع استشهاد ياوره إبراهيم عوض الذى كانت المذكرات فى حوزته. أما مذكراته فى المرة الثالثة والتي كانت تبدأ منذ وصوله سنة ١٩١٨م إلى استانبول وحتى تم النصر للحركة التركية بقيادة مصطفى كمال، فقد تركها فى حوزة ضابط طرابلسى صديق وعاد إلى مصر فى سنة ١٩٢٤م، ولكن هذا الضابط توفى.

ويسبب فقدان صالح حرب لمذكراته، أحجم عن كتابة المذكرات بعد ذلك، واكتفى بكتابة الذكريات اعتمادا على الذاكرة، وهى الذكريات التى بين أيدينا.

نشرت تلك الذكريات فى مجلة الشبان المسلمين فى فترات متباعدة^(١)، وذلك بسبب انشغال صاحبها- بحكم منصبه رئيسا عاما لجمعية الشبان المسلمين- بقضايا العالم العربى والإسلامى من ناحية، ومن ناحية أخرى اشتداد المرض عليه حتى توقفت تماما فى عام ١٩٦٦.

وقد نوهت المجلة أنها سوف تنشر حلقات جديدة من تلك الذكريات، بيد أن المرض اشتد على صالح حرب مما اضطره إلى تقديم استقالته من رئاسة الجمعية فى إبريل ١٩٦٧، وتوفى فى يناير ١٩٦٨، فتوقفت بذلك بقية الذكريات.

وتتكون هذه الذكريات من أربع عشرة حلقة، ولها عناوين جانبية فى كل حلقة، ومزودة بـصور ووثائق^(٢)، ويتميز أسلوبها بدقة الوصف والبلاغة الأدبية^(٣). ولم يلتزم راويها الترتيب التاريخى، ولكنها مرتبة ومسلسلة حسب المواضيع والأحداث التاريخية التى عاصرها أو شارك فيها سواء بالجهاد أو الاستشارة أو صنع القرار^(٤). ومن الأهمية بمكان ملاحظة أن هذه الذكريات لم تكتب بغرض تضخيم الذات أو تبرير لموقف أو افتعال لدور أو تجن على شخصيات تاريخية، وإنما لتكون شهادة للتاريخ ومثل يمكن تقديمه لأبناء العروبة والإسلام.

وبوجه عام، تعد هذه الذكريات صفحات مضيئة لجهاد ونضال صالح حرب وفريق من أبناء مصر، ولعل هذا أكبر دافع لإعادة نشرها لكشف الستار عن جهاد ذلك الفريق في فترة مهمة من فترات الكفاح للتحرر من الاستعمار في التاريخ الحديث سواء في مصر أو ليبيا أو تركيا. هذا بالإضافة إلى رفع الغبن الواقع على صالح حرب كشخصية تاريخية تميزت بالاتجاه الوطني والإسلامي، في حين نال أقرانه (عزيز المصري وعبد الرحمن عزام على سبيل المثال) حقهم من الدراسات التاريخية المختلفة^(هـ).

ويجب الإشارة والتنويه إلى أنه لا يمكن الفصل بين ذكريات صالح حرب، وشخصيته فالارتباط بينهما شديد وهو ما يشكل إحدى الظواهر السياسية والعسكرية في تاريخ مصر الحديث والمعاصر. ونظرا لهذا الارتباط فإنه من الطبيعي قبل التعرض لدراسة هذه الذكريات وإلقاء الضوء على أهميتها أن نعرف بصاحبها بإيجاز شديد.

والواء محمد صالح حرب شخصية بارزة في عالم العسكرية المصرية، وفي عالم السياسة المصرية والعربية والإسلامية، فقد كان نائبا برلمانيا في الفترة من (١٩٢٦ حتى ١٩٣٠م) ووكيلا لمصلحة السجون بين عامي (١٩٣٠ و ١٩٣٩) ومديرا لخفر السواحل من (يناير ١٩٣٩ - أغسطس ١٩٣٩م)، ووزيرا للدفاع في وزارة على ماهر الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٠)، ثم رئيسا للمركز العام لجمعيات الشبان المسلمين من عام ١٩٤٠ حتى ١٩٦٧. وتبين لنا سيرته انه ولد في جزيرة «الحرياب» إحدى قرى مركز «براو» في مديرية أسوان سنة ١٨٨٩ (٦)، وكان جده (محمد بك علي) مهندسا عسكريا برتبة البكباشي (المقدم) ولقد أرسلته السلطات المصرية إلى السودان لعمل الاستحكامات الحربية. وعندما استتب الأمر لمصر هناك اتخذ دنقلة مقاما له حيث تلقى ولده (صالح) تربية هيئته لأن يكون حاكما عادلا لخط دنقلة فأصهر إليهم ووصل رحمه بأشرافهم، حيث تزوج من (شلباية) ابنة مصطفى عثمان كيكي أم محمد صالح حرب^(٧)، ولم تتجب غيره. وعندما قامت الثورة المهدية في السودان رحل (صالح) بأهله إلى أسوان حيث تم تعيينه مديرا للجباخانة، وهناك أنجب ابنه محمد صالح حرب. وقد توفيت والدته ودفنت في أسوان، وتزوج والده من السودان من عائلة (قناوى) وأنجب منهم، وبذلك أصبح لمحمد صالح حرب إخوة في السودان^(٨). ولهذا كان يطلق عليه (ابن النيلين) و (ابن مصر والسودان)^(٩).

تلقى محمد صالح حرب تعليمه الأولي من مبادئ القراءة والكتابة بمكتب القرية واشتهر بين أقرانه بمتانة حفظه للقرآن، فكان ذلك أهم عامل في تكوينه الإسلامي منذ الصغر. وعندما التحق بمدرسة أسوان الابتدائية، جمعه مع (عباس العقاد) فصل واحد (١٠)، وفي تلك الفترة ظهرت تطلعات صالح حرب المبكرة نحو القيادة، فلم يكن يطلب من الله شيئا أثناء دعائه في ليلة القدر إلا أن يكون قائدا عظيما (١١) ولقد تأثرت شخصيته تأثرا كبيرا بأساتذة المدرسة، إذ كان مدرس التاريخ يشجع على إثارة شعور الغيرة لدى التلاميذ الصغار ضد الاحتلال الإنجليزي. وبعد أن أتم دراسته الابتدائية سافر إلى القاهرة والتحق بمدرسة العباسية الثانوية، حيث ظهرت ميوله للقراءة والبحث والاطلاع، وكذلك حبه للرياضة والنشاط، مما دفعه إلى الالتحاق بالمدرسة الحربية، ولكن المدرسة الحربية في تلك الفترة امتنعت عن قبول طلاب جدد فالتحق بمدرسة خفر السواحل وتخرج فيها في سنة ١٩٠٣. وبعد تخرجه عين في وظيفة ضابط حدود بخفر السواحل برتبة ملازم ثان، ثم رقى إلى رتبة ملازم أول في غير دوره تقديرا له حين قبض على عصابة كبيرة للمخدرات (١٢).

ويعد صالح حرب أول مصري يرقى قومنداننا لقسم الضبعة وهو ملازم أول، وهو ما يدل على كفاءته، وفي تلك الفترة أتيحت له فرصة دراسة أخلاق العرب الضاربين في تلك الأنحاء ومعرفة أصولهم وعواندهم، مما أدى إلى توثيق صلته بالعرب في الصحراء الغربية. وبسبب ما تجلى في عمله من المقدرة وحسن الإدارة رقى في عام ١٩١٢ إلى رتبة اليوزياشي (القيب)، وفي أوائل ١٩١٤ عين قومنداننا لقسم مرسى مطروح. وأصبح الحاكم العسكري والمدنى لمنطقتى مرسى مطروح وسيوه.

ومما سبق يتضح لنا أن نشأته الدينية، وظروف تعيينه في الصحراء الغربية وكفاءته، قد أدت إلى ارتباطه بتيار الجامعة الإسلامية في تلك الفترة التاريخية (١٣)، مما كان له عظيم الأثر في ارتباطه بحركة الجهاد في ليبيا ثم بحركة الجهاد الإسلامي في الأناضول. ومن خلال الذكريات نكتشف بحق الخط الوطنى الإسلامى لكاتبها في وقت لم يشد فيه بعد عود الحركة الوطنية. فتجد انه بحكم منصبه كضابط بالصحراء الغربية في سلاح خفر السواحل يقوم بتهريب الأسلحة والمؤن والقادة إلى ليبيا لمقاومة الغزو الإيطالى، وأن موقعه هذا كان ذا أهمية كبيرة لزعماء الحزب الوطنى فى مصر وفى مقدمتهم الأمير عمر طوسون وعبدالعزیز جاویش. ومن هنا بدأ صالح حرب تدوين ذكرياته منذ الغزو الإيطالى

للليبيا عام ١٩١١، وهى ذكريات مهمة توضح دور الحزب الوطنى وقيادته فى مساعدة المجاهدين الليبيين بإمدادهم بالمؤن والسلاح، وفى التنسيق مع القيادات التركية بتهريب القواد الأتراك لتدريب الليبيين. وتؤكد مذكرات أنور باشا التاريخية الدور الذى لعبه صالح حرب فى تهريب العسكريين الأتراك إلى برقة وطرابلس عندما كان قومنداناً لفرقة عسكرية مرابطة فى الغرب(١٤)، وهذا الأمر قد أكدته السفير الإيطالى فى لندن المركزى اميرالى (Marqu Amperiali) للحكومة البريطانية حيث نكر «إن الحكومة الإيطالية تلقت تقارير تؤكد أن نحو مائة ضابط تركى متتكرين فى زى البدو نجحوا فعلا فى العبور إلى برقة من مرسى مطروح وأن رحلتهم قد لقيت تسهيلات كبيرة من خفر السواحل المصريين(١٥)، وكان لصالح حرب الدور الأكبر فى هذه التسهيلات بحكم منصبه، وفى ذلك يقول: «كنت أخفى هؤلاء القادة والضباط الأتراك فى بيتى وكنا ننبه على الدوريات التى فى الخدمة بأن تسهل مرورهم»(١٦).

لم يقتصر دور صالح حرب على تهريب العسكريين الأتراك، وإنما امتد إلى تهريب المؤن والذخائر إلى المجاهدين الليبيين، فعندما اشتكت إيطاليا من وجود الضباط المصريين على رروس الدوريات، استبدل ضباط إنجليز بالضباط المصريين، الأمر الذى ساعد أكثر على تهريب المؤن والذخائر، وفى ذلك يقول: «هذا كان باب فرج لمضاعفة الجهود؛ لأن وجود هؤلاء الضباط الإنجليز رفع عن الضباط المصريين مسئوليات كثيرة، كما أن هؤلاء الانجليز لم يكونوا على علم كاف بالصحراء وأسرارها فأصبح التهريب أكثر سهولة(١٧).

وعندما أنشئ الهلال الأحمر بمساعدة الأمير عمر طوسون، توافدت القوافل والمؤن والأدوات الطبية لعلاج الجرحى والمصابين، فأرسل صالح حرب رسالة إليهم يطالبهم بإرسال الأسلحة والذخيرة مفككة فى أجولة الأرز والدقيق، وبالفعل وصلت هذه الأسلحة رغم الرقابة الشديدة التى فرضها الإنجليز(١٨). ويؤكد الضابط محمود لبيب فى مذكراته الصلة الوثيقة بين صالح حرب واليوزباشى البحرى (محمد فهمى أبو ميمز)، الذى لعب دورا كبيرا فى تهريب الأسلحة من تركيا بحرا إلى مصر (جهة العميد بالصحراء الغربية) ومنها بدأت رحلة تهريب السلاح إلى المجاهدين عن طريق صالح حرب، وعندما شعرت إنجلترا بهذه الخطة خرجت رسالة شفوية من كتشنر «Kitchener» فى القاهرة إلى هانتر - Hunt- قائد عام سلاح الهجانة بالسلوم تحمل هذا المعنى: «خرج من جهة العميد ثلاثمائة جمل

محملة بالسلح والذخيرة ووجهتها الغرب، فاعمل كل المحاولات لضبطها وعدم إفلاتها» (١٩). ولم يتردد صالح حرب فى تهريب هذه الحملة إلى المجاهدين ونكر لزملائه الضباط أنه لابد من تهريبها حتى لو أدى الأمر إلى انضمام الضباط والجنود المصريين إلى صفوف المجاهدين بلا عودة.

ولم يدرك «هانتز» الدور الذى يلعبه صالح حرب فى الخفاء لتهريب المؤن والسلح، فكان أن انتخبه على رأس قوة من الهجانة السودانيين قوامها ثمانون جنديا بقيادة القائمقام «موريس بك» لتعقب هذه الحملة وضبطها، فاستطاع صالح حرب أن يخدع موريس بك عن طريق الاستعانة بأعرابيين كانا على اتصال برجال الحملة، وتمكن الأعرابيان من خداع موريس بك، وأقنعاه بأن من الصعب والمخاطرة تعقب هذه الحملة فكان أن قرر العودة إلى معسكر السلوم. وبهذه الحيلة وصلت الحملة إلى معسكرات المجاهدين (٢٠).

وتضيف لنا الذكريات جديدا بذكرها حادثة تاريخية مهمة، لم تذكرها المصادر العربية أو الأجنبية من قبل، وهو المخطط الذى كانت إنجلترا تعمل على تنفيذه وهو مشروع تكوين إمبراطورية إفريقية تمتد من السلوم إلى جنوب إفريقيا، وأطلقت عليه اسم مشروع (كيباتاون - السلوم) وذلك برفع العلم الإنجليزى على السلوم قبل الحرب العالمية الأولى، واستطاع صالح حرب وزميل جهاده محمود ليبب فك الشفرة السرية للتفرغات المتبادلة بين (كتشنر) و (هانتز) بخصوص هذا المشروع، وتمكن مع زملائه ضباط وجنود خفر السواحل من إحباطه ورفع العلم المصرى على السلوم، وبذلك أمكن المحافظة على أرض مصرية تمتد من السلوم إلى حدود السودان وتبلغ مساحتها ٧٥ ألف كيلو متر.

ومن ناحية أخرى، تسلط الذكريات الضوء على الوضع على الجبهة الطرابلسية مع نشوب الحرب العالمية الأولى، وعلى الخطة التى رسمها الأتراك والألمان باشتراك السيد أحمد السنوسى معهم فى الهجوم على حدود مصر الغربية وتجهيز حملة لهذه الغاية، وذلك بغرض تكبيد إنجلترا قدرا من الخسائر يضطرها لتحويل جزء من قواتها العسكرية على الحدود المصرية الغربية عن القوى الألمانية والتركية فى جبهات أخرى. ويتضح من الذكريات أن رأى السنوسى كان يتعارض مع مشروعات الحملة على حدود مصر الغربية، خاصة وأن القوات السنوسية لم تكن فى وضع عسكري يسمح لها بالاشتراك فيها. ومن

جانب آخر أوضح صالح حرب تفاصيل الدور الذي لعبه القائدان التركيان جعفر العسكري ونورى باشا للزج بالسنوسى فى هذه الحملة دون الاستعداد الكافى، وتبديرهما الخطط لفصم العلاقات القائمة بين السنوسى والإنجليز، ولما كان صالح حرب على وعى بدور كل من جعفر ونورى للزج بالسنوسى فى هذه المعارك دون الاستعداد، فقد استطاع أن يحبط خططهما، كما استطاع أن يحبط مؤامرتهما التى تسببت فى انشقاق الأسرة السنوسية (السيد السنوسى وأخيه هلال)، وأن يرأب الصدع بينهما.

ومن الأهمية بمكان أن نشير إلى حادثة تاريخية تناولتها الذكريات بالتفصيل ولم تبرزها المصادر العربية أو الأجنبية من قبل، ألا وهى قيام صالح حرب بالثورة ضد الإنجليز فى نوفمبر ١٩١٥م، فقد نجح جعفر ونورى فى الدفع ببعض العناصر من القوات السنوسية للهجوم على السلوم وسيدى برانى دون علم السنوسى، مما جعل الإنجليز يعتقدون باقتناع السنوسى بخطة القواد الأتراك، فاتخذوا الاستعدادات للقضاء على القوات التركية - السنوسية كى يتفرغوا للحملة التركية القادمة من الشرق عن طريق قناة السويس، وهذا الأمر جعل موقف صالح حرب صعبا، إذ كان القائد الوحيد فى الصحراء الغربية الذى يعلم مدى قوة الإنجليز وتصميمهم على سحق القوات التركية - السنوسية فاقترضى الأمر أن يحدد موقفه بسرعة، فكان من الطبيعى كقائد مسلم أن ينضم ومعه بعض القوات المصرية إلى القوات السنوسية.

ولم يكن انضمام صالح حرب للقوات السنوسية وليد اللحظة إذ أن تلك الفكرة كانت فى ذهنه منذ إعلان الإنجليز الحماية على مصر (٢١). ومن ناحية أخرى، كان الإنجليز يخشون من انضمام صالح حرب إلى السنوسى، ولهذا حاولوا منع صالح حرب إجازة مفتوحة، ولكنه رفض، واستطاع أن يحشد عددا من قبائل (أولاد على) للانضمام إلى السنوسى، وأعلن الثورة فى ٢٧/١١/١٩١٥ فى صحراء مصر الغربية، وكانت هذه الثورة هى البداية الحقيقية للمعارك التى نشبت بين الإنجليز والقوات التركية - السنوسية المشتركة، حيث اشترك مع السنوسيين والأتراك فى محاربة الإنجليز فى الصحراء الغربية وانفرد بالقيادة فى صحراء مصر وواحاتها عندما انهزم نورى شقيق أنور باشا وانسحب إلى برقة، وأسر جعفر، وبقي صالح حرب وحده يناوئ الإنجليز إلى سنة ١٩١٨.

وتعد هذه الثورة هى أول ثورة عسكرية يقوم بها مصرى ضد الإنجليز منذ الاحتلال

البريطاني لمصر عام ١٨٨٢، وأول ثورة مسلحة قبل ثورة ١٩١٩.

وقد استطاع صالح حرب الدخول في حرب عصابات ضد الإنجليز بعد استيلائه على الواحات (١٩١٦-١٩١٨) حيث عينه السنوسي قائدا عاما لقوات المجاهدين وأن يكبد الإنجليز خسائر مالية بلغت ستة وخمسين مليون جنيه، حسب تقدير جريدة التيمس البريطانية بالإضافة إلى احتجاز قوات كبيرة من الإنجليز كانوا في أشد الحاجة إليها لاستخدامها في الدردنيل وقدرت بخمسة وثلاثين ألف جندي(٢٢).

وعندما فشلت آخر حملة للجيش العثمانية على قناة السويس، انسحب صالح حرب وقواته من الحدود المصرية بعد آخر موقعة بينه وبين الإنجليز في واحة (قرية) غرب سيوه، واضطرتهم ظروف الحرب إلى الرحيل غريا.

لقد فرضت تطورات الأحداث على السيد أحمد السنوسي أن يذهب ومعه صالح حرب إلى الأستانة بحثا عن مساعدة الأتراك لهم في استرداد نفوذه في منطقة طرابلس حيث إن زعيمهم (رمضان السويطي) رفض الاعتراف بسلطة السيد أحمد السنوسي كممثل للسلطان العثماني في منطقة طرابلس، بيد أن الأمور سارت بهما في مجرى آخر، حيث كانت الحركة الوطنية التركية في مرحلة المخاض، وهي الحركة التي قادها مصطفى كمال بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، فرأى السلطان أن يغادر السيد السنوسي ومعه صالح حرب الأستانة قبل أن يدخلها الحلفاء، فاتجها إلى مدينة (بروسة) في الأناضول.

ويمكن القول إن ذكريات صالح حرب تعد مصدرا مهما عن تطورات الأحداث في تركيا منذ نهاية الحرب العالمية الأولى وهي الفترة التي تعرف باسم حركة التحرير الوطنية التركية، إذ كان صالح حرب شاهدا عيانا لها ومشاركا فيها.

ففي تلك الفترة، برز اسم مصطفى كمال (الذي عرف فيما بعد باسم أتاتورك) واستطاع أن يقود تلك الحركة في البداية تحت راية الإسلام، فكان من الطبيعي أن يسعى لضم السيد السنوسي في حربه ضد (الكفار)، فيكتب إليه خطابا يفيض وطنية وغيرة على الإسلام، ويتبين من الذكريات مدى إعجاب صالح حرب الشديد بوطنية وغيرة مصطفى كمال الإسلامية في البداية، وهو ما يتضح من وصف صالح حرب لخطاب مصطفى كمال

بقوله: «أنه خطاب لا يكتبه إلا مسلم مؤمن شديد الإيمان إلى حد التصوف» (٢٣).

ومن الواضح أن ذلك الخطاب قد ترك تأثيراً قوياً في السيد السنوسى وصالح حرب، مما حملهما على الانضمام إلى الحركة الوطنية التركية وتأييد مبادئها. وقد أفاض صالح حرب في ذكرياته عن دوره في تكوين الجيش التركى الحديث واشتراكه في المعارك العسكرية التي قادها ذلك الجيش حتى النصر. كما تبرز الذكريات دور السنوسى وصالح حرب في مسألة الوفد العراقى الذى كان موفداً من الحكومة الثائرة فى العراق لضم السنوسى وصالح حرب إلى مقاومة الإنجليز.

ويتضح من الذكريات إعجاب صالح حرب الشديد بمصطفى كمال كقائد عسكري استطاع أن ينقذ تركيا من براثن المحتلين الأجانب، ولهذا كان دائم الاستشهاد فى خطبه ببطولات الشعب التركى وقواده من أمثال مصطفى كمال وعصمت اينونو (٢٤). ومن ناحية أخرى، توضح الذكريات مدى تقدير مصطفى كمال لجهود صالح حرب فى حرب التحرير التركية، عندما أصدر أمراً بدخول صالح حرب كلية أركان الحرب التركية (٢٥)، وهو ما يمثل تقديراً كبيراً لصالح حرب إذ كانت تلك الكلية لا يدخلها إلا الأتراك فقط.

وتنبغى الإشارة إلى أن تلك الذكريات هى مصدرنا الوحيد فى اللغة العربية عن دور صالح حرب فى الحركة الوطنية التركية، والأمل معقود على إبراز ذلك الدور بشكل أوسع من خلال الوثائق التركية.

وكم كنا نتمنى أن يستكمل صالح حرب ذكرياته ليتناول فترة مهمة فى حياته عندما عاد إلى مصر عام ١٩٢٤ بعد إصدار العفو عن المسجونين السياسيين فى عهد وزارة سعد زغلول، وأصبح نائباً برلمانياً من عام ١٩٢٦ إلى ١٩٣٠، ليصبح بذلك أول ضابط سابق برتبة صغيرة يصل إلى مجلس النواب عن طريق الانتخاب وليس التعيين (٢٦). وكانت آراؤه ومقترحاته فى المجلس تهدف إلى تحقيق استقلال مصر اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وإلى جلاء الإنجليز، وتجلى ذلك فى مطالبته بإلغاء الامتيازات الأجنبية والمطالبة بالجلاء التام وإصلاح التعليم، ومشروعه الاقتصادى الكبير بتوليد الكهرباء من خزان أسوان (٢٧).

والأمر كذلك بالنسبة لدوره فى وزارة الدفاع فى الفترة من عام ١٩٣٩ إلى عام ١٩٤٠م، وهى الفترة التى عمل فيها على تحديث الجيش المصرى ومقاومة نفوذ البعثة

العسكرية البريطانية وبت الروح الإيمانية والمعنوية فى الجيش والشعب، وتوطيد أقدام القيادات الوطنية فى الجيش المصرى.

وإذا كان صالح حرب قد ألقى الضوء فى ذكرياته على الحرب العالمية الثانية والأسباب التى أدت إلى اتخاذ سياسة تجنب مصر ويلات الحرب، وكذلك موقفه وموقف جمعية الشبان المسلمين من حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ إلا إنه لم يتناول الدور الذى قام به مع عزيز المصرى للتخطيط لطرد الإنجليز من مصر بالقوة العسكرية بمعاونة الألمان وموافقة كل من الملك فاروق وعلى ماهر، وهى الخطة التى أظهرتها الوثائق الألمانية فيما بعد(٢٨).

أما الفترة الممتدة من عام ١٩٤٠ وحتى وفاته عام ١٩٦٨، وهى فترة طويلة وحافلة بالعمل الوطنى والإسلامى فى حياة صالح حرب، وذلك من خلال رئاسته لجمعية الشبان المسلمين، ولو تناولها صاحبها فى ذكرياته، لألقت أضواء كثيرة على دوره فى القضايا الوطنية والإسلامية. ففى هذه الفترة استطاع تأنيث دوره على المستوى الإسلامى والمستوى الوطنى، فعلى المستوى الإسلامى، صارت الجمعية موقلاً للمؤتمرات الإسلامية، ومنبراً يعبر عن الشعور الإسلامى كلما حدث حادث، ومناراً عاماً للأمم الإسلامية، ومركزاً إسلامياً مهما لإلقاء المحاضرات والقصائد، وأنشأت الجمعية فى عهده مسرحاً إسلامياً تمثل عليه الروايات الإسلامية، كما أصبحت ملجأ لكل مسلم مضطهد، حيث ساعدت الجمعية زعماء البلاد العربية والإسلامية المضطهدين بكل الوسائل المتاحة.

أما على المستوى الوطنى، فقد وجد صالح حرب أن مصيبة مصر فى الفرقة والتنازع بين الأحزاب المختلفة، لهذا وجه نداء باسم الجمعية عام ١٩٤١ لجميع القادة والزعماء للاتحاد فى ظل الظروف العصيبة التى كانت تمر بها مصر، وكان حسن البنا أول من لبى هذا النداء ببيان طالب فيه الأحزاب بتأييد دعوة صالح حرب.

ومن ناحية أخرى فقد تصدت الجمعية لمحاولات التبشير، واستطاع صالح حرب أن يجمع الشباب والعمال المصريين فى بوتقة واحدة للكفاح من أجل قضية مصر الأولى، ألا وهى قضية الجلاء ووحدة وادى النيل، وفى هذا الصدد تشير الوثائق البريطانية إلى أن تولى صالح حرب للجمعية قد مكنه من استغلال منصبه فى تدعيم الثورة المعادية للإنجليز(٢٩).

ورغم أن الذكريات فى جملتها سياسية إلا إنها لاتخلو من بعض اللمحات الاجتماعية

التي يمكن ان توضح لنا بعض التقاليد الاجتماعية السائدة في أوائل القرن العشرين، فعلى سبيل المثال يصف صالح حرب حالة الضباط المصريين أثناء ركوبهم القطار حيث إن هؤلاء الضباط من رتبة (اليوزباشي) فقلل كانوا يركبون عربات الدرجة الثانية مع ضباط الصف والأنفار الإنجليز أما الضباط الإنجليز من أصغر الرتب إلى أكبرها فيركبون عربات الدرجة الأولى، وهذه الحالة قد أزعجت صالح حرب واستطاع ان يستصدر أمرا من (على ماهر) رئيس الوزراء يركب جميع الضباط المصريين بموجبه عربات الدرجة الأولى، ونفذت هذه التعليمات وشملت فيما بعد ضباط البوليس. كما يصف الحالة السائدة مع أهل سيوه والذين لم يروا في حياتهم سيارة تمشي على الأرض وعندما شاهدوا سيارة صالح حرب (ماركة فورد) وأخذ الأهالي يتمسحون فيها ويصفونها بأنها (جنية)، ووصفها البعض (بالبراق). كما يصف في تذكياته عادة قبائل أولاد على في صحراء مصر الغربية حيث كانوا يعتقدون تخزين جزء من محصول عامهم من الشعير ليكون تقاو في العام التالي وهذا المحصول كان التموين الأساسي لقوات السنوسيين والأتراك في حربهم ضد الإنجليز.

ويمكن القول في الخاتمة إن هذه التذكيات قد أوضحت الكثير من الحقائق التاريخية وبخاصة في حركة الجهاد السنوسي ومعارك الصحراء الغربية، وبور صاحب التذكيات في هذا الجهاد، ورفع العلم المصري على السلوم، وتفاصيل الثورة التي قادها ضد الإنجليز في عام ١٩١٥م، وبور قبائل أولاد على الذين انضموا لتلك الثورة وانتقام الإنجليز من مشايخ وعمد هذه القبائل، وتفاصيل المعارك التي قادها صالح حرب في الصحراء الغربية وكذلك تعد هذه التذكيات مصدرنا الوحيد عن دور صالح حرب في حركة الجهاد الإسلامي في الأناضول بقيادة مصطفى كمال.

وفي اعتقادي أن نشر هذه التذكيات يحقق هدفين: الأول توضيح حقائق تاريخية تضيف الجديد إلى تاريخ تلك الفترة، والثاني إبراز الدور الذي قام به صالح حرب في المجال الوطني والإسلامي، وهو دور ظل ممتدا حتى وفاته عام ١٩٦٨م.

هوامش الدراسة

- ١- بدأ نشر الذكريات من يونيو ١٩٥٧ وتوقفت في ١٩٥٩ فتوالت البرقيات إلى مجلة الشبان المسلمين من القراء في مصر والعالم الإسلامي تطالب بنشر بقية الحلقات، فعادت في ١٩٦٥م.
- ٢- وقد وضعنا تلك العناوين في الفهرس حتى يسهل الأمر على القارئ، ونشرنا الوثائق والصور في نهاية الذكريات نظرا لأهميتها التاريخية.
- ٣- انظر على سبيل المثال وصفه لما كان يجول بخاطره عندما قام بالثورة ضد الإنجليز عام ١٩١٥: «كانت مراجل الغضب تغلي بين جوانحي، ويؤجج الحقد في قلبي سعيرا، فتمشى الحماسة في كل شعرة في جسدي، وتصرخ كل قطرة في دمي الثورة... الثورة... الثورة فلما الحياة وإما الردى... ألا كانت الحياة وبرئت مصر منا وأمطرت علينا اللعنات إن رضينا أن نقر النذل فينا وليست مصر على أبيينا ثوب الخزي والعار».
- ٤- تتناول الحلقة الثانية على سبيل المثال أحداث الحرب العالمية الثانية ودوره في وزارة الدفاع بينما تتناول الحلقات التالية أحداث الجهاد في ليبيا والثورة ضد الإنجليز عام ١٩١٥.
- ٥- ولهذه الأسباب كانت دراستي لرسالة الدكتوراه بعنوان (محمد صالح حرب ودوره في القضايا الوطنية والإسلامية) والتي نوقشت في كلية الآداب جامعة الإسكندرية عام ٢٠٠٦م.
- ٦- تشير وثائق وزارة الخارجية البريطانية إلى أنه ولد عام ١٨٩٩ انظر: Lampson (cairo) to Eden (F.O) 22 July. 1941. F.O 407/225.
- ولكن بالبحث وجد أن هذا التاريخ غير صحيح، بينما أثبتت وثيقة جواز سفره المنشورة في الذكريات تاريخ ميلاده الحقيقي وهو عام ١٣٠٦هـ (١٨٨٩م).
- ٧- مجلة رسالة الإسلام الجديدة ، العدد ٩ (القاهرة: اصدار جمعية الشبان المسلمين، أكتوبر ١٩٨٤) ص ٢٠: محمود دياب أبطال الكفاح الإسلامي المعاصر (القاهرة: دار الشعب) ١٩٨٧ ص ١١٣.
- ٨- محمود دياب، مصدر سابق، ص ١١٣.
- ٩- دار الوثائق القومية، محافظ عابدين، محفظة رقم ٥٩٦ (زيارة على ماهر للسودان).
- ١٠- محمود دياب، مصدر سابق، ص ١١٣.
- ١١- محمد طاهر الجبالوى، في صحبة العقاد (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، دت) ص ٣٢.
- ١٢- مجلة رسالة الإسلام الجديدة، مرجع سابق، ص ٣١.
- ١٣- تبلورت التيارات الفكرية في مطلع القرن العشرين في تيارين تيار الجامعة الإسلامية ويمثله الحزب الوطنى بزعامة مصطفى كامل ومحمد فريد وعبدالعزیز جاویش ويدعو إلى جامعة مصرية إسلامية، ولاينكر الرابطة العثمانية ولكنه يتخذها وسيلة لمناوأة الإنجليز، أما التيار الآخر فهو تيار الجامعة المصرية، ويمثله حزب الأمة ممثلا فى لطفى السيد الذى يدعو إلى جامعة مصرية خالصة ولايعترف بالرابطة العثمانية ولا بالجامعة الإسلامية لأنها فى نظره وهم لاسبيل إلى تحقيقه.
- ١٤- مذكرات أنور باشا، نقلا عن مصطفى على هويدى، الحركة الوطنية فى شرق ليبيا خلال الحرب

- العالمية الأولى، (الجمهورية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ١٩٨٨) ص ٣٠.
- ١٥- عبد الله عبدالرازق إبراهيم، مصر وحركات التحرر الوطني في شمال إفريقيا، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٦) ص ١١٩.
- ١٦- انظر النكريات.
- ١٧- النكريات.
- ١٨- النكريات.
- ١٩- محمود لبيب، حماة السلوم (القاهرة: دار الانتصار، ١٩٨٠) ص ٦٢، ٦٣.
- ٢٠- محمود لبيب، مصدر سابق، ص ٦٣.
- ٢١- انظر المذكرات الخطية للمعيد محمود عبدالواحد، «كيفية انضمام قوة مطروح للجيش التركي الليبي»، المنشورة في: محمود لبيب، مصدر سابق في الفصل الثامن، ص ٢٠٣-٢١٦.
- ٢٢- مجلة رسالة الإسلام الجديدة، مرجع سابق ص ٣١، هنري أنيس ميخائيل، العلاقات الإنجليزية الليبية مع تحليل للمعاهدة الإنجليزية الليبية (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٠) ص ٦٣.
- ٢٣- انظر النكريات.
- ٢٤- حيث يستشهد في خطبة له بدار الشبان المسلمين حضرها عدد غفير من الشبان المثقفين وشباب البلاد الشرقية الأزهرين وكان العدد يربو على الألف بحال تركيا بعد هزيمة النولة العثمانية قائلاً: «انظروا كيف كانت حال تركيا من اليأس والهزيمة والضعف والخذلان وبالرغم من ذلك فإن مصطفى كمال كان قوى الأيمان وشجاعاً صلباً في الحق وظل على هذا حتى استرد حقوق تركيا» انظر: دار الوثائق القومية، تقارير الأمن العام ١٩٤١، تقرير ٢١٦٢ سرى سياسى، بتاريخ ١٣ أكتوبر ١٩٤١.
- ٢٥- رسالة الإسلام الجديدة، عدد ٩، (أكتوبر ١٩٨٤)، ص ٣٠.
- ٢٦- أحمد البيلي، الصفوة العسكرية والبناء السياسى فى مصر، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٣) ص ٣٨١.
- ٢٧- تحتوى مضابط مجلس النواب المصرى فى الفترة من (يونيه ١٩٢٦- فبراير ١٩٣٠) على العديد من خطب ومقترحات وآراء صالح حرب فى مختلف المواضيع السياسية والاجتماعية والاقتصادية.
- ٢٨- تم وضع خطة من جانب كل من صالح حرب وعزيز المصرى وتم الاتصال بالحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين لإبلاغ الألمان بضرورة تنفيذها والتي كانت تهدف إلى إخراج الإنجليز بالقوة المسلحة من مصر، ولكنها لم تتحقق حيث إن الألمان رأوا تأجيلها ولكنها لم تنفذ. انظر: وجيه عتيق، الملك فاروق وألمانيا النازية خمس سنوات من العلاقة السرية، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٩٢) ص ٤٩-٦١.
- ٢٩- Lampson (cairo) to Eden (F.O) 22 July. 1941, F.O 407/225.

ذكريات

اللواء محمد صالح حرب

١- عندما فقدت مذكراتي

فقدت المذكرات

ثلاث فترات في حياتي كتبت مذكراتي عنها وفي كل مرة كنت أفقدها.. وكنت أعتبر فقدما هذا لونا من ألوان سوء الحظ، ولكن ليس عجيبا أن تتعرض مذكرات جندي للضياع وهو المعرض لأن يفقد حياته كلها.

كانت مذكراتي الاولى عن الفترة التي بدأت من يوم رقيت ضابطا برتبة ملازم ثان الى أن بلغت رتبة يوزباشي(١)، وصرت قائدا لاساس الهجانة والسواحل والحدود بمرسى مطروح، وتنتهى هذه الفترة في ليلة ٢٦ نوفمبر سنة ١٩١٥... ليلة أعلننا الثورة على الانجليز(٢)، وفي تلك الليلة ضاعت في غمار الاحداث مذكراتي الاولى، نسيتها في سكني ببنكة مرسى مطروح.. وفي تلك الفترة ذاتها شنت ايطاليا حربها الاستعمارية على ليبيا.

والمرة الثانية

وللمرة الثانية بدأت أكتب مذكراتي من جديد. بدأتها في تلك الفترة التي قامت فيها ثورتنا على الانجليز، وعهدت الى زميل لى هو الملازم البطل الشهيد المرحوم ابراهيم عوض الذى عينته ياورا لى بأن يقوم بتحرير جريدة الحرب، فعنى بتنفيذ هذه الرغبة أشد عناية، وحرص كل الحرص على أن لايترك كبيرة ولاصغيرة من أخبارنا وتحركاتنا، فكان يدون

ذلك بدقة كاملة. وكان لشدة حرصه على جريدة الحرب هذه يحملها دائما في «جرباندية» وهي الحقيبة الخاصة به، والتي لم تكن تفارقه أبدا، لافى النهار ولا فى الليل.. فاذا نام وضعها معه فى الفراش.

ويعد أن حاربنا الانجليز... دخلنا مع الطليان فى مواقع منها موقعة «أورفلة» (٣) وفى تلك الموقعة استشهد البطل ابراهيم عوض(٤).. وذهب مشيعا بحسرات قلبى الذى كان يحبه ويعجب ببطولته.

فقدته، وفقدت معه جريدة الحرب التى كانت سجلا لمذكراتى..

مع الشريف السنوسى

وبدأت أكتب مذكراتى فى فترة ثالثة بدأت عندما وصلت الى استامبول كنت يومئذ القائد العام للجيش السنوسى المكافح للاستعمار الايطالى، ثم جاعتنا دعوة من السلطان وحيد الدين السادس(٥)، جاءت للإمام المجاهد السيد أحمد الشريف السنوسى بوصفه نائب الخليفة الاعظم فى افريقيا، وجاعتنى بوصفى القائد العام للجيش السنوسى.. وأرسل السلطان غواصة تركية الى ميناء العقيلة حملتنا الى استانبول، وماكدنا نصل حتى تلاحقت الحوادث بسرعة فسلمت بلغاريا التى كانت تحارب فى ذاك الوقت، ولم تجد الدولة العثمانية مناصا من التسليم للحلفاء، قرأى السلطان وحيد الدين أن يغادر السيد السنوسى الأستانة قبل أن يدخلها الحلفاء منتصرين فغادرناها على عجل قبل دخول الحلفاء بثلاثة أيام متجهين الى بروسه فى الأناضول.

وكان الانجليز فى مصر قد استصبروا حكما على بالاعدام، فكان من المستحيل أن أعود الى وطنى الذى كنت أتحرق شوقا اليه.. وفى هذه الفترة بدأت الثورة الكمالية فى تركيا.

مع مصطفى كمال

بعد هزيمة تركيا ودخول الحلفاء استانبول ثارت نفوس فريق من ضباط تركيا الاحرار، وعلى رأسهم مصطفى كمال(٦)، فأعلن الثورة على تلك الاوضاع، وجمع جنوده وأراد أن يحدث انقلابا عسكريا وسعى سعيًا حثيثًا ليضم اليه السيد أحمد الشريف السنوسى(٧) اذ كان موقفه غاية فى الثقة، وكان فى أشد الحاجة الى الانتصار، فأرسل خطابا الى السيد الشريف السنوسى يفيض بالوطنية، وبالفيرة على الاسلام، خطابا لا يكتبه الا مسلم

مؤمن شديد الإيمان الى حد التصوف.. ولما آمنا بأهداف الثورة الكمالية انضممنا الى جيش مصطفى كمال منذ بدئها، وظللنا نحارب في صفوفها حتى تم لها النصر المبين، وتحررت تركيا من سلطانها الضعيف، الذي أصبح في أخريات أيامه العوبة في أيدي الانجليز. وحملوه على أن يستصدر من شيخ الاسلام فتوى بأن مصطفى كمال خارج على الدين والدولة مارق على الخليفة وكانت هذه الفتوى من أسباب سعي مصطفى كمال لضم السيد الشريف السنوسي إليه لمكانته الدينية...

وبعد أن تم النصر للغازي مصطفى كمال عدت الى استانبول، والتحقت بكلية أركان الحرب(٨)... ثم جاعتنا أخبار من مصر نقول انه قد صدر عفو من الحكم علينا بالإعدام(٩)، فتركت مذكراتي في حوزة ضابط طرابلسي صديق وعدت الى مصر في سنة ١٩٢٤.

نكريات لا منكرات

قضيت في مصر فترة أردت أن أعود بعدها الى تركيا، وإذا بالسلطات المصرية تمنعني وتحقق معي تحقيقا طويلا يستغرق عدة أسابيع، وفي هذه الفترة توفي الضابط الطرابلسي الذي استودعته مذكراتي.. وعندئذ أدركت أن الاقدار تأبى أن تكون لي مذكرات، فقطعت على نفسي عهدا بأن لا أكتب مذكرات بعدها، وان اكتفى بالاعتماد على الذاكرة كلما أردت أن أستعيد تلك الذكريات وهائذا أقتبس من نكريات الشباب ما أبقى عليه الايام، لأقدمه الى شباب مصر الناهضة، عسى أن يجنوا في عبر الماضي ما ينير لهم طريق المستقبل المشرق الباسم، الذي بدأت مصر تستقبل نوره، ذلك النور الذي أسأل الله أن يتمه على مصر.. وعلى أمم الشرق وعلى المسلمين عامة.

تأمر المستعمرين

ولأبداً الان من سنة ١٩١١، ففي تلك السنة فوجئنا بهجوم ايطالي غادر على ليبيا، وكانت ليبيا تحت حكم الدولة العلية، ولم يكن هناك مايبرر الهجوم عليها اذ لم يكن هناك أي نزاع بين تركيا وايطاليا، ولكنها شهوة الاستعمار التي تملك ايطاليا، فدفعتها الى أن تحاول استعمار بعض دول الشرق تشبهاً بانجلترا وفرنسا، فقد كانت ايطاليا تعتبر نفسها يومئذ دولة من الدول الست الكبرى في العالم.

وكان من الواضح أن هذا العدوان قد تم بعد اتفاق وتآمر بين ايطاليا وانجلترا، أما الدولة العثمانية فكانت في غفلة عما يدبره المستعمرون، وقد أيدت انجلترا هذا الهجوم

لسبب هام هو إبعاد النولة العلية عن حدود مصر الغربية، لتحل محلها دولة أوربية تؤمن بمبادئ الاستعمار.

أما فرنسا فقد أقرت الاعتداء لكي تصرف إيطاليا عن التفكير في مزاحمتها في تونس التي كانت فيها جالية إيطالية كبرى وكانت مصدر متاعب وقلق لفرنسا.

جواسيس وضباط

كانت الدولة العلية يومئذ في دور انتقال وعدم استقرار بعد أن أعلن الدستور وعزل السلطان عبد الحميد(١٠)... وكانت إيطاليا تعلم هذا فاجترأت على تركيا، وزاد من جرأتها علمها بأن ليبيا مكشوفة ليست فيها حامية تدافع عنها، والقوة التي كانت فيها سحبت وأرسلت الى جهة أخرى..

وكانت إيطاليا قد أعدت العدة لهذا الزحف من زمن طويل، وظلت تتحين الفرصة لتنفيذه وكان من وسائل هذا الاستعداد أن موظفي بنك روما بفروعه العديدة المنتشرة في أنحاء طرابلس وبقية كان أكثرهم من ضباط أركان حرب الجيش الإيطالي، ومن الجواسيس المهرة.

كان ذلك كما قلت في عام ١٩١١، وقد أعلنت إيطاليا أن زحف أسطولها لانجاز احتلال ليبيا ليس حربا بل هو «نزهة بحرية» وقد ألمت الاحرار في كل مكان أن البابا لم يستنكر هذا العدوان، بل باركه. أما بريطانيا فقد أعلنت أن مصر (وكانت يومئذ اية عثمانية) ستكون على الحياد... وبهذا أصبحت تركيا عاجزة عن الدفاع عن ليبيا، بل وعن مجرد الوصول إليها لأن الأسطول الإيطالي مسيطر على البحر، ولأن مصر - كما أرادت انجلترا - كانت على الحياد...

ولكن.... هل سكنت مصر هل استكانت ليبيا، هل استمتعت إيطاليا بهذه النزهة البحرية؟

٢- حكاية مقتل المجرم ياسين

رأيت أن للفترة الأولى من مذكراتي التي فقدتها حقا في البقية الباقية من ذاكرتي.. تلك الفترة فترة الشباب في فجره المشرق بالطموح والامل، كما انها الفترة التي تعلمت فيها الدروس العملية الاولى من صناعة الجندي وما صناعته الا النضال والقتال واقتحام الاهوال والصبر على الردى والمكاره ما أشرف صناعة الموت الكريم فى سبيل الحياة العريضة. وما أكرم صناعة الحرب وما الحرب إلا أن تقتل وتقتل فى سبيل الله والوطن الغالى. وهل تعز الاوطان الا اذا رخصت فى حمايتها الدماء؟ وهل تأيد حق «المال يمكن السيف بانيه وحاميه، وهل تأيد حق مالهم يحط جانبيه حسام».

ماليس يدفعه المهند مصلتا

لا الكتب تنفعه ولا الاقلام»

تستعصم الاوطان خلف طباته.

وتعز حول قناته الاعلام

نعم هى الحرب، صناعة الجندي وحرفته ومهنته، هى الحرب علم القائد، كنهه وعبقريته، فان أقدم اليها عرف وان أخفق تلف. والفرق بين علم الحرب وفنه وغيره من العلوم والفنون، أن كل علم وكل فن يمكن ان يمهر فيه طالبه فى زمن السلم ويبرز ويتفوق. ويبلغ

فيه مداه إلا علم الحرب وفنه فإن كل امتحان يؤديه فيه طالبه ويبلغ الغاية منه فى حياة السلام قد يذهب جفاء يتبخر هباء عند الامتحان الحقيقى الامتحان الذى يترك تقدير درجاته إلى عزرائيل، والويل للقائد من امتحان عزرائيل فى موقف الهول والردى هنا تنكشف العورات، تقضح الحرب ماستره السلم. فلا حفظ النظريات ولا البراعة فى وضع الخطط، ولا الكفاءة الممتازة فى حل العمليات المعقدة، ولا السيطرة والادارة القادرة على توجيه المناورات تجدى فتيلًا اذا انهارت الاعصاب وجفت القلوب وعزت الحياة. عندها ترى العلم والفن العسكرى فى جناحى طائر فيهبوى الى الحضيض القائد فيهبوى معه جنده. أرى القلم قد شط بل شطح وبعد كل البعد عن الذكرى او القصة التى أريد ان أقصها من ذكرياتى فلا هى حرب ولا ميدان حرب، ولا امتحان قائد فى حرب، انما هى امتحان ابتدائى لضابط لم يمض على تخرجه شهور معدودات، امتحان لقلبه وأعصابه وتفكيره، هى قصة صدام مع الشقى «يسن» فمن هو هذا الشقى يسن؟ يسن عربى من قبيلة العباددة.

كان يسن هذا أعنف شقى وأجراً مجرم مشى على أرض مصر فى زمنه، اتخذ القتل حرفه، وازهاق الارواح تسليية، فكان يقتل ليلهو ويلعب ويقتل ليسلب وينهب ويقتل ليضطرب كل الطرب، عندما يسمع اسمه يرددته الناس فى خوف وفزع واهلع، وكان يقول لبعض اقاربه لماذا لا أكون مثل أبوزيد الهلالى على الرابية. روع هذا الشيطان الرجيم بجرائمه مديريتى مديرية قنا ومديرية اسوان، وأصبح لا حديث للناس الا ما يتوجسونه من بلائه وشره المستطير.. قد يراه بعض من يعرفونه ويراه كثير من عشيرته ولا يجروُ أحد على الارشاد عنه. يسطو اليوم على مديره قنا يقتل من يقتل، ثم يفر الى مديرية أسوان وتسمع بعد أيام أنه قتل فيها من قتل ويعود الى سيرته هذه على التوالى بين المديريتى حتى بلغ الخوف من النفوس غايته، واصبح لا يجروُ أحد على السير منفردا فى الخلاء، بل ولا الجماعة تجروُ وتخشى ان يكون لها بالمرصاد، وامتنع الناس عن الخروج من منازلهم ليلا فى بعض البلاد فى هاتين المديريتى. وقد ضاقت وزارة الداخلية نرعا بهذا الشقى وشدنت النكير على المديرين القائمين على الامن فى قنا وأسوان، وأمدتهم بقوة اضافية، وصاروا يجربون عليه قوات من الجنود والخبراء بقيادة ضباط يتعقبونه هنا وهناك فكان يخاتل هذه القوات ويقتل منها فينفرط عقدها، ويختل نظامها، وينتهى الأمر بمحاكمة قائد

القوة وهكذا، بلاء واجرام، لاتنتقطع سيرته ولاتهاد ثأثرته فى المديريتين. وأخيرا رأت وزارة الداخلية أن تكلف عمدة قبيلة هذا الشقى وهو شيخ محترم هو العمدة على بك وهددته الحكومة بأن تجرده من رتبته ونياشينه اذا هو لم يأت بهذا الشقى حيا أو ميتا.

ظل العمدة الباسل يطارده برجال من قبيلته حتى عثر عليه فى أحد مخابئه وطلب منه ان يستسلم، فقال للعمدة ياسيدى عل بك انت عمدتنا ورئيسنا «ويغز على أن أؤذيك وانت تعلم أنى محكوم على بالاعدام، وإن ترجمنى الحكومة اذا قبضت على فأنا لا أسلم نفسى حيا ابدا، كما أنى لا أموت رخيصة أبدا، فخير لك أن تتركى، ولماذا تعرض نفسك للآذى فهل أنت أقوى من الحكومة، خل بينى وبينها، وإلا فلا تلوم الا نفسك فى هذه الساعة فاتركنى، فلم يسع العمدة، الا أن يتركه وشأته ولما جاء مفتش الداخلية الانكليزى ليسأل العمدة عما فعل قال له لم استطع أن أعمل شيئا، وخذوا ربتكم ونياشينكم اذا شئتم ولست أنا أقوى من الحكومة حتى تكلفونى بما لا أطيق، ها أنا قد علمت أن الشقى فى جهة كذا فى مكان كذا فدونكم فاقبضوا عليه واقتلوه وهيهات أن يبقى يسن فى مكان واحد يومين وظل على حاله بين المديريتين لايتهنى عن منكر ولا ينقطع عن الناس أذاه هذا هو يسن.

وكنت قد انتدبت فى هذه الاثناء من سلاح الهجانة لشراء جمال.. من وادى حلفا وكان معى اليوزباشى حسن إبراهيم وكان مدريا خبيرا وهو من قبيلة النابقة من السودان وكانت الحدود ترسله للسودان ليشترى الهجن نظرا لخبرته فى هذه الناحية، وقد أصر علي أن اذهب معه، وبالفعل ذهبنا إلي أسوان ومن هناك إلي حلفا ثم إلي (أبو حمد) فى السودان. وهناك انتظرنا البشارية الذين يبيعون الهجن، وعندهم مهارة رائعة فى هذا المجال.

وقد اشترينا خمسة وسبعين جملا، وبعد أن اشتريناها عاد البكباشى الانكليزى الذي كان يرافقنا إلي القاهرة بالسكة الحديد وقمت مع اليوزباشى حسن إبراهيم وكان معنا أومباشى، ونفران من الهجانة ودليل طريق قمنا مع الجمال من أبي حمد إلي حلفا وكانت مأموريته أن نوصل هذه الهجن من حلفا إلي مرسى مطروح سيرا بالبر، ثم نقدم تقريرا فى النهاية عن كل جمل من هذه الجمال.

كانت المهمة فى الواقع شاقة للغاية خاصة وعدد الجمال كبيرا ولاسيما إذا قيس

بالنسبة للنفرين وأومباشي ودليل طريق واحد لاغير.

ولكن الأوامر هي الأوامر وقد أمكننا أن نعبّر الطريق من حلقا إلي البر الغربي. وعندما بلغنا حلقا وصل تلغراف إلي زميلي اليوزباشي حسن إبراهيم جاء فيه أن زوجته في خطر. وقال لي: «لابد أن أرجع حالا إلي القاهرة حتي أطمئن علي زوجتي» قلت له: وما العمل في هذه الجمال؟ فنجابني بقوله: لاشي... تتولي أنت أمرها واني علي ثقة من أنك تملك الكفاءة التي تستطيع أن تتولاها وتحمل مسؤولية أمرها حتي تصل بإذن الله سالة.

وأحسست بمدي المسؤولية الكبيرة التي ألقيت فجأة علي عاتقي فأنا ضابط ما زلت في مستهل حياتي العملية، والمهمة شاقة، والطريق وعر. ولكنني اقبلت علي تحمل هذه المسؤولية، واستطعت أن اعددي أسوان وهي بالشرق، وعندئذ فكرت كيف أتصرف في مئات الارانب من الأنزة وهي الخاصة بعليق الجمال.. كيف سأنقلها وأين أضعها لتكون في متناول هذه الجمال خلال رحلتنا الشاقة وهداني تفكيرني إلي أن أأخذ كمية في كل محطة من محطات السكة الحديد علي طول الطريق. ولكن لابد أن أذهب للشرق حتي أستطيع أن أوزع العبقة علي طول المحطات حتي أصل إلي القاهرة وبدأنا في العمل وكان لابد أن نسير بجوار السكة الحديد وعند كوم امبو أحببت أن اري ما إذا كان هناك قطار أت أو قطار علي الطريق وسألت عن ذلك حتي يمكننا أن نجتاز منطقة الخطر ولكنهم قالوا أنه لاويجد الآن قطارات في الطريق.

ويريد «الله السميع العليم أن يأتي قطار بضاعة لم يكن مجيئه مسجلا في الجدول وكانت الجمال تسير بين خطوط السكك الحديدية، وأخذنا نضرب الجمال أنا والومباشي والنفران والدليل حتي نستطيع أن نبعدنا عن الخطوط بأسرع وقت قبل أن يقطعها القطر أربا. وكان قد لاح مقدمه وأخذ يزحف في سرعة نحو هذه الجمال.

واستطعنا أخيرا أن نفرقها ونبعدنا بعد مجهود شاق! ولكن كان هناك جمل اسمه «الظافر» كنا قد أخذناه معنا من القاهرة خلال هذه الرحلة لم نستطع أن نبعد هذا الجمل عن الخطوط. أخيرا وقع أمام القطار فدهمه وشطره إلي قطعتين. ثم تعطل القطار.

وكنا قريبين من «سلوا» وهي إحدى البلاد التابعة لأسوان، وهناك نقطة بوليس، وقد تم عمل المحضر اللازم في هذه النقطة، ثم أمضينا ليلتنا في «سلوا» وقلت: ليس المهم أن

نمشي مع السكك الحديدية، نمشي في الصحراء مهما تكبنا من مشاق أو تحملنا من متاعب، حتي لايتكرر مثل هذا الحادث مرة أخرى.. استأنفنا المسير علي بركة الله ولكن في الصحراء هذه المرة.

وكنتم أتقدم القافلة ومعى دليل الطريق وهو من قبيلة العبابدة وكان الجنديان علي جانبي الجمال والامباشي في الخلف يسوق القافلة.. وبينما نحن نسير بين جبلين وانا منقبض النفس اذا بالامباشي يلهب هجينة بالسوط ليصل الي ولما وصل قال «يا افندي.. انا شفت واحد عربي نايم علي بطنه وفي يده بنديقة في المغارة هناك وأشار الي مكانها - فما كان من دليل الطريق إلا أن قال «واحنا مالنا ومال عربي نايم علي بطنه وماسك بنديقة ما ينام علي بطنه والا علي ظهره في مغارة ولا في نار حامية.. وكان الدليل قد أدرك بفطوته الببوية ان هذا الرابض في مغارة بين الجبل لا بد أن يكون هو الشقى يسن وهذا الشقى عبادى ومن نفس قبيلة الدليل فأراد بكلامه هذا أن يصرفنا عنه ويجنبنا شره ويلاءه.

ولكنى وجدت نفسى منفعا لان أرى هذا الياسين فأوقفت القافلة.. وجن جنون الدليل لما رأى تصميمى علي أن أصل الي مكان يسن خوفا علينا منه وحاول بكل جهده ان يثنينى عن تصميمى فأبيت وتركتا الجمال وعقلناها وتركت معها القوة العسكرية ودليل الطريق وعدت أنا والامباشي الي حيث المغارة التي رأى فيها الرائد علي بطنه وفي يده بنديقته وكنا نسير بحذاء سفح الجبل فلما قربنا من فوهة الغار أشرت للامباشي بالنزول فنزلنا وسمع الرائد علي بطنه وفي يده بنديقته رغاء الجمال واذا به يطلق طلقات سريعة نون أن يرى أحدا ولكنها للتخويف فتأكدت أن الرائد علي بطنه وفي يده بنديقته هو الشقى الملعون يسن وأدركت في هذه اللحظة انه لم يعد في امكاننا أن نواصل سيرنا نون معركة مع هذا الشقى وعدت الي حيث مبرك الجمال لتدبير الخطة التي علي أساسها ستخوض هذه المعركة.. وفجأة نوت طلقات بنديقية يس، وتبادلنا إطلاق النار حتي سكت.. وبعد أن خرست بنديقته تركت العسكرى والدليل عند الجمال وأخذت معى الامباشي والعسكرى الثانى ونهينا للموقعة وواجهنا فوهة الغار من مسافة ثلاثمائة متر تقريبا وبدأنا نطلق علي فوهة الغار بعض الطلقات ونحن خلف نجدات الارض فلم يطلق علينا وكأنه يريدنا أن نتقدم ليكشفنا فتقدمنا زحفا الي نجدة أخرى وإذا بي أسمع بكاء طفل ينبعث من الغار فكان ذلك مفاجأة لنا.. وخشيت أن يصيب رصاص هذا الطفل فأمرت

بايقاف ضرب النار وانسحبنا ولاحظت ان الريح تهب بشدة من الشرق الى الغرب يعنى من موقعنا الى ناحية الغار فخطر لى خاطر على قدر تفكيرى فى تلك السن.. وهو انى رأيت فى طريقنا وقبل أن ندخل هذا الممر بين الجبال مغربيين يسكنان فى اخصاص من البوص وحولهم بوص من سيقان الانرة - فخطر لى لماذا لا نأتى منها بحمل جمل بوص ونربطه فى حزمة كبيرة وندليها من أعلى الجبل بواسطة حبل وحبال الجمال متوفرة عندنا.. وندليها الى قم الغار بعد أن نشعل فيها النار وشدة الريح ستدفع بنارها وبخانها الى داخل الغار فيضطر هو ومن معه فى الغار الى الخروج منه والهرب فنستطيع أن نصيبه. خطرت لى الفكرة فتسرت فى تنفيذها وقصدت الى مبرك الجمال.. وإذا به يطلق علينا طلقتين اصابت احدهما طربوش العسكرى فانبطحنا ولازنا نزحف حتى وصلنا الى الجمال وقلت لدليل الطريق أن يأخذ جملا ويذهب بأقصى السرعة الى عزة البوص القريبة يحمل الجمل بوصا ويعود فقال لى ومن أى طريق أذهب قلت له من الطريق التى جئنا فيها قال يعنى أمر على باب الغار وفيه يسن.. وأنا راكب جمل يا حضرة الضابط انا فقير وعندى عيال ومش مستغنى عن عمرى فقلت له الله يخرب بيتك ويقيم عيالك.. اصعد انت وامش من فوق الجبل وانا افوت لك الجمل.. وفعلنا صعد من فوق الجبل فى خفة المعتاد على تسلقها وركبت انا جملا سريعا ولما اقتربت من فوهة الغار الهبته بالسوط فمرق كالسهم واذا بصوت طلق نارى ظننت انه للارهاب لانى لم اشعر بإصابة ولما ابتعدت عن فوهة الغار نزلت من على الجمل واذا به قد اصيب فى حافة فخذه اليسرى اصابة كشطت جلده وأمنت لحمه.. ولكنه لم يتأثر منها وكان الدليل قد وصل الى الأرض عن طريق الجبل.. فركب الجمل وانطلق مسرعا ليستحضر البوص وعدت انا من طريق الجبل الى مبرك الجمال وفى سرعة خاطفة اعطيت تعليماتى للامباشى والعسكرى بخصوص البوص واخذنا معهما حبلا وصعدا الجبل ونزلا من الجانب الآخر من الغار ووقفت أنا على الجانب الايمن من الغار..

ولم يمض على هذه الاحداث نصف ساعة وإذا بانسان كئنه غزال فى خفة يخرج من الغار وينتفع كالسهم يريد أن يجتاز الممر الى الجبل المقابل ليهرب (وعلمت فيما بعد أنه ظن أن الهجين الذى مر أمامه وأطلق عليه النار انما ذهب ليستحضر مددا كبيرا من العساكر لمحاصرته.. والقضاء عليه فى هذه المرة.. فأراد ان يفر قبل قدوم هذا المدد فخرج

من الغار فأطلقنا عليه النار لارهابه وكانت تعليماتي ألا نصيبه بل نخوفه ربما يستسلم غير ان هذا الشيطان الشقي لا أمل له فى الحياة اذا استسلم فسيقاوم حتى يقتل وفعلنا عندما رأى الرصاص يمر عن يمينه وشماله وفوق رأسه إستعصم بهضبة وانبطح خلفنا واتجه يطلق النار فى سرعة علينا وعلى الجمال ونحن نطاوله ولا نريد اصابته واذا بالاومباشى عن يمينى يقول لى أنا أصبت يا أفندى ووضع يده على خاصرته ثم اذا برصاصة تصيب كعب بندقيتى.. اذن الشقى مصمم على قتلنا فقلت للعسكرى اضرب صائب فأطلقت واطلق العسكرى الرصاص على الجزء الظاهر من جسم الشيطان والحمد لله فإن سلاح الهجاة كان فى ذلك الوقت سلاحا بارعا فى التنشين الماهر واصابة الهدف. فإذا بأربع رصاصات فى المليون كما يقول التعبير العسكرى رأينا الشقى يلقى بسلاحه. فجرينا نحوه واذا به قد انتهى لان احدى الرصاصا كانت فى قلبه والثلاث الاخرى واحدة تحت إبطه وواحدة كسرت ترقوته وثالثة مست نراعه الايمن.. وفتشناه واذا معه ذخيرة كثيرة وبندقية ذات خمس طلقات يونانية واذا فى دكة لباسه ختم باسمه فتأكدنا عندئذ انه يسن لاشك ولاشبهة.. ولكن شغلنى صوت الطفل الذى سمعته فتوجهنا نحو الغار بعد أن ضمدنا جراح الاومباشى وناديناه اخرج يا من فى الغار فلم يخرج أحد ولم نسمع همسا فقلت للعسكرى أقدرح كبريتة لان الغار مظلم وخصوصا لمن يدخل فيه وصرت أبحث والعسكرى يقدرح عودا بعد عود من الثقب وأخيرا اكتشفت ان الغار له جناح على اليسار فدخلته واذا بأمرأة صرخت وتابعها ولد يولول فاخرجناهما واتضح أن المرأة المسكينة زوجة الشقى والولد ابنه ولا حول ولا قوة الا بالله.. ولما علمت الزوجة بقتل زوجها اندفعت تزغرد وتقول فى حماس «بركة لى بركة لى» وحسبت أنها تتصنع الفرح خوفا منا ولكنى علمت أنها جادة لانها كانت تعيش معه فى فزع وخوف وبلاء.. وأجلسنا المرأة وابنها عند مبارك الجمال.. وبعدها عدت إلى الجثة ولست أنرى ماذا أصنع بها ولا أفهم شيئا من الاجراءات القانونية فى هذه الحالة غير أننا استحضرننا جوالا وألقيت فيه الشقى وحزمننا الشوال وربطناه وربكت المرأة وابنها جملا ولكن الى أين؟ لنسلم القليل فى محطة المحاميد وهى اقرب محطة منا، عننا مكرهين الى الطريق المكروهة طريق السكة الحديد ولم نمش الا قليلا حتى قابلنا جمعاً غفيراً وفى وسطهم جمل محمل بالبولص فلما أبصرونا وقفوا وتقدم شيخ العزية القريبة مسلما على ثم قبل ان يسألنى أو يعلم منى شيئا اندفع يقول

الحمد لله على سلامتک یا افندی.. الحمد لله على سلامة شبابک.. الحمد لله الی ربنا
نجاکم من شره هو ده انسان.. ده شیطان.

واصلت السیر حتی قرینا من محطة المحامید وإذا بى التقى بأمور المركز ویسألنى ماذا
حصل واین یس؟ وقبل أن أجیبه واصل كلامه قائلا: طبعاً هرب ان شاء الله ما یکتش قتل
واحد منکم ولا بهدلمک.. فقلت یا حضرة المأمور وانت كنت فین لما قابلته وعلمت به.. واستمر
حضرة المأمور یتکلم ولا یترک لى مجالا لأجیب على أسئلته وأخيراً قلت له یا حضرة المأمور
یسن قتل.. فما سمع قولی حتى تجهم وجهه وقال مستحیل ده كلام فارغ انت قتلت یسن؟
أبدا أبدا شوف انت قتلت مین؟ قتلت من أظن أنه یسن فقال: لا لا ما أصدقش وطیب انت
جای لیه وما انتظرتش لیه عند الشخص الی قتلته وتبعث خبر بنک فقلت له: قد استحضرنه
معنا، فقال المأمور استحضرت معک، جبت جثته .. ولما رأى المأمور الشوال قال عال عال ده
طرد بضاعة ولا طرد ركب ولاشوال نرة. وحملق فی الشوال عندما كان العسکرى یفک
رباطه ثم نفذه فسقطت الجثة والمأمور یحملق فیه فما إن رأى الجثة حتى صرخ صرخة
عالية (هوه ابن ال..... هوه ابن الکلب) وکئنه فی حالة غیر عادية ولما رجع الی هبوئه قال
برافو یا ابنى أنیک على سلامتک وعلى شجاعتک وانت ریحتنا من هم وشر کبیر.

وما اشرفت شمس الصباح حتى بدأت وفود المسئولين تلتى الی محطة المحامید من قنا واسوان
وما انتصف النهار حتى كان مکان الاستراحة یعج بالوافدین من جمیع الرتب «والمفرجين وكان
ضمن القادمین وکیل نیابة قنا وآخر من أسوان وتسلم محضر التحقيق وکیل النيابة وبدأ یوجه الی
أسئلة فیهما عنف وعن، والحقیقة أنه لما ازحم المكان برجال الإدارة لم أر منهم ترحیبا ولا لطفاً فی
معاملتی وکئنتی أتیت أمراً فیه اساعة الیهم مع أنى کنت أرجو عکس ذک فلم أعبأ وانطویت على
نفسى بعيداً عنهم لولا هذا التحقيق الذی واصله وکیل النيابة وكان من ضمن أسئلته العجیبة لماذا
قتلته ولم تقبض علیه حیا؟ لماذا لم تترکه بعد قتله حیث هو وترسل خبراً بالحادثه؟ فقلت له انا است
ضابط بولیس ولا أعرف شیئاً عن هذه الاجراءات. وتصرفت بقدر ما وصل الیه تقدیرى - سؤال آخر
- تقدیرك غلط وتصرفک غلط ووضعت نفسك فی مسئولیة الحقیقة أنه عند هذا الحد من تحدی وکیل
النيابة کنت أنتظر اعترافاً بالعمل الجلیل فاذا بى أقابل بهذا التکرر، عند ذاک لم أسکت قلت له تقدیرى
غلط وتصرفى غلط وأنا متحمل کل مسئولیة تنتج عن هذا التقدير الغلط والتصرف الغلط ولكنک ان
تسمع منى بعد الآن جواباً لای سؤال. بل ولن أجلس معک مجلس المتهم.. وترکته ونزلت من الذهبیة
وظل ینادینى فلم التفت الیه ونهبت فی الحال الی محطة المحامید وأرسلت برقیة ثانية وکنت أرسلت

برقية أولى بالحاجة الى مفتش الصحراء الغربية الأميرالاي الالانى (فون بومريكر بك) نكرت له فيها ما الاقيه من تحد وعنت فى التحقيق معى فما كان منى إلا أن أبلغ الامر الى اللواء هنير باشا (الجنرال جورج هنير) شقيق الجنرال ارشبولد هنير، فقامت قبلمته وقابل مستشار الداخلية وفى الحال أوفد مفتش المديريتين قنا واسوان مستر ونمسون فجاءا فى يوم بقطار الاكسبريس وبمجرد ان وصل محطة المحاميد طلبنى وسلم على سلاما حاراً ثم جلسنا معا وطلب منى أن اقص عليه كيف التقينا بيسن وما حصل فقصصت عليه كل ما وقع وفى نهاية الحديث قال لى هل يمكنك أن ترسل معى الدليل وعسكرى لآتى أريد أن أشاهد مكان الحادثة فاعطينته جملاً ورافقه الدليل وعسكرى ونهب وعاین مكان الحادث ثم عاد بعد ساعتين وأمر باجتماع كل الحاضرين من وكيل مديرية اسوان وحكمدار قنا واسوان ومأمور ادفو وضابط بوليس وبعض الضباط والمشايخ والاهالى وموظفين آخرين فوقف فى وسط هؤلاء جميعا ونادانى ومد يده الى وقال بلغة عربية انكليزية (باسم وزارة الداخلية أشكرك كثير خالص وانت قمت بعمل عظيم خلص مديريتين من مجرم كان خطراً كبيراً على الامن العام ثم التفت الى حكمدار قنا وقال له حضرة الحكمدار ثم التفت الى حكمدار اسوان وقال له حضرة الحكمدار ثم التفت الى الضباط وقال حضرات الضباط. يمكنكم الان ان تناموا كويس وتستريحوا تمام مافيش خطر مافيش خوف هذا الضابط الصغير جدا خلصكم من الخطر والحمد لله مش كده مبروك عليكم والحقيقة انى كنت اذوب خجلاً وتألّت كل الالم لهذا التقرير الشنيع لهؤلاء الضباط العظام والصفار وهم سكوت ولم يجرؤ واحد منهم ان يرد بكلمة ثم مد يده الى مرة ثانية وكرر الشكر وقال حضرتك تقدر تسافر الآن... قلت له: لكن النيلية لا تزال تريد منى أقوالاً مافيش أقوال ومافيش سؤال وجواب خلاص حضرتك تقدم تقرير لسعادة هنيز باشا ونسيت أن أقول ان ثلاثة أطباء حضروا من اسوان وقنا وكشفوا على الجثة بعدها أمر النائب بيفنها بعد أن دون حالتها ومابها من اصابات - ثم تحركت صباح اليوم الثالث فى طريقى الى القاهرة وبعد ان وصلتها وجدت أمامى خطاباً من وزارة الداخلية سلمه الى الأميرالاي فون بومريكر خطاب كله ثناء وتمجيد وتقدير وبعد ان اطلعت عليه رددته اليه ليضعه فى ملف خدمتى وصرفت لنا وزارة الداخلية عشرين جندياً مكافأة.

وهكذا قتل يس، وهكذا كانت نهايته ولم تمض غير أيام حتى نظم أحد أبناء الصعيد أغنية فى ذلك لم تلبث حتى ردها الشعب كله من اقصى الصعيد الى شمال الدلتا تلك هى الأغنية:

يا بهية خبرينى

ع الى جتل يسن

٣- لماذا لم تدخل مصر الحرب العالمية الثانية؟

عندما عينت وزيرا للدفاع في وزارة على ماهر سنة ١٩٣٩، كان أول ما شغل بالي هو أن أطلع على خطة الدفاع عن حدود مصر الغربية المهددة بهجوم إيطاليا عليها في حالة ما إذا أعلنت الحرب، فسألت في الوزارة عن هذه الخطة فلم أعثر على شيء كما لم أجد عنها شيئا في رئاسة أركان الحرب أو في أي إدارة مصرية، الأمر الذي اضطرني أن أستدعي الجنرال «ماكريدى» (١١) فلما جاء وسأته عن ذلك قال لى: اننى رئيس البعثة التعليمية ولا شأن لى بالدفاع، ويسأل عن هذا الجنرال ويلسون (١٢).

فاستدعيت الجنرال ويلسون ولما وجهت اليه هذا السؤال أجاب بقوله: الحقيقة انه ليس لدينا خطة كاملة للدفاع عن الحدود الغربية، والقوات البريطانية الموجودة على هذه الحدود قليلة ونحن فى حاجة الى وحدات أخرى كثيرة.

وفهمت منه أن الدفاع عن الحدود غير مستكمل لعناصره التى يمكن ان نطمئن اليها فرأيت من واجبي أن أعرض الامر على رئيس الوزراء وقد قام بدوره بعرض هذه الحالة على الملك السابق واتفق معه على ان يطلع بنفسه على حالة الدفاع عن الحدود الغربية واطلونا الجنرال ويلسون بهذه الزيارة، وفى اليوم المحدد ذهبنا الى سراى المنتزه: رئيس الوزراء والفريق عزيز المصرى رئيس اركان الجيش فى ذلك الوقت، وأنا...

ضباطنا مع الانتار الانجليز

وعندما ركبنا القطار لاحظت ان جميع الضباط الانجليز من أصغر الرتب الى اكبرها قد ركبوا عربات الدرجة الاولى بينما ركب الضباط المصريون من رتبة يوزباشى فأقل مع ضباط الصف والانتار الانجليز فى عربات الدرجة الثانية. وألمنى هذا الوضع أشد الإيلام، وطلبت من الدكتور على ماهر ان يقوم معى بالمرور فى عربات القطار وحاول أن يعرف منى السبب ولكنى أخفيتة عنه وقد لاحظ بنفسه هذه التفرقة المشينة بين الضباط المصريين والانجليز وغضب لها واتفقت معه على ان يصدر أمرا نافذ المفعول بوصفه حاكما عسكريا، بأن يركب جميع الضباط المصريين عربات الدرجة الأولى وقد كان، ودامت هذه التعليمات وشملت فيما بعد ضباط البوليس.

وكانت الطوافه(١٢) فوزية قد سبقتنا الى مرسى مطروح، وثانى يوم وصولنا الى مرسى مطروح عقدنا فيها اجتماعا بناء على طلبى حضرة رئيس الوزراء والفريق عزيز المصرى وأنا من الجانب المصرى، والجنرال ويلسون والجنرال أوكيز قائد الوحدات المدرعة وقائد المشاة من الجانب البريطانى..

تكرى قديمة

وبدأت المناقشة بشأن الدفاع عن الحدود الغربية.

فسألت الجنرال ويلسون: هل وجوبكم فى مرسى مطروح ضرورى للدفاع؟ فقال: نعم.. ولا يمكن الاستغناء عن هذا الميناء، فقلت له نفهم ان جناحكم الايمن يرتكز على البحر فما الذى يحمى جناحكم الايسر؟ فقال: القوات المدرعة

قلت: الا ترى ان هذا الجناح يكون مهددا فى حالة ما اذا احتل العدو واحة سيوة. ويعد مناقشة على موقع سيوة على الخريطة التى استحضرها مع الجنرال ويلسون قال: أنا مقتنع الآن بأهمية سيوة ولكنى أريد أن أراها على الطبيعة، فاتفقنا على ان نجتمع فى واحة سيوة بعد أسبوع من عودتنا مع الملك السابق الى القاهرة. وفعلنا عدت انا الى مرسى مطروح وقمت منها بالسيارات ووبرفتى اللواء حسن حسنى الزيدى مفتش الجيش والاميرالاي على شاهين محافظ الصحراء الغربية والاميرالاي على موسى من سلاح الحدود والصاغ عبد الحميد غالب «اللواء عبد الحميد سفير مصر الان فى لبنان»

وكان مدير المكتب العسكري لوزير الحربية.

تحركنا بالسيارات ومررنا على الحدود التي بين مصر وليبيا الى ان وصلنا الى الملقاة ومنها الى سيوة وثاني يوم من وصولنا اليها حضر بالطائرة الجنرال ولسون و معه بعض ضباط أركان حرب الجيش الانكليزي وقضينا في سيوة يومين مررنا فيهما على جميع مداخلها «النقوب» أي الدروب والأبار والمواقع الطبيعية الضعيفة منها والقوية ولم نترك ناحية تستحق المعالجة الا مررنا عليها وأخيرا رأينا أن نمر على الطريق الداخلي بين الحطايا(١٤) الموصل من جغبوب الى سيوة، وساقنا ذلك الى المرور على حطية قريبة الواقعة في الشمال الغربي من سيوة على بعد ١٧ كيلو مترا ولاحظ الجنرال ولسون وجود سيفين متقاطعين على الخريطة عند هذه الحطية اشارة الى وقوع معركة في هذه المنطقة فالتفت الى مبتسما وقد تذكر ان في هذا المكان نشبت بيني وبين الانكليز اكبر معركة على الحدود الجنوبية الغربية قبل مغادرتنا حدود مصر الى جغبوب وكان ذلك في سنة ١٩١٧ وسيأتي ذكر هذه الواقعة مفصلا عند سرد بقية ذكرياتي.

الخطة مع جندي

وبعد انتهائنا من هذ المعاينات كلها أبدى الجنرال ولسون انه مقتنع تمام الاقتناع أن سيوة يجب أن تعد للدفاع عن الجنوب ثم قال: ولكن لي ملاحظات أريد رأيك فيها.
أولا: الطريق الوحيد الموصل اليها هو طريق مواز للجبهة من مرسى مطروح الى سيوة وهو بذلك غير صالح لا للامداد ولا للاتسحاب فقلت له ان هناك طرقا اخرى يمكن استخدامها، والاستفادة منها عامودية على الجبهة: «١» من الضبعة الى سيوة. «٢» من النوبارية أو وادى النطرون الى سيوة «٣» من الفيوم الى الواحات البحرية الى سيوة.
ثانيا: أريد أن يكون لنا قوة احتياطية في الزيتون قريبة من النقب وليس هناك ماء. فأجبت: ما أسهل أن نفجر آبارا في هذه المنطقة تغطي الماء الكافي لأي قوة.
ثالثا: يلزمنا مخازن في بعض الطرق الموصلة الى سيوة.

فأجبت: سننشئ أي عدد تريده من المخازن في أي من الطرق التي ذكرتها.
عند هذا قال الجنرال ولسون: «ليس عندي بعد هذا ما أقوله، وقد أدركت تمام الادراك أهمية سيوة، ولهذا بمجرد أن أعود الى القاهرة سنضع خطة الدفاع عنها واقدمها لكم لتقولوا رأيكم فيها ثم نضعها موضع التنفيذ» وفعلا بمجرد أن عاد، عمل على انجاز وضع

الخطـة فى خـلال سبعة عـشر يـوما ويـعـثـها الى وـزارـة الحـريـة مـع أـحـد جـنـود القـيـادـة العـامـة «وكان يجب أن يحملها ضابط مسئول» فاطلعت عليها واستدعيت رئيس اركان حرب الجيش الفريق عزيز المصرى وسلمته الخطـة بنـفسـى وطلبت منه ان يدرسها ويضع ملاحظاته عليها وفعلأ أخذها وبعد أيام جاعنى بها وعليها ملاحظاته وتناقشنا معا فى بعض هذه الملاحظات، استدعيت الجنرال ولسون وأطلعتـه على رأيـنا فى الخطـة ووفقتا بين هذه الآراء وشرعنا فى التنفيذ وأودعت الخطـة فى خزانتي فى وزارة الدفاع.

وهذه الخطـة هى التى زعم الانجليز فيما زعموا انها وصلت الى أيدي الطليان. وضبطت فى جيب أحد الأسرى من قوادهم واتهمونى كما اتهموا الدكتور على ماهر والفريق عزيز المصرى فى ذلك، وان تعجب فاعجب لهذا الاتهام العجيب! هذه الخطـة انا الذى اقترحتها ورافقت الجنرال ولسون واشتركت فى وضعها، وكان الانكليز غافلين عنها. فما معنى أن نحرص على حماية هذا القطاع من أرضنا ليكون واقيا من هجوم كبير على صعيد مصر، ثم نقدمها متطوعين الى عـو نريد أن نحـمى بلادنا من عدوانه؟ ولكن أراد الانجليز نريـة يبررون بها ما تجنوا به على الدكتور على ماهر وطلبهم اقالته بدعوى انه لم يكن أميناً على تنفيذ المعاهدة، وانهم لا يطمنون على بقائه فى الحكم، ولكن خاب قائلهم ولم يقدم هذا التجنى عندما صدمناهم أثناء التحقيق بهذه الحقائق ولم يجد ولسون ولا غيره ما يؤيد اتهامهم ويأوا بخزيهم وافترائهم واستقالت، وزارة على ماهر بعد أن أتمت تنفيذ كل ما طلبه ولسون لاعـداد خطـة الدفاع عن سيوة، ولكن عجز الانكليز عن شغلها بالقوة اللازمة وأشفقوا على جنودهم من الحياة فى سيوة وبقيت بلا حامية فهاجمها الطليان من جغبوب واحتلوها، ولو ان هؤلاء الطليان كانت لديهم الشجاعة الكافية وكانوا يقوون على حرب الصحراء وواصلوا تقدمهم من سيوة لخلقوا للانكليز ارتباكاً فى خطـة دفاعهم لاقبل لهم به وارغمهم على فتح جبهات بدلا من جبهة واحدة فى العلمين ولكن الخوف الشديد الذى تملك هذه الجيوش الغربية من الصحراء جعل الطليان ينكمشون فى سيوة، وأضاع عليهم فرصا كانت رحمة لمصر، ومثل هذا الخطأ أو الخوف من حرب الصحراء هو الذى أضاع على نوري(١٥) «شقيق أنور باشا» وجعفر العسكرى ماكان يمكن احرازه من نصر ضد الانكليز سنة ١٩١٦ مما سأنذكر تفصيله إذا أتيت لذكرياتى أن تنشر فى مناسبة اخرى.

ثمن دخولنا الحرب

ولما ألح السفير البريطاني(١٦) فى طلب دخول مصر الحرب اشترط الدكتور ماهر فيما اشترط الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ وعقد معاهدة أخرى تشمل الجلاء عن مصر والسودان، وأن تكون معاهدة الند الندد... بين دولتين مستقلتين فرفض السفير البريطاني هذا الطلب ورفضت الوزارة وقررت بالاجماع ألا تدخل مصر الحرب إلا اذا هوجم جيشنا وهوجمت مدنتا أو توغلا فى أراضينا دون استقرازان.

وقابلنى ويلسون بعد ذلك وسألنى عن سبب تمسك الحكومة بعدم إعلان الحرب فقلت له: هل المعاهدة التى بيننا وبينكم تلزمنا بإعلان الحرب؟ فقال: لا

قلت: فلماذا إذن تطالبوننا بإعلان الحرب؟

قال: للصدقة التى بيننا وبينكم.

قلت: هل الصدقة تلزم مصر ولا تلزمكم؟ فلماذا لاتوافقون على الجلاء عن مصر وعن السودان جلاء تاما بمعاهدة حديثة تحل مكان معاهدة سنة ١٩٣٦؟ ماذا أقول للضابط او الجندى المصرى الذى أسوقه الى الميدان ليموت؟ وهل أقول له: ضح بحياتك من أجل الامبراطورية البريطانية؟ وهل تعتقد انه يقبل هذه التضحية؟ أما إذا قلت له: انك ستضحى من أجل بلادك وحريتها فإنه لن يتردد عن ذلك بأى حال. وهنا أجابنى ويلسون على الفور: عندك حق...

ولكن الانجليز ظلوا يضعون العراقيل فى طريق الوزارة ويخلقون لها المتاعب وطلبوا منا طلبات كثيرة بغية احراج مركز الوزارة وارغامها على العدول عن موقفها، من ذلك أن تأمر بتفتيش السفارة الايطالية والالمانية والقاء القبض على بعض رجالهما ومنهم السفراء أنفسهم كما طلبوا اعتقال الجاليات الالمانية والايطالية فى مصر.

ورد الدكتور على ماهر على هذا الطلب قائلا: ان مصر لو فعلت فسوف يعامل المصريون فى هاتين الدولتين نفس المعاملة كما ان بريطانيا نفسها لم تلق القبض على سفرائهما ولا رجالهما الدبلوماسيين فيها بل سمحت لهم بمغادرة بلادها كما نقضى بذلك التقاليد الدبلوماسية.

وطلبوا ايضا لقاء القبض على بعض موظفى القصر من الطليان وغير ذلك من الطلبات

غير المعقولة ورفضت الوزارة بطبيعة الحال أن ترضخ لهذه الطلبات. وتبين لنا ان قرار الوزارة بمنع دخول مصر الحرب قد أغضب الانجليز اشد الغضب وجعلهم يتوقون الى الخلاص من الوزارة الماهرية في أسرع وقت ممكن. وغضبت الحكومة الانجليزية وأرسل وزير خارجيتها «هاليفاكس» برقية الى الملك السابق(١٧) يطلب فيها اقالة وزارة على ماهر لانه لاينفذ المعاهدة بأمانة ولايحوز ثقة البلاد «وكننت أود أن ينشر الدكتور على ماهر ولو هذا الجزء من مذكراته لأنه كان وزيرا للخارجية أيضا في ذلك الوقت لأن فيها تفصيلا أوسع وبيانا أدق لما حدث بينه وبين السفير البريطاني ليعرف الشعب كيف صمدت مصر أمام الانجليز لتجنب ويلات الحرب».

اجتمعنا في الظلام

ودعا الملك السابق الأقطاب من رؤساء الوزارات السابقين ورؤساء الهيئات النيابية ورؤساء الاحزاب للاجتماع في قصر عابدين ودعيت وحدى من الوزراء مع رئيس الوزراء بوصفى وزيرا للحربية ولما اكتمل عقد المجتمعين حضر الملك السابق وقال لنا: لقد جاعتنى برقية من الحكومة الانجليزية تقول فيها: أن على ماهر لاينفذ المعاهدة بأمانة وانه غير حائز لثقة البلاد وانها لذلك تطلب اقالته وقد أرسلت برقية الى ملك بريطانيا أفند فيها ماجاء في برقية حكومته وأؤكد سلامة موقف على ماهر. وأضاف الملك السابق قائلا: ويعد يومين جاعنى الرد من ملك بريطانيا يقول فيه بأننى تكلمت مع رئيس حكومتى وان حكومتى مصرة على موقفها وبما انى ملك يستورى فلا أملك أكثر من ذلك، ثم أضاف الملك السابق قائلا: «وانى أترك لكم الامر لتقولوا رأيكم فيه» ثم تركنا وانصرف وكان الاستاذ عبدالوهاب طلعت سكرتيرا لهذا الاجتماع. وهنا بدأت المناقشة وسؤال الدكتور على ماهر عن أسباب التوتر بينه وبين الانجليز فاعترضت السائل قائلا: ان هذا السؤال يجب أن يسبقه سؤال آخر وهو: هل هذا المجلس الموقر يرضى أن تتدخل بريطانيا فى شئوننا الداخلية إلى حد طلب اقالة وزارة؟ فرد أحد المجتمعين قائلا: إتنا فى حالة حرب. وقال أحمد زيور «باشا» - الملك كشف نفسه.. الملك كشف نفسه!.

وجرت المناقشة بعد ذلك وظهر مع الأسف من البعض ما لايتفق وصيانة كرامة البلاد فى موقفها ورفض تدخل الانجليز.

الملك يتجسس

وفي أثناء ذلك حدثت غارة جوية وأطفئت أنوار القصر.. فغادرت قاعة الاجتماع أتحسس طريقى فى الظلام باحثاً عن تليفون لأعرف أنباء هذه الغارة بوصفى وزيراً للحربية، وبينما أنا أغادر القاعة أحسست بيد تمسك بيدي وسمعت صوتاً يقول لى: هنا التليفون، وقادنى صاحب الصوت الى غرفة أخرى داخلية مضاءة وكان هذا الشخص هو الملك السابق وقد كان ينصت خارج القاعة إلى كل مايدور فى قاعة الاجتماع من مناقشات.. والتقت الى قائلاً: «هل تظن ان عندى رجال- هو انا عندى رجال؟» ولعل هذه العقيدة التى كانت تستولى على الملك السابق من انه ليس بمصر رجال، من أهم العوامل التى جرفته حتى صدم بالحقيقة عندما ثبت له أن فى مصر رجالا وان هؤلاء الرجال لهم من الشجاعة والجرأة ما جعلهم يطيحون بعرشه وان يرغموا الانجليز على الرضوخ لما لم يستطيع هو أن يرغمهم على أقل منه.. وانتهى المجلس بأن كتب للملك انه يؤكد دستورية وزارة على ماهر وأنها حائزة لثقة البلاد ونفذت المعاهدة ولكن ازاء اصرار على ماهر على الاستقالة لايرى المجلس إلا ان يوصى بقبول هذه الاستقالة.

واعطى هذا القرار الى الاستاذ عبدالوهاب طلعت ليوصله الى الملك وهنا قال له أحد المجتمعين: قل للملك أن هذه الاستقالة يجب ان تقبل فقال له كيف استطيع أن أقول الملك يجب أن تقبل؟ وجاءت بعد ذلك وزارة حسن صبرى(١٨) ثم وزارة حسين سرى(١٩) وتطورت الامور من سىء الى أسوأ والانجليز يصرون على وزارة يرضون عنها وحدث ما حدث فى يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٢(٢٠).

وكنت أتوقع ان تغمر البلاد فى اليوم التالى المظاهرات الصاخبة احتجاجا على هذا التدخل البريطانى الجارح لكرامة البلاد ولكن حدث مع الاسف أن النين وكل إليهم الأمر استطاعوا أن يسكتوا كل صوت فى البلاد.. فدعوت أعضاء مجلس ادارة جمعية الشبان المسلمين(٢١) وشرحت لهم الموقف وتم الاتفاق على ان أقدم باسم الجمعية احتجاجا شديدا الى السفارة البريطانية وحملت هذا الاحتجاج ونهبت به الى السفارة وقدمته الى (السير سمارت) السكرتير الشرقى فى ذلك الوقت فما كاد يعلم فحواه حتى قال لى فى تهكم: أهو اعلان الحرب؟.

فقلت له بنفس الطريقة: لو أستطيع أن أعلنها لما ترددت. وانت تعرف.

واتصلت ببعض الضباط الشبان والشباب وشرحت لهم الموقف وما يتطلبه من وجوب اعلان سخطهم على هذا الاعتداء حتى يدرك الانجليز أن مصر لاتصبر على هذه الالهانة التى لحقت بكل مصرى وبدأت وفود الشباب تتقاطر على القصر معلنة احتجاجها على تدخل الانجليز..

يطلبون نفيى

وغضب الانجليز لموقفى هذا وطلبوا نفيى الى سيشل او جنوب افريقيا ولكن الحكومة اكدت باياعادى الى أسوان كما طلبوا من الحكومات المتعاقبة أن أستقيل من رئاسة جمعية الشبان المسلمين فرفضت ذلك بشدة وأفهمتهم أن هذه الرئاسة بيعة فى عنقى لاينزعها إلا الشبان المسلمون أنفسهم.. وعلقوا عودتى من أسوان على أن أستقيل فرفضت ذلك أيضا وبقيت مبعدا فى أسوان من سنة ١٩٤٢ الى سنة ١٩٤٥ واعتقل الدكتور على ماهر كذلك تارة فى الشمال وتارة أخرى فى الجنوب، ولقى مالى، ووددت مخلصا إن ماحصل للدكتور على ماهر لم يحصل حفاظا لكرامة الطرفين المصريين فى التاريخ.

٤- الموقف على حدود مصر الغربية أثناء الحرب العالمية الأولى

أريد أن يعلم قارئ هذه الذكريات بما كانت عليه حدود مصر الغربية عندما أعلنت الحرب العالمية الأولى، وفي الوقت الذي كانت لاتزال فيه ليبيا التي تخلت عنها الدولة العثمانية بعد عقدها الصلح مع إيطاليا، كانت ليبيا المجاهدة بحق، وصدق، تحارب إيطاليا وحدها، بلا سند، ولا مدد، إلا إيمانها بربها، وتفانيها في سبيل وطنها، وحماية عروبتها. من بخيل فاجر، أراد الاستعمار فظنه سهلا هينا، واهلها بطولة حسب كسبها رخيصة، ليثبت انه اهل لأن يكون إحدى الدول الست الكبرى في ذلك التاريخ فخاب أمله، وفشل رجاؤه سنين طويلة، سجلت فيها ليبيا نصرا على قواته وسامته الخزي والعار، ولو وجدت ليبيا في ذلك الوقت من المدد ما يساعدها على جهادها لقنفت بإيطاليا الى البحر، والى غير رجعة.

ولكن الدولة العثمانية قبضت يدها عن كل معاونة نزولا على شروط الصلح التي بينها وبين إيطاليا كما أوقف الهلال الاحمر المصرى مساعدته، وهو الذي قام بالكثير وفوق الكثير للشقيقة العزيزة والجارة الباسلة الكريمة ليبيا، وامتنع كذلك المسلمون في مصر وغير مصر عن تقديم أى عون، واعتقد الجميع أن لا أمل في نصر تحرزه ليبيا ولا هزيمة إيطاليا بعد أن انسحبت الدولة العثمانية من الميدان.

جهاد السنوسى

وكان وقع هذا الموقف السلبي من الجميع على ليبيا شديدا، وشديدا جدا، إذ حرّمها كل ما كانت ترجوه من المسلمين وهى بلد لا يملك شيئا وليس له موارد من أى نوع تعينه على استمرار الجهاد، ومع هذا الضيق المحيط ببرقة من جميع نواحيها، أثبت ليبيا المسلمة المؤمنة، والعربية الباسلة، أن تجعل لليأس سلطانا عليها، وفضلت أن تموت كريمة كما عاشت كريمة، وأثبت أن تسلم أو تستسلم، وكان المجاهدون يعيشون على الطوى أياما كثيرة، ويحاربون العدو بما يغمونه من سلاحه وخبرته ومؤنثته.

فى هذا الهول وتحت ضغط هذا الحرمان والحرب المستعرة الأوار رأى السيد الإمام المجاهد وقائد المؤمنين السيد أحمد الشريف السنوسى رضى الله عنه وأرضاه أن ينقل معسكره قريبا من الحدود المصرية ليسهل عليه الاتصال المباشر بمصر الشقيقة الكريمة، وبالهلال الأحمر (٢٢) فنزل فى مسيعط وأبدل اسمها وأسماءها (مساعد) وبدأت مفاوضات واتصالاته ورسله وكتبه الى مصر يشرح فيها حال المجاهدين، وما وصلوا اليه، ويطلب العون والممدد السريع.

فى هذه الاثناء نشبت الحرب العالمية الاولى، وبخلت فيها الدولة العثمانية الى جانب المانيا ضد انجلترا وفرنسا ومن معهم، وما لبثت ايطاليا أن نقضت تحالفها مع النمسا، وانضمت الى الحلفاء، عند ذلك كتب السيد الامام أحمد الشريف السنوسى الى أنور باشا وكان أنور فى هذه الحقبة رجل الدولة العثمانية الأول بمؤازرة المانيا له، وأصبح وزيرا للحربية ونائبا عن القائد العام (السلطان) وصاحب التفوذ الذى يملك أن يغنى ويفقر، ونشأت بين السيد الامام السنوسى وأنور باشا صداقة متينة عندما كان فى برقة ثم تركها بمناسبة حرب البلقان وتأزم الحالة فى استامبول.

كتب السيد الامام الى أنور باشا يطلب العون والممدد الكافى وانه مستعد لان ينضم الى دولة الخلافة فى حريها ضد المستعمرين للمسلمين. فما إن وصل كتاب السيد احمد الشريف الى أنور باشا حتى انتهز الفرصة وبادر بارسال أخيه (نورى) فى غواصة المانية، ثم جعفر العسكرى - رئيس وزراء العراق فيما بعد - وغيرهما من الضباط العثمانيين «نديم، وغالب، وأمين، ونهاد عبدالقادر، وفوزى وضياء» وبعض ضباط الصف والعساكر، المتخلفين فى استامبول من الليبيين الذين سبق أن أرسلهم أنور عندما كان فى برقة لتدريبهم تدريبا عسكريا

يجعل منهم ضباطا احتياطيين وضباط صف فنيين. جاء كل هؤلاء إلى معسكر السيد الإمام في مساعد بعضهم في غواصات ألمانية وبعضهم في مراكز شرعية استطاعت أن تفلت من رقابة أساطيل الحلفاء في البحر الأبيض وتكون من هؤلاء جيش نظامي مدرب تدريباً حثيثاً وبدأوا في تدريب المجاهدين في جهة «بير واعر» غرب مساعد وأطلقوا على بعض الكتائب أسماء «برنجي نمونه، ايكجي نمونه، طابور بير واعر، الخ».

استعداد هزيل

وكان الهدف الاستراتيجي المطلوب من هذه القوة التي تشكلت في برقة القيام به، هو مهاجمة الانجليز من حدود مصر الغربية حتى يضطروا الى الحرب في جبهتين عندها يهاجم الجيش العثماني الانجليز في قنال السويس وعند ذاك تثار مصر كلها وتكون نهاية الاحتلال والخلص منه.

كانت هذه هي الخطة التي وضعت في استامبول وجاء هؤلاء الضباط لتنفيذها، ولكن واسفاه فإن هذه الخطة الضخمة كان بقدر ضخامتها العكس في الاستعداد لها فان الاستعداد لها كان هزيباً الى درجة لا يتصورها عقل وكان الموقدون للقيادة وتنفيذ هذه الخطة دون المستوى الذي تتطلبه هذه العمليات وإن كانت بساكتهم الشخصية وشجاعتهم وأقدامهم فوق كل تقدير ولكن قياتهم كان ينقصها الكثير مما تتطلبه حرب الصحراء.

بدأ نوري فور وصوله الى المعسكر السنوسي بجهة مساعد، يساعده جعفر العسكري، والضباط الذين قدموا من استامبول بدأوا بتدريب المجاهدين السنوسيين ولو أنهم جميعاً كان قد سبق لهم التدريب بل الاشتراك الفعلي في مواقع كثيرة مع إيطاليا وتمرسوا على القتال. بدأ نوري وجعفر بتشكيل الوحدات الخاصة التي أطلقوا عليها الاسماء التي نكرتها وخصوا هذه الكتائب بعناية خاصة في ماكلها وكسائها وتسليحها وغير ذلك. وعينوا اليوزباشي أمين قائدا للكتيبة الاولى واليوزباشي غالب قائدا للكتيبة الثانية واليوزباشي نديم قائدا للكتيبة بير واعر وكانت قيادة الاسلحة الميكانيكية أيضاً بقيادة الضباط العثمانيين مثل المدفعية ومدافع الماكينة، يعاونهم كثير من ضباط الصف والانفار الأتراك (هؤلاء جميعا يحملون قنابل يدوية) أما بقية القوات السنوسية فكانت تتشكل من كتائب القبائل بمعنى ان لكل قبيلة كتيبة من مجاهديها. العواقر - الحاسة - البراعصة - العبيدات - العبيد - المنفة - وغيرهم خلاف حرس السيد الامام المكون من حفظة القرآن الكريم وعددهم لا يقل عن ثلاثمائة وثلاثة عشر حافظاً. (كقوة

المهاجرين والانتصار فى غزوة بدر الكبرى).

وكانت هناك كتيبة أخرى من السودان الغربى وكان مجموع هذا الجيش السنوسى نحو فرقة من اثنى عشر ألف مقاتل لا يزيد تسليحهم على بنقية المشاة، بل كان السلاح من أنواع مختلفة ويستتبع هذا اختلاف فى أنواع النخيرة وعدد الطلقات التى يحملها كل جندى فبينما يحمل بعضهم مائة طلقة، نجد آخرين لا يحملون أكثر من ثلاثين وليس لديهم أى استعداد فى خدماتهم الخلفية فلا قسم طبى، ولا تموين، ولا احتياطى للنخيرة، ولا وسائل للمواصلات غير جمال الحمل التى تمشى الهوينى و لا تركض، وعدد محدود من الخيال لبعض الضباط ورغمما من هذا النقص الفاضح فى كل شىء فإنه لم يمرض أكثر من أربعة شهور على وصول الضباط العثمانيين الى معسكر السنوسى حتى بدأ نورى وجعفر يطلبان فى الحاح من السيد الامام أحمد الشريف السنوسى أن يعجل بحركة هجوم على الانجليز فى حدود مصر الغربية.

حركة مذبحة

ولكن المجاهد الكبير والعليم الخبير بالحرب وما تتطلبه من استعداد، كان يرفض طلبهما ويقول فى منطق عسكري «أين استعانكم و أين قوتكم التى تريدون أن تهاجموا بها الانجليز؟ تريدون منى أن أحارب دولتين عظيمتين إحداهما خلفى وهى ايطاليا والثانية أمامى وهى انجلترا بهذا الجيش المجرد من كل استعداد وفوق هذا فأنتم تعلمون علم اليقين أن تمويننا الآن متوقف ومعتمد على ما يسمح به الانجليز فى السلوم من مؤن و سلع تننى بها طوافات مصر من الاسكندرية وبالرغم من انضمام ايطاليا فى الحرب معهم فقد اشترطوا عليها ألا يمنعوا تمويننا وأن يستمر كما كان من قبل وقد وقوا الى اليوم بذلك، وأنا عندما كتبت إلى صديقى أنور باشا انى مستعد للانضمام الى دولة الخلافة لمحاربة المستعمرين اشترطت أن تمدنى الدولة العلية بالامداد الكافى الذى يتطلبه الموقف فى محاربة الدولتين ولكنى أقول والاسف يملا قلبى انكم منذ وصلتكم لم يصلنا من العون والممد ما يستحق أن يذكر، بل انتم تعتمدون فى تموينكم الشخصى على السلوم، فأين المخازن التى امتلأت بالمؤن فى حالة ما إذا أقفل الانجليز باب الاسكندرية، وأين الاسلحة الموحدة الصالحة للقتال، وأين النخائر الكافية، وأين وأين؟ لا شىء، فهل المقصود ان نقوم بحركة مذبحة أقدم فيها المجاهدين الى القناء، ونمكن ايطاليا من الاستيلاء على برقة ونون

أن تفيد مصر أى فائدة من حركتنا، وأنا الحريص على أن أقوم بكل تضحية إذا كانت نتيجة مساهمتنا تخليص مصر من الاحتلال الانجليزى، أما الهجوم الصورى الذى لا يأتى الا بالهزيمة المحققة فأتأ لا يمكن أن أوافق عليه، أكتبوا لاستامبول وأنا ساكتب لصديقى أنور باشا أيضا بهذا وأكرر استعدادى لأن أحارب الابيض والاسود فى كل جهة، اذا توفر لدينا بعض الاستعداد وشئ من الامل فى نجاح حركتنا ضد أعدائنا».

وبالرغم من أنه لم يأت أى مدد من أى نوع من الدولة العثمانية لأنها كانت هى نفسها فى حالة لاتحسد عليها، وكان الهجوم على الدرنيل(٢٣)، فلم تقدم أى مدد جدى من أى نوع لجيش الامام السنوسى، بالرغم من ذلك فقد ظل نورى وجعفر لايفكان عن الالاحاح على السيد الامام بالقيام بهجوم ضد الانجليز رغم علمهما علم اليقين أن هذا الهجوم لن يكون الا حركة مذبوحة، ولن يكتب لها أى نجاح ولكنهما توهما أن الانجليز فى شغل شاغل فى ميادين أهم وأخطر فلن يعززوا قوة لها خطرهما لمواجهة الهجوم من برقة، وعزز هذا الوهم فى نفسيهما ما يروونه من تملق الاميرالاي اسنويك(٢٤) مفتش الحدود الغربية والمقيم فى السلوم، تملقه وسعيه المتواصل لارضاء السيد الامام، وقدم وفود من مصر لها اتصال روحى وإخاء فى الله مع السيد الامام السنوسى هذه الوفود مكلفة من قبل الانجليز، بإقناع السيد الامام بخطورة موقفه إذا هو انحاز واذعن لاغراء الاتراك وقام بأى حركة ضد الانجليز ولتنكيهه بالصدقة التقليدية القديمة بين آبائه والامبراطورية الانجليزية وان انجلترا ما كانت فى يوم من الايام عدوة لهذه الدعوة الرشيدة المسلمة، وانها لزمت جانب الحياد فى حرب ايطاليا، كما انها لم توافق ايطاليا على قفل باب التموين من مصر إلى المجاهدين السنوسيين رغما عن انضمام ايطاليا الى الحلفاء.

تغيير خاطئ

فسر نورى وجعفر هذه المعاملة بانها من الانجليز ضعف بلغ غايته حتى انحذروا الى هذا الدرك من التملق والخضوع.. فلماذا يتردد السيد السنوسى فى هجومه عليهم والله يعلم ان السيد الامام لايمه تملق الانجليز له ولكن الذى يهمه أن يطمئن على استعداد جيشه للهجوم وهو أعلم بتقدير الموقف من حضرات السادة الذين يتولون القيادة والذين كان من آمالهم المبنية على الخطأ البالغ فى التقدير أن فى استطاعتهم أن يحرزوا نصرا رخيصا وان يستغل الجيش العثمانى القادم من الشرق فى دخول مصر، ذلك الجيش الذى

كان معلوما انه سيكون تحت قيادة الخديو(٢٥) حتى يحفز المصريين على الثورة ولكن الاتراك أبعدوا الخديو عن هذه القيادة، وقد سمعت من الخديوى شخصيا عندما التقينا فى استامبول سنة ١٩١٨ وسألته لماذا لم يكن على رأس القوة التى قدمت لمهاجمة الانجليز فى القنال فقال لى فى شرح طويل الأسباب التى أدت الى ابعاده بعد أن بعث بمعيتة الى حلب ومكثت بها خمسة عشر يوما، وكان على وشك القيام من استامبول ليلحق بها ويقوم الى دمشق فإذا بمعيتة تعود الى استامبول دون علم منه بأمر صدر لها من استامبول وسأسرد حديث الخديوى مفصلا فى فرصة أخرى.

نعود الى نورى وجعفر فقد ساقهما هذا التقدير الخاطئ الى أن يرتكبوا من الأعمال مالا يتفق فى قليل ولاكثير مع الشرف العسكرى ولايليق أن يسلكوه مع أعظم مجاهد ظهر بين المسلمين فى تلك الحقبة وهم مكلفون بطاعته واحترامه يليق بسمو مكانته عند الله والمسلمين، نسوا كل ذلك وبدأ جعفر دبّر (المقالب) لخلق جو من التذمر والغضب والمرارة يحمل الانجليز مكرهين على محاربة السنوسى وبذلك يكونون قد وصلوا الى غايتهم.

مقالب!

(المقلب الأول) فكر جعفر دبّر ثم ذهب الى السيد الامام يقول له ان قبائل أولاد على القاطنين فى حدود مصر الغربية سنوسيون مخلصون يدينون بالطاعة التامة لسيادته وهم ينعمون برزق وفير من الزرع والضرع ولا تطالبهم الحكومة المصرية بشيء فلا ضرائب ولا عوائد ولا رسوم ولا شيء مطلقا فلماذا لايسعى السيد الامام لدى الحكومة المصرية لتسمح له بتحصيل زكاة الاموال من هؤلاء السنوسيين لتكون عونا لآخوانهم المجاهدين فى برقة. وأولاد على لن يترددوا فى دفع هذه الزكاة بمجرد أن تصلهم رغبة السيد الامام بذلك والأمر لا يكلف السيد الامام أكثر من أن يتكلم مع الاميرالاي اسنويك الذى سيسارع مفتبطا فى تلبية... إن هذا الرأى لو صدر من مخلصين لكان رأيا سديدا وعملا فيه خير ونفع كبير ولكنه كان رأيا وراءه خبيثى ويستتر شرا مستطيرا، فتقبل السيد الامام مشورة جعفر بالرضا والتقدير وأسرع فى استدعاء الاميرالاي اسنويك وطلب منه السماح بدخول بعض مشايخ السنوسيين الى الحدود المصرية والاتصال بأولاد على لتحصيل الزكاة وهى أحد الاركان الخمسة فى الاسلام لمساعدة آخوانهم المجاهدين فلم يسع الاميرالاي اسنويك إلا أن يرحب بالفكرة ويوافق على الطلب دون أن يرجع الى وأنا قائد منطقة مرسى

مطروح وحاكمها الى واحة سيوة، واغتبط سيادة السيد الامام بهذه الموافقة السريعة ويشير جعفر بذلك فعاذا فعل جعفر المفكر المدبر؟ جمع كيده (نستغفر الله له) وجاء بمن اعدهم لطاعته فى الشر ووضح لقائدهم ما يريد، وهو انهم سيحملون تصريحاً من الاميرالاي اسنويك لدخول الحدود المصرية وأمرنا من السيد الامام بتحصيل الزكاة من قبائل أولاد على والمرابطين، وواجبهم وقد أتيت لهم هذه الفرصة أن يقوموا بما عليهم نحو السلطان وخليفة المسلمين الذى أعلن الجهاد، وأن يأخذوا كل ما تصل اليه أيديهم من عرب أولاد على الذين لم يصيبهم ما أصاب اخوانهم فى برقة وعاشوا ناعمين، وإن لايرحموا من يتردد أو يمتنع عن كل ما يطلب منهم.

ويأسر ما يمكن دفع هذه الجماعات من الاشرار وقطاع الطريق الى حدود مصر يحملون تصريح الاميرالاي اسنو وامر السيد الامام، فلم يصادفوا اعتراضاً من قوات الحدود بعد ان اطلعوا على التصريح وأمر السيد السنوسى. فتوغلوا فى الحدود حتى وصلوا بين سيدى برانى ومرسى مطروح حيث تسكن الكتلة من القبائل العربية المصرية، وبدأ هذا الهجيج المسلح ينفذون خطتهم التى رسمت لهم فبدأوا السلب والنهب باسم الزكاة، ونهب الغنم بلا حساب لاكلهم، ونهب الجمال وهى ثروة العرب وتهريبها الى حدود برقة، ومن يتكلم يضرب حتى يقضى عليه ويفقد النطق، لايفرقون فى ذلك بين الرجال والنساء والاطفال، وفى ليلة واحدة أتوا من الجرائم ما لا يفعله جيش العدو الكافر، وإذا بعدد من مشايخ اولاد على يقتحمون مكتبى صارخين من هول المحافظين (كلمة محافظين تطلق على العساكر السنوسيين) قائلين: «هل تركت الحكومة نهباً لمحافظة سيدى أحمد؟ هل تخلت عنا؟ إننا اتركنا ندافع عن انفسنا ونقتل ونقتل» فلم يسعنى إلا أن أرسل فى الحال دائرية من الهجانة ومعها ضابط للقبض على هؤلاء المجرمين لكى يأتونى بهم لأعرف ما سبب هذا، ولم يمض وقت طويل حتى علمت بكل شئ،» تصريح من اسنو ونداء من السيد الامام بجمع الزكاة، وبينما الهجانة تقوم بحماية العرب من هذا الاعتداء اتصلت بالاميرالاي اسنو فى السليم واطلعت على ماهو حاصل وسألته كيف يسمح بهذا دون ان يخطرني وأنا المسئول؟ فلم يسعه وقد ارتبك الا ان يأسف ويعتذر، وقال لى تصرف فى الامر كيف شئت واعتبر تصريحى كأنه لم يكن، وفى الحال كتبت خطاباً للسيد الامام ويعثته مع وفد من العمد والمشايخ الى سيادة السيد فى السليم وكان خطاباً مؤثراً فلما اطلع على الخطاب غضب أشد الغضب لما حصل وخرج عن حلمه المشهور

واستحضر جعفر فى الحال ولم يترك فى جعبة غضبة كلمة إلا أفرغها فيه وجعفر بقدر ما هو شجاع باسل فهو ممثل ماهر يملك دمع عينية. فأنطلق لمقتليه العنان، وسال الدمع مناراً، وقال للسيد الامام امام العمد والمشايخ: «ياسيدى، أتظن أن عبدك جعفر يرسل مثل هؤلاء المجرمين الخاسرين الى تحصيل الزكاة كلا والله ولكنه لابد أن اندس بينهم من لا دين لهم ولاخلق لهم من قطاع الطريق، فشوهوا الغرض الشريف الذى قصدنا اليه» ولكن غضبة الامام لم تطفئها دموع جعفر، ولا توسلاته، وأمره أن يقوم بنفسه الى داخل الحدود المصرية ويجمع كل المحافظين الذين اجتازوا الحدود ويعيدهم الى السلم، ثم طيب السيد الامام خاطر العمد والمشايخ، وأظهر غاية الألم والأسف على ما حصل وردهم رداً جميلاً، ودعا لهم بخير، وقال لهم أن هذا الاجرام لن يتكرر، وانه عاقاهم من تحصيل الزكاة بسبب ما أصابهم، ثم بعث بأسفه للاميرالاي اسنويك وانه أمر جعفر بالقيام الى (حدود مصر) ليعيد كل عسكرى الى السلم.

انكشف الامر

ولما وصل هذا الخطاب الى اسنو أمر القائمقام رويل(٢٦) أن يرافق جعفر فى مروره، وبعث لى السيد خطاباً غاية فى الرقة يثنى فيه على كل ما قمت به ويرجوني أن أبلغ أسفه الشديد لقبائل أولاد على الذين أصابهم شر وأذى ودعا لهم بأن يعوضهم الله أضعاف ما فقدوا، ومر جعفر ورويل على المنطقة التى وقع فيها الاعتداء فوجدا أثر النهب والسلب والضرب، ووجدا أن جميع المحافظين قد فروا عندما رأوا داوريات الهجانة وعلوموا بذهاب العمد والمشايخ لمقابلة السيد السنوسى وأخذوا معهم من الابل ما أخذوا.

وفشل «المقلب» الأول، وكان يقصد جعفر من وراء ذلك أن يحصل صدام جدى بين عرب أولاد على والمحافظين، ويشتد الصدام فينتشر جعفر بين المجاهدين فى السلم أن عرب مصر قتلوا المحافظين الذين بعثهم السيد الامام لجمع الزكاة، فيثير هؤلاء بدافع الانتقام لآخوانهم، ويندفعون غير مباينين الى حدود مصر، فاذا اعترضهم احد من الانجليز قتلوه، فيظن الانجليز ان السنوسى قد غدر بهم، وانه بدأ هجومه على الحدود، فتقطع العلاقات وتتشب الحرب.. ويتم المراد

هذا هو «المقلب» الأول وقد فشل بحكمة السيد الامام ولكن جعبة نورى وجعفر لاتزال فيها سهام وما سيأتى نكره من المقالب يتضاغل بجانبه هذا المققلب. والى فرصة اخرى.

5- الإتصالات الانجليزية بالسنوسى أثناء الحرب العالمية الأولى

لما فشل جعفر باشا فى تدبيره الأول ولم ينجح فى قطع العلاقة بين الإمام المجاهد السيد احمد الشريف السنوسى وبين الانجليز حتى تنشب الحرب بينهما على حدود مصر الغربية، تلك الحرب التى لم يعمل لها اى استعداد جدى من جانب نورى وجعفر، ولا يمكن أن يرجى لها أى توفيق فى أن تحقق شيئاً من الهدف الاستراتيجى الذى تريده استامبول، ذلك الهدف الذى من أجله بعث أنور باشا أخاه نورى ومعه جعفر، وهذا الفشل هو ما تحقق فعلاً مما سأوضحه فيما بعد.

وكانت خيبة أمل جعفر فى تدبيره الأول حافزاً شديداً دفعه الى تدبير جديد «ومقلب ثان» يعوض ما خسره فى تدبيره الاول.

التدبير الثانى

طلب السيد الامام احمد الشريف السنوسى من الانجليز أن يأمرؤا طوافات خفر السواحل التى تأتى بانتظام الى ميناء السلوم بأن تأخذ بريده عند قيامها الى الاسكندرية، فوافق الانجليز فى الحال على ذلك وزادوا عليه أن قالوا للسيد أن خطابهاته لن تتعرض لفتحها بمعرفة الرقيب، تقديراً لشخص السيد الامام، واشعاراً بالثقة وتقديراً للصدقة التقليدية «بين السنوسى والانجليز» وبناءً على هذا القبول وضع نظام بين سكرتارية السيد

الامام والاميرالاي اسنوبك يقضى بأن يخطرهم اسنوبك بساعة قيام الطوافة من ميناء السلوم، وان ترسل خطابات السيد قبل قيام الطوافة بساعة.

وسارت الأمور سيرها الطبيعي دون أى شكوى، حتى خطر للسيد جعفر أن يخلق من هذا البريد مشكلة سياسية لعلها تقطع العلائق وتوصله إلى المراد.

اتصل جعفر بالرجل الذى يحمل بريد السيد السنوسى إلى اسنوبك وقال له: «عندى خطاب مهم جدا فلا تنزل الى الميناء قبل ان تأخذه» وكان ميعاد قيام الطوافة فى الساعة التاسعة مساءً، ومفروض حسب الاتفاق ان يكون بريد السيد السنوسى عند الاميرالاي اسنوبك فى الساعة الثامنة وانتظر المكلف بتوصيل البريد حسب أمر السيد جعفر حتى مضت الساعة الثامنة ثم التاسعة فنبه حامل البريد السيد جعفر، فقال له انتظر.. ثم مرت ساعات حتى بلغت الحادية عشرة، أى فاتت ثلاث ساعات على ميعاد وصول بريد السيد، ولم يصل الى الاميرالاي اسنوبك فظن اسنوبك انه ليس لدى السيد الامام السنوسى خطابات للاسكندرية، فأمر الطوافة بالقيام وقامت وفى هذه الاثناء كان جعفر قد وكل من يرصد قيام الطوافة، فما إن عرف انها تحركت من الميناء حتى سلم حامل البريد خطابا لم يعرف أحد ما بداخله، وربما كان ورقة بيضاء، وقال له «أسرع بتوصيل البريد» فأسرع الرجل، وما إن أشرف على الميناء حتى رأى الطوافة تخرج الى ظهر البحر فجرى حتى وصل الى خيمة الاميرالاي اسنوبك وهو يصرخ «بوستة سيدى» ولما رآه اسنوبك قال له: «نحن أخطرناكم من الصباح بأن الطوافة ستقوم فى الساعة التاسعة ومفروض ان يكون بريد السيد عندى فى الساعة الثامنة، والان فاتت الساعة الحادية عشرة فظننا ان ليس لديكم بريد ولهذا أننا للطوافة بالسفر، ومع كل فستأتى الطوافة «ثور البحر» بعد ثلاثة أيام، فانتظروا قدموها» فعاد حامل البريد من حيث أتى، وكان جعفر فى انتظاره، وبمجرد أن رآه سأله «هل سلمت البريد؟» قال لا لأن الطوافة قامت وما أمكن اعادتها» فقال له جعفر «هات خطابى» ولاتقل للسيد انك تأخرت فى توصيل البريد فإنه سيوقع عليك عقابا شديدا وأنا سأتكلم مع سيدنا فى ذلك» ونفع «البوسطجى» خمسة جنيهات على الا يقول شيئا عن التأخير.

جعفر يسمى بالواقعة

وفى الصباح علم السيد السنوسى ان بريده لم يسافر، وقال جعفر للسيد «كان لدى خطاب مستعجل بطلب ابوية ضرورية من الاسكندرية وتأخر «البوسطجى» عن ميعاده وقتا

قصيرا بسبب تجهيز الجواب فاستعجلت الطوافة وقامت مع ان الواجب كان يقضى بأن تنتظر وماذا فى تأخير الطوافة ساعة او ساعتين ثم كان الواجب ان يخطرونا ويستعجلونا اذا كان فى تأخير ساعة او ساعتين ما يفوت على الطوافة أمرا ضروريا، ولا أظن تأخير ساعة مما يستوجب ارتكاب هذه الغلطة الشنيعة، وعدم الاكتراث كإن بريد السيد شىء لايهمهم ولايعطى من العناية ما يستحقها، وفى هذا البريد كما تطمون سيادتكم طلبات ضرورية لكم وأظن انه يجب اتخاذ اجراء حازم مع هؤلاء الانجليز حتى لايتكرر هذا العمل منهم فإذا نحن سكنا فى هذه المرة فثق ياسيدى انهم سيعتادون فى ذلك «فقال السيد السنوسى: سأتكم مع اسنو فى هذا الخصوص» فقال جعفر «لا لياسيدى إن أمر الطوافات يجب أن يصدر من جهة أعلى من اسنو حتى لايتصرف هو مرة أخرى مثل هذا التصرف فإذا أمرتم فإنى أرسل باسمكم برقية الى الجنرال ماكسويل(٢٧) ألقت نظره الى ذلك ليصدر أوامره الى مدير عام خفر السواحل وسترون كيف تسير الامور بعد ذلك ولن تستطيع أية طوافة أن تتحرك من الميناء قبل أن تأخذ بريدكم او تخطروا اسنوا انه ليس لديكم بريد أما هذا الاستخفاف والعبث فلا نسكت عليه «فقال له السيد» لا بأس من اخطار ماكسويل ليشدد على المسؤولين بالالزام».

وما إن سمع جعفر بهذا الأمر حتى أسرع الى نوري وأرسل برقية باسم السيد الى الجنرال ماكسويل فى القاهرة وكنت انا فى هذا الوقت فى مرسى مطروح وكان وكيل البريد والتلغراف «تأمر عبد السيد» وكنا تلامذة فى فصل واحد فى مدرسة أسوان الابتدائية وكنت متفقا معه على أن يلتقط كل برقية مهمة فى طريقها الى القاهرة، لتكون على علم بمجريات الاحوال، واذا به قد جاعنى يجرى وفى يده صورة برقية من السيد الامام «وهى البرقية التى أرسلها جعفر الى ماكسويل» باسم السيد السنوسى يقول فيها: «قامت الطوافة عباس دون أن تأخذ بوستتنا وفى هذا الاهمال ما فيه من عدم التقدير لنا، فإذا تكرر هذا العمل فسيكون بمثابة قطع العلائق بيننا».

قرأت هذه البرقية، فأثرت فى الحال مدى ما يجرى فى معسكر السيد السنوسى دون علمه، وعلمت فيما بعد ان نص البرقية لم يعرض على السيد، وظن انها مجرد اخطار للجنرال ماكسويل ليشدد التنبيه على المسؤولين كما قال له جعفر، وقلت لنفسى ترى ماذا سيكون رد الجنرال ماكسويل على هذه البرقية.

وما إن غربت شمس ذلك اليوم حتى جاء الرد من ماكسويل الى السيد السنوسى وجاعنى بصورته تادرس افندى واليك ما بقى فى الذاكرة من هذه البرقية: «الحبيب النسيب السيد أحمد الشريف السنوسى السلوم جاعتنى برقيتكم وأسفت كثيرا لقيام طوافة خفر السواحل قبل ان تأخذ بريدكم وقد أدركت من برقيتكم أهمية هذا البريد ولهذا صدرت الأوامر فى الحال الى الطوافة ديانة «ويلاحظ أن ديانة طرادة فرنساوية» لقرىها من ميناء السلوم بأن تدخل الميناء لتأخذ بريدكم حتى لايتأخر وثقوا انه لن تقوم طوافة بعد الان قبل ان تحمل ما تريدون ارساله فيها».

ودخلت ديانة ميناء السلوم وتسلمت بريد السيد الامام وأوصلته الى الاسكندرية وقشل المقلب الثانى الذى دبره جعفر «بفضل برود الانجليز» الذين يصبرون على كل شىء إذا كان من وراء ذلك مصلحة لهم.

إعلان الجهاد

طلب الألمان من أنور باشا فى الخارج أن يحمل السلطان على إعلان الجهاد ووقف كثير من القواد الاتراك ضد أنور باشا معارضين ذلك وقالوا لانور لاتطلب من السلطان اعلان الجهاد فإنه لن يأتى بأى نتيجة بل سيفضح المسلمين ويجعل معنى الجهاد لغوا وعبثا، بل سيأتى بعكس ما نطلبه فإن جميع بلاد المسلمين إما انها مستعمرات فى يد الحلفاء أو محميات أو محتلة فعلا فتكون النتيجة أن المسلمين سيحاربوننا مكرهين مرغمين بدلا من أن يجاهدوا معنا، وسترى ذلك فدعنا من اعلان الجهاد ولنهدد بهذه الكلمة بدلا من ان نعرضها لامتحان سوف نرسب فيه ويجل العار عندئذ رؤوس المسلمين وتذهب هذه الكلمة «كلمة الجهاد» التى يخشاها اليوم أعداؤنا، تذهب هباء وتحمل معها تلك الرهبة التى تملأ قلوب المستعمرين للبلاد الاسلامية ونحن لم يسبق أن مهدنا لها أو أججنا فى القلوب سعيها وبالأمر من الموقف الحازم الذى وقفه هؤلاء القواد كان الاحال ان أنور أشد أثرا من معارضتهم، فأرغم السلطان على اعلان الجهاد وأعقب ذلك أن صدر فرمان سلطانى باقامة «السيد الامام المجاهد الأكبر أحمد الشريف السنوسى نائبا للخليفة الاعظم فى افريقيا» ومنح فيما منح من السلطات أن يرقى من يشاء الى رتبة عسكرية أو مدنية فى افريقيا على انه بعد عودة العسكريين الى تركيا يعودون الى أقدميتهم الحقيقية فى الجيش وبهذه السلطة منح نورى وجعفر رتبة اللواء فى افريقيا مقرونة بالباشوية.

تقدم جعفر باشا ونورى باشا للسيد السنوسى مكررين التهنته بنياية الخليفة الأعظم وقالوا «يامولانا أنت أعلم منا بما يفرضه على المسلمين اعلان خليفة المسلمين للجهاد، وأنتم ياسيدنا الان فى مقام الخليفة فى افريقيا فأول واجب هو تحريض المسلمين وتعريفهم بواجبهم فى هذه الظروف فإن لم يستطيعوا ان يحاربوا مع الخليفة فلا أقل من أن يمتنعوا من الاستجابة لأعدائهم، واحداث ثورات داخل بلادهم، ورجاؤنا الى سيادتكم ان تأمروا بكتابة خطابات الى زعماء المسلمين فى الشرق، تدعونهم للجهاد فى سبيل الله بقدرما يستطيعون وفى ذلك رضا لله ورسوله وخليفة المسلمين، ونصرة للدين، والأمر اليكم» فقال لهم السيد الامام «دعونى أفكر فى الأمر» وتركوه وشعروا عن ساعد الجد فلم يتركوا فى المعسكر رجلا ذا نفوذ من اتباع السيد الامام الا ولجأوا اليه جاعلين من كلمة اعلان الجهاد دعاية واسعة النطاق ألهبوا بها صدور هؤلاء الزعماء، والعلماء، ومشايخ السنوسيين، قائلين انه أصبح لزاما بل فرضا دينيا الدعوة الى الجهاد وانتهى هذا السعى المتواصل بأن زين الجميع للسيد السنوسى كتابة الخطابات وارسالها مع رسول خاص وهى فى مأمن من الرقابة بمقتضى ما وعد الانجليز به، وبذلك يكون نائب الخليفة قد أدى واجبه الدينى، وما فرضه الله عليه فى هذا الموقف، فاستجاب لهم ولمشورة أولئك المشايخ والعلماء من اتباعه المخلصين، وكتبت الخطابات كما شاء نورى وجعفر وختمت بخاتم السيد وامضائه ووضعت فى خرج وأخذها الأمين المقرب فى خدمة الامام وهو «أحمد العابدية» وسافر بها فى اول طوافة قامت من السلوم الى الاسكندرية على زعم انها كالعادة خطابات تحمل طلب المعونة، وتستجدى أكف المحسنين حتى تستطيع برقة الاستمرار فى جهادها ضد الطليان.

الحقبة المفقودة

ولم يعدم المفكر المدير الوسيلة التى يشعر بها الانجليز بخطورة الخطابات التى يحملها أحمد العابدية ووصل حامل الخطابات الى القاهرة ويات فيها، وفى الصباح بحث عن حقيبة الخطابات فلم يجدها فجن جنونه وشرق وغرب، وصاح ويكى، وبلغ بالسرقة فلم يلتفت اليه أحد، وأخيرا علم أن الخطابات وصلت الى المخابرات الانجليزية، وهى فى حوزتها، وبعد أن اطلع الانجليز على محتوياتها أمر الجنرال ماكسويل بكتابة خطاب للسيد الامام وهذا بعض ما بقى فى ذاكرتى من محتوياته التى علمتها فيما بعد.. «السيد

الحبيب... وبعد كلمات التحية والتكريم والتعظيم جاء فى الخطاب: لقد ساقطت الصدفه الينا الاطلاع على الخطابات المرسله مع تابعكم احمد العابديه وما صدقت أبدا ان ما جاء بهذه الخطابات يصدر من ذاتكم الكريمه ولم يخامرنا شك فى أن هذه الخطابات مدسوسه عليكم نسها من يعملون جاهدين على تكبير صفو العلاقات التى بيننا، ولثقتنا انكم لاتضمرون سوء ابدا للدوله البريطانىة ويعصمكم من هذا ايمانكم العميق الذى ينأى بكم عن كل سوء والصداقه التقليديه التى تربط بين الاسرة السنوسيه الكريمه منذ نشأت هذه العلاقات مع جدكم العظيم محمد ابن على السنوسى ونجله السيد محمد المهدي وبين الامبراطوريه الانجليزيه، وبهذا ترون يا سياده السيد اننا مطمئنون كل الاطمئنان لحسن نواياكم، ذلك الاطمئنان الذى حملنا على أن نكرم خطاباتكم فلا تصل الى فتحها يد الرقابه لهذا رأينا أن نعيد لسيادتكم هذه الخطابات لتطلعوا عليها، ولكم الرأى الاعلى فيما تتخذونه مع اولئك الذين زوروا هذه الخطابات وبسوها ونسبوها اليكم.. وقام رسول خاص من المخابرات البريطانىة الانجليزيه يحمل هذه الخطابات حتى أوصلها بنفسه إلى يد الإمام السنوسى!..

وفشل المكيدة

وأترك للقارئ أن يتصور الحالة التى أصبح عليها نورى وجعفر أما سياده السيد فلا أظن انه مر عليه يوم لقي فيه أقسى من هذه الصدمه.. وهكذا فوت الدهاء الانجليزى والبرود السكسونى على نورى وجعفر ما بيثاه وهكذا يستطيع الانجليز عند الفزع ان ينحنوا للعاصفة حتى تمر فى سبيل المصلحه الكبرى التى يهدفون اليها، وكان أمل جعفر أنه بمجرد أن يطلع الانجليز على هذه الخطابات لن يصبروا دقيقه على قطع العلائق، فليس وراء ما جاء فيها مكان للشك فى سوء نية السيد نحوهم وما يضرهم لهم من بغض وعداوة رغم كل ماقدموه له من خدمات.

أقف عند هذا وفى الصفحات القادمة سنتعرض لما بقى من مقالب أشد وأنكى، انتهت الى قطع العلائق بين السيد السنوسى والانجليز، ونشبت الحرب التى كانت امنية نورى وجعفر أن تشتعل، ولو أحسنوا التقدير لعلموا انها لن تكون حربا، بل كارثة عليهم وعلى جيش السنوسى، وفشلا نريعا فى تحقيق الهدف الذى نذبتهم حكومتهم العثمانية للقيام به وتأييته على الوجه الأكمل.

٦- محاولات جراسنوسى للإشتباك مع الإنجليز

كانت الصدمة شديدة على نورى وجعفر عندما فشل التبشير الثالث وظننا أن فيه الضربة القاضية على ما بين السيد الامام السنوسى والانجليز، وان الإنجليز لا يمكن أن يحتملوا أكثر مما احتملوا وأى خير يرجونه من توبدهم وتملقهم للسيد السنوسى بعد أن تكشفت لهم نواياه وأن ألد أعدائهم لا يمكن أن يضمروا لهم من البغض ما يضمره لهم السيد. وهل هناك عداوة أمر واقسى من أن يكتب السيد الامام بصفته نائب خليفة المسلمين فى إفريقيا خطابات الى زعماء المسلمين وقائمتهم يحرضهم على الثورة ضد الإنجليز ويدفعهم إلى عصيانهم والتمرد عليهم فأى كراهية وأى عداوة أشد مما عبرت عنه خطباته والحرب مستعرة الأوار والانجليز يصطلون جحيمها، وهال نورى وجعفر هذا الدهاء الذى أظهره الانجليز فى إعانتهم خطابات السيد اليه مرفقة بذلك الخطاب الهين اللين الذى يسيل مكرًا وكهانة فيسمح سخامات الصدور، لو أن السيد الامام كان من أولئك الذين يخدعهم لين الأفاعى ولكن هيهات.

رأى نورى وجعفر بعد هذا الرد الانجليزى الذى فوت عليهم أخط ما بيرا أن يسلكا طريقا غير الذى اتبعاه فى المقلب الماضى وأن يجعلوا الانجليز والسيد السنوسى أمام الامر الواقع فى ثورة مشبوبة الأوار تقطع كل صلة بينهما وتسوقهما الى الحرب وبدءا فى

تنفيذ خطتهما فأرسلا فى شهر اكتوبر سنة ١٩١٥ قوة من الجيش السنوسى قوامها أربعمائة رجل وثمانية ضباط بقيادة وصفى باشا الخازمى (ضابط طرابلسى متخرج فى الكلية الحربية فى استانبول» ونزلت هذه القوة فى حطية قريبة على مسافة ١٧ كيلو من الشمال الغربى من سيوة، وفى هذه الحطية نفسها تعسكر قوة من هجانة الحدود بقيادة الملازم الثانى أحمد سالم، وهذه القوة تابعة لقسم مرسى مطروح وكان مركز سيوة فى هذه الأونة قد أصبح تابعا فى إدارته لمصلحة الحدود والسواحل بعد أن عجزت وزارة الداخلية حينذاك عن تأمين الامن فيه ووقوع عدة حوادث كان ضحيتها فى احدى المرات مأمور المركز وضابط وبعض العساكر، وأصبح هذا المركز تابعا لقيادتى فعينت فيه الملازم أول أحمد منصور (الاميرالائى أحمد منصور) معاونا يقوم بأعمال المأمور وأرجو أن أصل يوما بذكرياتى الى أن افى هذا الضابط حقه من تقدير مواهبه عندما يأتى دور الحديث عنه، بعد اعلاننا الثورة على الانجليز فى الحدود الغربية فى نوفمبر سنة ١٩١٥، وما قام به فى جد ودأب أثناء الجهاد الطويل المرير فى سبيل الوطن العزيز، هو وزميله الملازم الثانى محمود عبد الواحد (الاميرالائى محمود عبدالواحد) وهما الباقيان على قيد الحياة أطال الله حياتهما، وأما الباقيون من اخوانهما الضباط المجاهدين فقد جاؤوا الرفيق الأعلى شهداء خالدين فى جنة عرضها كعرض السماوات والارض اعدت جزاء وفاقا لذلك الجهاد المرير الطويل الذى لا يصبر عليه إلا أولو العزم المؤمنون.

المقلب الرابع

نعود بعد ذلك الى القوة السنوسية بقيادة وصفى والتي توغلت فى الحدود المصرية ونزلت فى حطية قريبة التى تعسكر فيها قوة الهجانة المصرية. علمت بنزول هذه القوة فى قرية من برقية وصلتنى من معاون مركز سيوة الملازم أحمد منصور فقشرت ان هذا العمل الايجابى لابد من أن يكون المقلب الرابع الذى بیره جعفر لاشعال نار الحرب وقلت فى نفسى ترى هل سيادة السيد الامام السنوسى يعلم شيئا عن هذه القوة المسلحة من جيشه التى بخلت حدود مصر وهل يعلم أن معنى ذلك اعلان حرب، وبمجرد أن وصلتنى برقية سيوة أخطرت الجهات العليا بمحتوياتها ولم تمض ساعات حتى جاءتى الأوامر بأن اقوم فى الحال الى سيوة وأتصل بقائد السنوسية «وأقنعته» بمبارحة حدود مصر وأفهمه بما يترتب على بقاءه داخل الأراضى المصرية فقمت فى الحال بسيارة «فورد» وهى أول سيارة

فى التاريخ كله تقطع الطريق بين مرسى مطروح وسيوة والمسافة (٣٦٠) كيلو مترا.

الجنية

وصلت سيوة فقابلنى الموظفون والأهالى بمظاهرة فرحين مسلمين وصار بعض اهالى سيوة الذين لم يروا فى حياتهم سيارة تمشى على الأرض بهذه السرعة وصاروا يتمسحون فيها ويعضهم يقول هذه «جنية» ويعضهم يقول هذا «البراق».

ويمجرد وصولى بعثت رسولا الى وصفى «باشا» قائد القوة السنوسية فى قرية اخطرتة بوصولى، واننى سأزوره غدا، وعينت الساعة وفى الصباح قمت الى قرية ومعى الملازم أحمد منصور وعند وصولنا الى معسكر السنوسيين وجدت وصفى قد أعد لاستقبالنا حرس شرف، ويعد أن انتهينا من هذه المراسم ذهبنا الى خيمته فأكرمنا وبألف فى الاكرام، ثم بدأت معه الحديث وأنى موفد من قبل الحكومة المصرية لايبلغه أن نزوله فى قرية داخل الحدود المصرية بقوة مسلحة أمر غاية فى الخطورة على العلائق بين مصر وجارتها الشقيقة العزيزة برقة وهو كضابط عظيم لايجهل ماينطوى عليه مثل هذا الاعتداء وانى مكلف من قبل حكومتى أن أطلب منه مبارحة حدود مصر حتى لايحصل ماالانرغب فيه نحن ولا أنتم وماالاتحمد عاقبتة ولا أظن سيادة السيد الامام أحمد الشريف السنوسى يرضى ذلك أو يأمر به، فما كان من البكباشى «وصفى» الا أن قال لى (ياسيدى أنا عبد مأمور وجندى أنفذ ماصدر لى من الأوامر) ثم قدم لى ورقتين احدهما من السيد السنوسى يأمره بأن يأخذ معه قوة قليلة لم يعين عددها وينذهب إلى حطية (قرية) فى حدود مصر لتحصيل الجمارك من القوافل ثم قال: «وأنا ماجئت محاربا ولكن الأوامر التى عندى أن أعسكر على الحدود لكى أحصل الجمارك من قوافل تجار المجاورة من أهالى جالو وأجلة الذين يأتون من مصر ويدخلون الحدود الليبية. دون أن يدفعوا للحكومة السنوسية رسوما جمركية على تجارتهم. وقدم لى ورقة ثانية من نورى باشا بامضائه يأمره أن يأخذ قوة قوامها أربعمائة جندى ويجانبه ضباط ويعسكر بها فى حطية قرية (وعينها بالاسم) لكى يحصل الفوائد الجمركية من تجار المجاورة الذين يعبرون الحدود فقلت له مادام الغرض هو تحصيل الرسوم الجمركية من القوافل فإن حطية قرية ليست المكان الأصلى من غيره لهذا الغرض ويمكنكم أن تحققوا هذه الغاية فى غير حطية قرية وتكون أصلى لكما كما تكون خارج حدود مصر وبذلك تجمعون بين تحصيل الرسوم الجمركية وتجنبون

انفسكم هذا الوضع الذى لايمكن تفسيره إلا انه اعلان حرب على مصر، ولكم فى جهة المناصب والمالقة والقيقب وقارة الشهناب وقارة المجابرة وجغوب نفسها لكم فى كل هذه الاماكن مايصلح لان تعسكروا فيه لتحصيل الرسوم الجمركية فقال لى إني أسف كل الأسف حيث لا أستطيع ان أترك قرية المحددة فى الأمر الذى بيدى الا إذ صدر امر آخر من سيادة السيد السنوسى ومن القائد نورى باشا، فقلت له إن أمر السيد السنوسى ليس فيه تعيين قرية بالذات فقال: ولكن أمر القائد يحدد ذلك، وجئته بخريطة للحدود وأوضحته له كل ماقلته عليها ولكنه أصر على تنفيذ أمر نورى باشا فرأيت انه لايريد ان يقتنع فقلت له إني أحملك مسئولية ماسيحصل نتيجة لهذا الاصرار على البقاء داخل الحدود المصرية، فقال لى لا حيلة فى ذلك. انا انفذ أمرا ولو اضطررنى ذلك الى القتال فعلمت ان الرجل لايفهم أكثر من ان ينفذ حرفية الامر الذى بيده من نورى، وأن المسألة ليست بتحصيل عوائد جمركية بل عمل استفزازى له مابعده من النتائج، فأنكرت نهاية ماوصل اليه تدبير جعفر ليزج السيد السنوسى فى حرب غير مستعد لها، وأدركت أن السيد الامام لم يعرض عليه أكثر من إرسال قوة صغيرة لتحصيل عوائد جمركية، وشدة حاجته للمال لتموين قواته المرابطة أمام الطليان فى برقة تجعله يقبل كل مايرى فيه عوناً على امداد جيشه حتى يصمد فى دفاعه.

احتجاج

أنهيت كلامى مع البكباشى (اللواء) وصفى فودعنا بنفس الاكرام والاحترام فى استقبالنا، وعند وصولى سيوة أبرقت للاميرالاي اسنويك بما دار بينى وبين قائد قوة السنوسية، وفى ثانى يوم جاعنى رده يقول: «قدم احتجاجا لقائد هذه القوة وعد سريعا إلى مرسى مطروح تجد خطابا مهما للغاية نفذوا ما جاء فيه» فقممت فى الحال إلى قرية وقدمت للسيد وصفى احتجاجا كتابيا باسم الحكومة المصرية. ثم عقدت معه بعد ذلك جلسة خاصة عربية مسلمة بين مصر والشقيقة العزيزة ليبيا والتي لم تنخر مصر وسعا فى مساعدتها أثناء الاعتداء عليها، وقلت له: اسمع ياوصفى بك انت نزلت بقوتك فى قرية وها انت ترى فيها قوة من الهجانة المصرية واخشى ما أخشاه وقرية لاتوجد فيها غير بئر واحدة للماء تستقى منها القوة المصرية وها انت لن تجد ما تستقى منه قوتك غير هذه البئر الواحدة وهجين القوة المصرية ترعى من عشب حطية قرية وجمالك أيضا لن تجد

مرعى غير هذه الحطية وأخشى ما أخشاه اذا نحن لم نضع نظاما دقيقا يتعهد كل منا بتنفيذه بأمانة واخلاص أن تكون النتيجة صداما بين جنودنا وجنودكم بسبب الماء والمرعى وأى عار بل أى تبعة ثقيلة تقع علينا نحن المسئولين أنا وأنت اذا وقع شىء من ذلك بين المصرى والليبي بل بين العربى والعربى والمسلم والمسلم فقال لى: أنا مستعد كل الاستعداد أن أنفذ فى دقة واخلاص كل ما تأمر به لتجنب أى حادث لا قدر الله يقع بيننا وبينكم وبناء عليه وضعت نظاما دقيقا للأيام والساعات لكل من القوتين للورود على البئر بحيث لايجتمعان أبدا على الماء فى وقت واحد ثم قسمت الحطية إلى منطقتين منفصلتين لرعى الابل بحيث لايتجاوز قوة منهما منطقتها. ثم جمعنا بين الضباط وضباط صف القوتين فى حفلة تعارف وصداقة وألقيت عليهم كما ألقى وصفى مايجب للأخ على أخيه من واجبات اذا تجاوزا ان يتزاورا فى محبة ومودة. حتى تنتهى الجهات العليا الى قرار فيه مصلحة الجميع. وودعنا بعضنا بعضا ونحن على أتم مانكون من الصفاء. وعدت الى سيوة ثم الى مرسى مطروح بعثت برقية بملخص ماتم بيننا وبين القوة السنوسية فى قرية.

تحريض على الثورة

وجدت مطروفا باسمى ومكتوبا عليه «سرى جدا» ولما فضضته وجدت بداخله خطابا لشخصى من الجنرال ماكسويل وآخر الى اللواء هنتر (٢٨) باشا لكى يحول الى خطاب ماكسويل وخطاب من هنتر الى اسنو ليسلمنى خطاب الجنرال ماكسويل ولما طالعت خطابى المرسل من ماكسويل قرأت فيه أن الاتراك قد غرروا باصغر اشقاء السيد أحمد السنوسى وهو السيد هلال السنوسى ودفعوه الى أن يخرج على طاعة أخيه السيد أحمد وسخروه للوصول الى افساد العلائق بيننا وبين السيد الكبير وذلك بأن يشعل ثورة فى سيدى برانى (٢٩) وهما هو قد مضى عليه نحو أسبوع يجمع فيه العمد والمشايخ من أولاد على ومشايخ الزوايا ويحرضهم على الثورة وهو فى كل ليلة يهاجم قسم سيدى برانى ويطلق عليه النيران فقتل بعض الجمال واصاب بعضها بجراحات والتعليمات الصادرة الى قسم برانى تمنعهم بتاتا من أن يقابلوا هذا الاعتداء بمثله وقد أنذرنا السيد هلال بما سيصيبه اذا هو استمر على غيه هذا وعرفناه أن السيد احمد غير راض عن عمله هذا وناقم عليه وقوض الينا الأمر فى أن نتخذ معه كل اجراء وبالرغم من ذلك فهو لايزال سائرا فى غلوائه يؤجج نار الفتنة باسم خليفة المسلمين وها أنا أبعث إليك فى هذا صورة

من البرقيات التي وصلتنا من سيادة السيد أحمد الشريف السنوسي وفيها تعلمون مقدار أله وأسفه وسخطه على السيد هلال. ويقول في برقياته للحكومة المصرية أن تتخذ ماثشاء من اجراءات نحو السيد الهلال فهو خارج على طاعتنا مخالف لأوامرنا وأصبح مسخرا لغيرنا للاضرار بمصلحة وطننا، فهو الآن مسئول وحده عن كل ما يأتية.

قرأت تلغرافات السيد الامام السنوسي للحكومة المصرية وأنه يتبرأ من أعمال السيد هلال وكانت تنطق بالمرارة من تصرفات السيد هلال وظهوره بهذا المظهر الذي يدل على انقسام البيت الكريم بعضه على بعض. ينقسم البيت العظيم بيت السنوسي باعث الجهاد في وقت ينظر فيه العالم الاسلامي كله بعين الاجلال والاكبار للجهاد العظيم والبطولة النادرة والبسالة المؤمنة وكيف رفع هذا الجهاد الباسل رؤوس المسلمين في الشرق والغرب وأعاد الثقة في نفوسهم وأوحى اليهم من جديد انه لاغالب للمسلمين من الناس ان كانوا مؤمنين.

قرأت برقيات السيد الجليل فتملكني من الأسى والألم ما لايسطيع هذا القلم تصويره، ثم مضيت في قراءة بقية خطاب الجنرال ماكسويل الذي يطلب مني. وقد أعيتهم الحيل في اقناع السيد محمد هلال بالعودة الى السلم والنزول على إرادة الوصى عليه السيد الامام أحمد الشريف يطلب مني أن أقوم مسرعا من مرسى مطروح إلى سيدى برانى حيث يعسكر السيد هلال ويجمع الجموع وينشر بينهم أمر الخليفة بإعلان الجهاد ولكن على من، على الضباط المصريين والجنود السودانيين في قشلاق الحدود بسيدى برانى ويكلفنى الجنرال ماكسويل أن أبذل جهدى لاقتناع السيد هلال بالعودة من حيث أتى والا فإنه اذا تمادى فيما يفعل فإنه سيندم طول حياته على كل مايقدم عليه بعد أن تأكد الانجليز انه خارج على أمر سيده وولى أمره السيد الامام، ويختم الجنرال ماكسويل خطابه بكثير من الاطراء لشخصى.

الضحك على النقون

وعجيب أمر هؤلاء الانجليز فقد أتقنوا فن الضحك على النقون، اذا كانت لهم حاجة عند أحد فلا يخلون عليه بما يستحق وما لا يستحق ويخلعون عليه من الثناء ثوباً فضفاضاً. طويت الخطاب واستعنت بالله أن أوفق في هذه المأمورية ولا وريى ماكانت النية إرضاء الانجليز والنزول على أمرهم ولكنى أردت رأب هذا الصدع الذى يريد أن يحدثه السيد

هلال فى بناء البيت الرفيع العماد بيت السنوسى العظيم - ركبت السيارة ويممت، قسم سيدى برانى فوصلت فى نحو الساعة ٢ مساء والتقيت بمأمور المركز وأظنه ولا أقطع أنه السيد على عبدالوهاب (الاميرالاي على عبدالوهاب محافظ العريش أطال الله حياته) وسألتها عما لديه من معلومات عن السيد هلال فقال لى: انظر ناحية زاوية سيدى برانى، يدلك المنظر على مايجرى هناك وهى الزاوية التى اتخذها السيد هلال مركزا لقيادة ثورته التى يريد أن يشعلها كما صور له خياله وزينها له جعفر وبقعه الى الخروج على أمر عائلته أخيه الأكبر إمام المجاهدين السيد أحمد الشريف السنوسى - نظرت بالنظرة المكبرة إلى ناحية الزاوية فإذا حشود كبيرة من الرجال وخيل وجمال. وقص على السيد المأمور مايلاقونه كل ليلة من اعتداء الاعراب واطلاق النيران وقتل بعض الجمال وترويع النساء والأطفال داخل الثكنة وهم مكتوفو الايدي لا يستطيعون أن يقابلوا الاعتداء بمثلها اطاعة للأوامر والتعليمات الصادرة.

أدركت الموقف الذى ارتضاه السيد هلال وإن لم أستطع ان أقدر مداه فلم أضيع وقتى وركبت السيارة وليس معى أحد غير السائق فاعترض السيد المأمور وقال أتذهب الى هؤلاء المجانين بمفردك قلت نعم سأذهب اليهم بمفردى فلست عدوهم ولا محاربا لهم وأنا اعرف السيد هلال - عندما جاء من السلوم لزيارة الاسكندرية لأول مرة ونزل ضيفا على عندما كنت قائدا لقسم الضبعة فقال لى المأمور أنا أخشى عليك كثيرا من هؤلاء القوم وربما يصيبك اذى قبل أن يعلم السيد هلال بمجيئك فقلت له لاتخف فالله معنا.

وأمرت السائق بالسير نحو الزاوية وفى دقائق معدودة وصلنا واخرقنا الجموع إلى باب الزاوية ونزلت من السيارة وسمعت الكثيرين ينادون القومندان(٢٠)، القومندان وسألت أين السيد هلال فقالوا (جوه) مع العمد والمشايخ دخلت عليهم فلما رانى السيد هلال قام وقام معى وأحسن لقائى ورحب بى كثيرا وأجلسنى بجواره ثم واصل حديثه مع المجتمعين من العمد والمشايخ (المرفوتين) بسبب تهم وجهت اليهم أو اهمال فى أداء وظيفتهم.

سيدى تجلنز

وعلى العموم نظرت اليهم علمت انهم الموتورون الحاقدون على الحكومة - وبدأ يقول لهم السيد هلال «سيدى أحمد تجلنز - أى صار انجليزيا - ولم ينفذ أمر السلطان خليفة المسلمين بعدما أعلن الجهاد وعينوه نائب الخليفة الأعظم فى افريقيا والدولة زعلانة منه

لانه لم يقم باعلان الجهاد ونورى باشا وجعفر باشا كلفوني أن أنفذ أمر السلطان وبناء على أمر الدولة. انا جيت لكم يا اولاد على لكى نعلن الحرب على الكفرة الانجليز واللى يساعدهم (يعنى من المصريين) وانتم سيأتيكم خير كثير من الدولة العلية (وعلمت فيما بعد انه كان يكرر هذا الكلام ويردده فى كل مجلس وفى كل يوم) وفى أثناء كلامه كان يظهر التقرزز والالكم على وجوه المشايخ المجتمعين فأردت أن أجعل حدا لهذا الهراء فقلت: «ياسيد هلال أنا عندى معك كلام خاص بينى وبينك» عند ذلك قال للمجتمعين (الفاتحة) وأردفها: مايمشى منكم واحد لاني أريدكم بعد قليل وخرجوا وبقيت انا وهو وبدأت أحدثه ياسيد هلال هل تستطيع أن تعلمنى عن عدد القوة من المحاربين الذين وصلوا الى برقة مع سيدى ابن السنوسى رضى الله عنه عندما جاء اليه قال: سيدى ابن السنوسى ماجاء معه محاربون ولا كان على رأس جيش عندما دخل برقة. قلت إذن كم كان معه من البغال أو الجمال المحملة بالمال.

قال سيدى ابن السنوسى ماكان عنده مال ولا جمال ولا بغال، قلت إذن ماذا كان عنده وماذا كان معه عندما جاء الى هذا الوطن قال ماكان مع سيدى ابن السنوسى شىء غير. كتاب الله وسبحته وعلم العرب وهدى العرب وبنى الزوايا وتبعته العرب كلها. قلت عظيم ياسيدى هلال جدك العظيم الجليل القدر سيدى محمد على بن السنوسى رضى الله عنه وأرضاه الذى جدد شباب الاسلام وعلم الناس الدين وهداهم الى الطريق المستقيم ويعث فى نفوسهم عزة الاسلام ووجههم وجهة الجهاد لإعلاء كلمة الله وها أنت تنعم بالمقام السامى من تراثه وميراثه حتى وصل إلى هذا المقام بالمنتسبين اليه من هؤلاء العرب الا ينطق باسم واحد من افراد العائلة السنوسية الا اذا كان على طهارة، بلغ الاجلال لكم الى هذا الحد فما معنى هذا السلوك الذى تسلكه انت وهل تدري أنك بمثل كلامك الذى سمعته منك فى هذه الساعة تقوله للعرب عن سيدى احمد كبير هذه العائلة الآن وحامل لوائها وقائد جهادها وامام بينها وخليفة جدة اليوم فى هذا الموقف، هل تدري انك بكلامك تحاول أن تهدم هذا الصرح العظيم الذى شيده جديكم الكبير وهل لو صدق العرب بعض مايقوله لهم اليوم يبقى فى قلوبهم نرة من ذلك الايمان بدعوة سيدى ابن السنوسى اللى جعلتهم مؤمنين مخلصين لها عاملين على اتباع كل ما أرشدهم اليه خاضعين لكم هذا الخضوع الذى تحاول أن تستغله اسوأ استغلال.

لأجل مولانا

ياسيدي هلال اذا هدمت سيدى أحمد وزلزلت اعتقاد الناس فيه ماذا تكون انت من بعده ولصلحة من هذه الحملة الباطلة الظالمة التى تقوم بها بين عرب مصر هنا فقط نطق وقال لأجل مولانا خليفة المسلمين) فقلت له وهل تترك أنت حقوق خليفة المسلمين أكثر مما يتركها سيدى أحمد. ياسيدي هلال أنت تلعب بالنار ولا تدرى والذى ساقك إلى هذا إنما يريد أن يهدم بيتكم، ولكنه لن يستطيع لأن العرب والمسلمين لا يعرفون من أنت ولكنهم يعرفون السيد الامام والوصى على التراث العظيم السيد احمد الشريف والسيد احمد قد تبرأ منك أمام الحكومة المصرية ومن إجراءاتك فأصبحت وحدك المسئول عن كل هذه الحماقات التى تقوم بها وأنا أسألك بصفتى «قومندان» هذه المنطقة على من تتكل انت فى احداث ثورة أو شغب فى أرض مصر ونحن سادة هذا البلد ونحن أعلم بمصلحتنا ولست انت ولا من زين لك هذه الحركة أحرص منا على تحرير مصر من أعدائها فقل لى: اين هى قوتك؟ واين هم رجالك الذين تريد ان تحدث بهم هذه الحرب داخل حنوبنا وهذا التعدى الفاضح على قشلاق سيدى برانى وليس فيه أنجليزى واحد وكلهم مصريون وسودانيون مسلمون فما معنى هذه الحركات؟ فقل من هم الذين سيتبعونك لتواصل هذه الاعمال البعيدة عن العقل والحكمة والتى ليس لها الا نتيجة واحدة هى الاضرار بشخصك، قال كل أولاد على عمد ومشايخ وعرب كلهم معى تحت أمرى وأنت بنفسك رأيت اليوم العمد والمشايخ الذين كانوا هنا الآن. فقلت إذن أنت تتكل على هؤلاء - عظيم - نادى ياسيد خادمك (وأنا أعلم أن كل من كان فى الحجرة معه هم بعض العمد والمشايخ المرفوتين لتهم لحقت بهم واستوجبت فصلهم من الخيمة).

نادى السيد هلال خادمه فقلت له اذهب واستدع العمد والمشايخ الذين كانوا هنا، فخرج وبعد قليل دخلوا جميعا فقلت لهم اسمعوا انا اعرف من أنتم وأنتم تعرفون من انا وإنى أمركم ان تغادروا هذه الزاوية فى الحال ومن يتخلف منكم بعد خمسة دقائق سيعرف ماذا يكون مصيره فخرجوا، ونظرت الى الساعة فى يدي وامتنعت عن الكلام مع السيد هلال وهو ينظر الى ورأتى لا أتكلم حتى اذا مرت خمس دقائق بالضبط، قلت للسيد هلال نادى خادمك فناده قلت للخادم اذهب وادع العمد والمشايخ ان يعودوا الى هنا فذهب وغاب نحو ثلاث دقائق ثم عاد وقال ياسيدي العرب ركبوا خيلهم ومشوا فنظرت الى

السيد هلال وقلت أرايت ياسيد جيشك الذى تريد أن تغير به على مصر. ياسيد هلال إذا كان الذى حضر بدلا منى عربية أو عربيتين انجليزيتين مدرعتين ماذا يكون مصيركم والانجليز يعملون معك ما يشاؤون وهم واثقون وأمنون من جهة السيد الامام أحمد الشريف وهو الوحيد فى تقديرهم الذى يعملون له حسابا. ماذا كان مصيركم فى هذه الليلة - أرايت الحماقة التى ساقوك اليها من خدعوك.

ليه كده

قال والله يا قومندان أنا أقول لك اللى حصل. أنا فى السلوم جاني جعفر فى خيمتى وأخذنى الى نورى وكلمونى كثيرا عن الجهاد والخليفة وامر السلطان ومخالفة سيدى احمد لامر الخليفة ووعدونى بانهم سيولونى بدلا منه وأعطونى خمسمائة جنيه ذهبيا ووعدنى جعفر بانه سيرسل خلفى جيشا مع مدافع ومترليوزات لمحاربة الانجليز وصدقتهم وحضرت الى هنا وحصل اللى حصل فقلت له كفاك ما حصل منك وقم معى وأنا أحملك من شر ما ارتكبته من حماقات فقام معى فى الحال وأركبته معى فى السيارة ورأى بعينه أن كل الجمع الذى كان محتشدا تفرق ولم يبق أحد من تلك الزرافات وذهبنا الى سيدى برانى وتعشيننا عند حضرة مأمور المركز واتصلت تليفونيا بالسلوم وطلبت من اسنو أن يرسل خبرا للسيد الامام سيدى احمد لكى يرسل خيلا لركوب السيد هلال الى المعسكر فى مساعد، وبعد العشاء تحركنا بالسيارة فوصلنا السلوم فى منتصف الليل ووجدنا الاميرالاي اسنو ومعه الضباط الانجليز فى انتظارنا وطبعا كان سرورهم عظيما وسلموا على السيد هلال وقال له اسنو «ليه تعمل كده ياسيد هلال ولولا القمندان - أشار الى - كنت الليلة دى بدل ماتكون فى السلوم كنت فى الطريق الى مالطة» فأخذت أنا السيد هلال من يده وابتعدت به عن الضباط الانجليز ووصلت الخيل من معسكر السيد احمد وركبت السيد هلال وصعد الى معسكر مساعد وكانت هذه الليلة هى ليلة عيد الاضحى المبارك.

اليوم الفضيل

وفى صباح يوم العيد طلبت من الاميرالاي اسنو بك أن أضعه الى مساعد لكى أعيد على سيادة السيد الامام أحمد الشريف السنوسى ولكى أراه لأنه لم يسبق لى أن رأيته ولو أن المكاتبات بيننا كانت مستمرة فى مناسبات كثيرة منذ حضر من الكفرة الى جغبوب

فلم يعترض اسنو على طلبى وصعدت هضبة السلوم الى مساعد وقد علم المعسكر السنوسى بقدومى فكان لقاء كريما وكان أول من قابلنى رسول السيد هلال وانتحى بى جانبا وقال لى ان السيد هلال يريد أن تزوره قبل أن تزور أى أحد آخر وهو يرجوك كل الرجاء أن تفعل ذلك فلم أر مانعا واتجهت نحو مخيمه واذا به واقف ينتظرنى وما إن رأتى حتى احتضننى ورحب بى أجمل ترحيب ثم أخذنى الى داخل خيمته وانتحى بى ناحية بعيدة عن زحام الوافدين وقال لى فى لهفة وسرعة أرجوك وأستحلفك بالله وبرسوله ويسيدى ابن السنوسى وهذا اليوم «الفضل» «يقصد عيد الاضحى» ألا تذكر شيئا مما سمعته منى عندما تقابل سيدى أحمد، فقلت كن مطمئنا ياسيد هلال فلن يسمع سيدى أحمد ولاغيره كلمة واحدة مما قلته وثق يا سيد هلال اننى أحرص الناس على كرامة هذا البيت وسلامة كيانه. وان المسلمين فى الشرق والغرب يعلقون آمالا كبارا على وجوده فليس مثلى من يسعى للفرقة بين سادته بل كل همى منصرف الى تعزيزه وتأييده كما هو واجب كل مومن ولكن وصيتى اليك وقد تلقيت هذا الدرس القاسى أن تعرف أعداكم من أصدقائكم وان لاتأتى مرة اخرى مثل هذه الحماقة فتكون أنت ضحيتها أما مكانة السيد احمد فلن يستطيع مخلوق أن يزلزلها أو يززعها. والعالم الاسلامى كله فى الشرق والغرب يعرف قدره. وانتهت مقابلتى مع السيد هلال واذا بشخص لا بالطويل ولا بالقصير بدين الجسم ذى لحية سوداء كثة تحيط بوجه أبيض مستدير يدخل دار السيد هلال فقام الجميع اكراما له وتهامسوا جعفر باشا.. جعفر باشا.. وما إن رأتى حتى تقدم نحوى مظهرها اللهفة والشوق والسرور العظيم بمقابلتى واحتضننى وأجلسنى بجواره وأكثر من التحية ثم قال والله العظيم منذ زمن طويل ونحن أنا ونورى فى شوق شديد الى رؤياك والباشا يقصد «أنور باشا» فى كل خطاب يصلنا فيه يسأل عنك ويثنى عليك وسبق أن تزودنا عند قيامنا من استانبول بالكثير من أعمالك وما قيمته له وللمجاهدين عندما كان هنا يتولى قيادة المحاربين وشكرته ودعوت للباشا بطول العمر والتوفيق وبينما نحن فى هذا الحديث وإذا بأحد أتباع سيدى احمد الشريف يأتى ويطلبنا لمقابلته فقام جعفر وقمت معه وتوجهنا ناحية مقر السيد الامام ودخلنا وكان لقائى لسيادته لا أستطيع وصفه ولا التعبير عنه وقابلنا نورى وغيره من كبار الاخوان الذين كانوا فى حضرته ثم حضر فطور يوم الأضحى فاكلنا جميعا واعقب ذلك الشاى على الطريقة السنوسية ولما انتهينا منه

وانتهت المعايدة رفع يده الشريفة بقراءة الفاتحة قرأها الجميع وهي ايدان بالانصراف.
وقدم كل فرد يقبل يده الطاهرة وينصرف ولما جاء نوري قال لى فى همس انتظر فانصرف
الجمع كله ولم يبق غيرى فى حضرته.

٧- المقابلة الأولى مع السنوسى

لما خلا مجلس سيادة الامام السيد أحمد الشريف السنوسى من كبار رجاله، وخرج نورى وجعفر ولم يبق معه غيرى بدأ حديثه بالثناء على شخصى وبالف فيه حتى أخطئى ولاحظ تأثرى وحاولت أن أجعل حدا لهذا الاطراء فقال لى فى النهاية: يا ولدى انت شاركتنا من أول يوم فى حربنا مع الطليان بل شاركت فيها قبل أن أقدم الى جفبوب من الكفرة فلا يمكن أن ينسى هؤلاء العرب ما قمت به مع اخوانك الضباط المصريين، ولولاكم ما قامت حرب ولما انتظم جهاد، ولا وصل من استانبول ضابط ولا سلاح ولا عتاد فضلا عن خير مصر علينا الذى لانستطيع له وفاء ولسنا نملك غير الدعاء أن يجزى الله كلا بما قدم وأحسن وبفضل.

وها أنت فيما تقوم به الآن كيف يمكننى أن أسكت على تقدير هذا الإخلاص وهذه المحبة لنا والتفانى فى مساعدتنا بكل ما تقدر عليه ومن كان يستطيع أن يرأب هذا الصدع فى كيان العائلة السنوسية الذى أراسنورى وجعفر أن يحدثاه بوساطة السيد هلال والذى كشف لى عن نواياهم وما بيتوه، ووالله لولا ولائى ووفائى لدولة الخلافة وأرى فيها الحصن الباقى للمسلمين رغم ما هم عليه ولولا الصداقة المتينة التى تربط بينى وبين أنور باشا وتقديرى لما صبرت على هذه الأعمال التى يقوم بها جعفر ويسوق معه نورى ولكنهم وقد فضحوا أنفسهم بما دبروه مع السيد هلال فقد أنذرتهم وعرفوا اننى لن أثق بهم بعد

اليوم وإن أطمئن الى وجودهم في المعسكر ومنذ شهر وهم لا يفترون عن ترديد القيام بحركة ضد الانجليز ويأتى الى كل يوم نورى ويقول لى: «نريد حركة ياسيدى» - بالهاء - فأقول له يا نورى باشا يجب ان تفهم انك اذا كرهت اليوم الانجليز او الطليان أو غيرهم من هؤلاء المستعمرين فانما تكرهونهم كراهية سياسية يعنى اليوم هم لكم اعداء وفى غد إذا تم الصلح بينكم يصبحون لكم أصدقاء أما أنا فأكرههم ماحييت كراهية تجرى فى دمي ورضعتها مع اللبن ويوحى إلى بها إيماني كراهية نشأت فيها وعشت فيها وأنا أرى ما يرتكبه الفرنسيون فى السودان الغربى وما يرتكبه الطليان فى ليبيا وما سمعته من آبائي عن فظائع الفرنسيين فى المغرب وما يأتى الانجليز فى مصر والسودان وكثير من بلاد أفريقيا، فكل جارحة من جوارحي وكل قطرة من دمي بل كل خفقة فى قلبي كل خلجة من خلجات نفسى يوحى بالكراهية.

إن لست أنا الذى يتردد فى حرب أى من هؤلاء سواء اكانوا الانجليز أم غيرهم وها انت ترى ما نحن فيه من سوء الحال وقلة المدد ومع هذا لا زالت معسكراتنا فى برقة صامدة أمام الطليان والله يعلم أنهم كثيرا ما يبيتون على الطوى ويصارعون الردى، وأنا لو استطعت لأشعلتها حريا ونارا على أعداء بلادنا وأعداء المسلمين الذين يتحكمون فى ديارهم ورقابهم ولكن كيف تطلب منى أن أتحرك وأعلن الحرب على الانجليز وأنت أعلم منى بحالنا وكنت أظن انك آخر من يطلب منى ذلك الطلب لأنك أول مسئول عن الاعداد والتجهيز حتى اذا قمنا بالحركة التى نريدها حققنا غاية ووصلنا الى هدف ولكنك لم تعمل شيئا حتى الآن ولم تستكمل نقضا ولم تهئ جيشا له أى قيمة حربية، فقل لى بربك ماذا تكون نتيجة هذه الحركة غير تقديم الآلاف من أبناء برقة للذبح والموت الرخيص فهل هذا يرضيك وهل يرضى أنور باشا لو علم بما نحن فيه؟ لا، لا. أنا لا أقوم بحركة الا اذا كان لدينا بعض الاستعداد ولا أقول الاستعداد كله، أما وأنا أرى وألمس انه لا سلاح ولا ذخيرة ولا عتاد ولا مؤونة ولا وسائل نقل بل ليس لدى العساكر نعال فى أرجلهم ولا ملابس تقيهم بردا ولا حرا فكيف تكون هذه الحركة؟ بل أكثر من ذلك هؤلاء المجاهدون فى هذا المعسكر يتمنون يوما بيوم من سوق السلوم يعنى بما يسمح الانجليز بتوريده من مصر، فكيف اذا نشبت حرب بيننا وبينهم وقفل الباب فمن أين يكون التموين، هل لديك خزين أسبوع واحد من المؤونة لهؤلاء المجاهدين؟ لا شىء.

حوار مع نوري

كان يا ولدي يسمع نوري مني هذا الكلام ولا يستطيع الجواب عليه ثم يعاودني طالباً الحركة فتأكدت أن القوم غير جادين وانهم ملوا الحياة في المعسكر لأنه ليس فيه ما ينعمون به، حياة صحراوية قحلة قفرة مجربة، لاترف فيها ولاملذات ولكن ما حيلتي في ذلك وما نذب هؤلاء الذين يريدون أن يدفعوهم إلى الموت الرخيص؟ هذا هو حالنا وما أخفيت عنك أمراً ولا كتمت سرا وأنت من أعز الأبناء وأصدقهم وأخلصهم لنا ومع كل فليس فيما قلت سر، لأن الانجليز يعرفون ما نحن فيه وجواسيسهم تجوب معسكرنا ليلاً ونهاراً ولا رقيب ولا حراسة وعليه فهم لا يجهلون من أمرنا شيئاً وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وانتهى الحديث، وإذا بالسيد الامام رضى الله عنه وأرضاه قد أمر لى بخلعة سنوسية من أغلى ملابسهم وكانت طقما كاملاً فجاء الخادم ببقجة كبيرة (٢١) فيها هذه الهدية المباركة وقدمها الى معتذراً بأنه كان يود أن يقدم شيئاً أكثر من ذلك، فقلت يا سيدي هذه في نظري أغلى ما كنت أتمناه وأعز ما أفتخر به وسأصونها طول حياتي وأوصي أن يكون بعض كفني منها، فدعا لى بخير ولا شك أن دعاءه المستجاب هو الذي أسعدني الى اليوم في حياتي رغم ما لقيته أثناء الجهاد المرير، فودعته وداعاً مؤثراً وخرجت من حضرته وما مشيت خطوات حتى قابلني جعفر باشا وكأنه كان يرصد خروجي من حضرة السيد فسلم وقال لى ان الباشا (نوري) ينتظرك في خيمته فذهبنا معا فقابلني مقابلة حارة وبعد عناق جلسنا نتحدث فقال لى: «نحن نعرفك معرفة تامة من زمن بعيد وقد سمعنا عنك من الباشا (يقصد أنور باشا) الشيء الكثير وسمعنا أكثر بعد وصولنا الى هنا» فقلت في نفسي والله إن ما سمعته عنى هنا لايسركم ولايرضيكم، وانتم تعملون جاهدين على زج السيد الامام السنوسى في حرب مع الانجليز ولم تكلفوا أنفسكم أن تقوموا ببعض الواجب في اعداد جيش أو شبه جيش ليحقق شيئاً من الهدف الاستراتيجى الذى جئتم الى افريقيا من أجله.

بدأ السيد نوري حديثه يقول: «والله اننا في حيرة شديدة من أمر السيد أحمد فهو يعدنا بأنه سيأمر بالحركة ضد الانجليز بعد شهر مثلاً ونكتب نحن الى استانبول بذلك ثم يأتى بعد مرور الشهر ليقول لنا أنتنى رأيت سيدي المهدي في المنام فقال لى

آخر الحركة، ويعين ميعادا آخر، فنكتب الى استانبول أيضا وعند حلول الميعاد ومطالبتنا له بالحركة يقول انه رأى سيدى ابن السنوسى يقول ان استعدادكم لايفنى للقيام بحركة فلا تقدم عليها الآن ويعين ميعادا آخر وهكذا أصبحت التحركات الحربية مرتبطة بالاحلام! فهل سمعتم شيئا أعجب من هذا؟ فسألت. يا باشا هل انتم الآن على استعداد للقيام بهجوم أو بمباداة الانجليز بالحرب؟ قال نعم: قلت هل استكملت كل شيء بحيث تستطيع قوتكم ان تصمد أمام عدو لاتظنوا انه غير مستعد لمقابلتكم. قال نعم نحن مستعدون تماما. وبعد هذه الجملة مباشرة قال أنا أريد أن أسألك: هل اذا قام ضابط من عندنا على رأس «مفرزة» والمفرزة فى اصطلاح الجيش التركى هى القوة الصغيرة المركبة من مختلف الاسلحة، هل يستطيع قومندان هذه القوة ومعه نقود أن يمونها بعد نزوله من السلوم ودخوله الحدود المصرية؟ قلت ماذا تقول يا باشا؟ تريدون تموين جيشكم من العقبة والعقيبة؟ - وهذه أسماء المنطقة بين مريوط والسلوم - يا باشا يجب أن تعلم أن عرب أولاد على وهم سكان الصحراء الغربية يصبحون بمجرد أن يقفل الانجليز باب تموينهم فى أشد الحاجة الى ان تقوموا أنتم بالتموين اللازم لهم لا أن يقدموا لوحداكم مؤونة، ومن قال لسعادتك ان فى العقبة أو العقيبة مخازن ومتاجر وأسواق تباع فيها المؤن؟ فرأى نفسه انه قد تورط أكثر من اللازم فقال: «لا. لا. نحن عندنا مؤن ولكن أقول ذلك لأنه ربما تطول الحرب فنحرص على ابقاء المخزون عندنا ونشتري غيره» وقد ثبت بعد قطع العلائق مع الانجليز ونزولهم الى السلوم انه لم يكن لدى الجيش مؤونة يوم واحد الامر الذى اضطر المجاهدين ان يسطوا على خزين العرب من تقاوى العام المقبل ليتمونوا به فضلا عن اعتدائهم على كثير من مواشى وأموال أولاد على... لم يقف الباشا عند هذا وسألنى سؤالا آخر. قال أظن ان جميع أولاد على مخلصون للسيد ولدولة الخلافة وانهم سمعوا بإعلان الجهاد، وطبعا كلهم عندهم سلاح ويستطيعون ان يحاربوا معنا؟ قلت أما عن الاخلاص والرغبة فى الجهاد فنعم أما عن السلاح فلا، وكنت أظن أن الباشا يعلم أن قانون حمل السلاح فى مصر يمنع من حيازة سلاح الحرب الا بترخيص وان يستطيع واحد من أولاد على الحصول عليه ولهذا يجب أن يكون لديكم من السلاح والذخيرة ما يكفى لمن يريد المساهمة فى الجهاد.

منافسة بين القواد

واستترك وقال: عندنا سلاح كثير ونخيرة زى التين.. وظهر بعد ذلك أن كثيرا من أفراد الجيش نفسه لا سلاح معه ولا نخيرة. قلت يا باشا مضى عليكم نحو تسعة أشهر وانتم على حدود مصر الغربية فكان يجب أن تكون معلوماتكم وافية عن الحالة فى هذه الحدود ونصيحتي اليكم أن تستكملوا استعداداتكم قبل أن تقدموا على المخاطرة بحركة مذبوحة ولا تظن أبدا ان الانجليز من الضعف بحيث لا يستطيعون أن يقابلوكم بقوة يقدرون لها الغلبة عليكم ثم ارجو بإخلاص الا تؤولوا تملقهم وأدبهم ولينهم مع السيد السنوسى الى شىء أكثر من أنهم لا يرغبون فى فتح جبهة ثانية فى حدود مصر الغربية فى الوقت الذى يرقبون فيه هجوما من الشرق على القنال ومشغوليتهم فى الدرنيل وخوفهم من ثورة فى مصر اذا اجتاز جيش الشرق قنال السويس، وكما يقال انه سيكون على رأسه خديوى مصر كل هذا يحملهم على أن يهادنوا سيادة السيد السنوسى ما استطاعوا الى المهانة سبيلا لكسب الوقت وأكرر مرة أخرى انه ليس معنى ذلك عجزهم عن مقابلتكم بقوة تفوق قوتكم بكثير والعجيب ان معسكركم مفتوح للغادى والرائع وانهم يعلمون عنكم كل شىء. بل ويعرفون قوتكم بالضبط حتى الموجودة فى بير واعر وهى القوة التى تحرصون على أن تكون فى سرية لايعرفها غيركم، عندما قلت قوة بير واعر ذهل نورى واضطرب جعفر وقال: كيف؟ كيف؟ قلت نعم يعرفون كل ذلك. فقال نورى نحن نخشى إذا تأخرنا عن الحركة أن يسبقنا فى الدخول الى مصر جمال باشا ونحن نريد أن نسبقه إلى ذلك أو على الأقل ندخل معا هو من الشرق ونحن من الغرب (وفيما بعد علمت السر فى ذلك وهو المنافسة الشديدة التى كانت بين أنور باشا بصفته وزير الحربية وجمال باشا وهو لايريد انتصارا لجمال بأى حال ولهذا كان الهجوم على القنال ضعيفا هزيلا مخجلا بسبب تقاعس أنور باشا عن تجهيز جيش الشام التجهيز الواجب للهجوم على القنال فكانت الهزيمة الشنيعة التى لم تكلف الانجليز شيئا يذكر والتى خيبت الآمال) ثم واصل نورى حديثه فقال: «نحن نريد أن نخرج الانجليز من مصر ونرد لمصر جميلها فى موقفها معنا فى حربنا مع الطليان فى ليبيا والتى لولاها ما استطعنا أن نرد بعض اعتبارنا بين الأمم ولذهبت ليبيا ضحية رخيصة وخلفت لنا العار. نعم تركنا ليبيا ولو أنها لاتزال تحارب وتناضل من غير أن نكون معها الآن ولكن استيلاء الطليان عليها بعد أن خلع السلطان

عبد الحميد وقيام تركيا الفتاة بأعباء الحكم فإذا بها تفقد آخر ولاية لنا فى افريقيا دون طلبة واحدة كان هذا منتهى الخزي الذى يسجله التاريخ علينا (وكان جعفر يترجم له بعض الكلمات التركية التى يستعصى عليه معرفتها باللغة العربية) ولما رأيت نورى بدأ يتكلم فى السياسة أردت أن أخوض معه فيها فقلت له أخشى يا باشا أن تكون نيتكم مبيتة على أنه إذا استطعتم اجلاء الانجليز من مصر أن تفكروا فى العودة لحكمها. فما أن سمع ذلك حتى انتفض وقال كيف تحدثنا انفسنا بذلك؟ ونحن نعلم ان مصر أصبحت أعلم منا وأغنى منا وأكثر عددا منا وأوسع ثقافة فى كل ناحية؟ لا. لا هذا لا يخطر على بال أى من رجالنا القائمين فى الحكم بل نحن جميعا نريد أن نرى مصر دولة مستقلة صديقة لنا تقف بجانبنا ونقف بجانبها دولة مسلمة قوية. ونحن نريد أن نكفر عن أخطائنا نحو مصر، فنحن نشعر أن موقفنا السلبي عندما أقدم الانجليز على الهجوم على مصر وسكوتنا على ذلك، كان هذا الموقف خطأ شنيعا سهل على الانجليز احتلال مصر فأصبح من واجبنا كما أخطأنا نحوها فى الماضى أن نصلح هذا الخطأ متى مكنتنا الفرص ونساعدنا على استقلالها. وأرجو من اخواننا المصريين جميعا أن يثقوا بنا ويطمننوا الى حسن نيتنا واخلصنا فى صداقتنا. وهذا السؤال الذى سألتنى اياه سألته محمد فريد بك رئيس الحزب الوطنى المصرى للمسئولين فى استانبول فأذكوا له مثل تأكيدى هذا لك وزيادة».

بركان ورائى

وعندها أردت ان اجعل حدا للحديث فقد طال فقلت له أرجو ان تفهم استانبول أن حملتكم فى الشرق وفى الغرب على مصر لاجلاء الانجليز اذا فشلت فستترك أسوأ الأثر فى نفوس المصريين المتشوفين لهذا الهجوم حتى يشتركوا معكم بثورتهم ودمائهم فى سبيل الخلاص من الاحتلال فاعملوا جاهدين على استكمال استعدادكم حتى نضمن النجاح لنا ولكم. والله ولى التوفيق فقال إن شاء الله سنوفق ونحقق لمصر هدفها. وتصافحنا وخرجت ونزلت إلى ميناء السلوم حيث قابلنى اسنو بك وما إن صافحنى حتى سألتنى كيف وجدت سيدى أحمد؟ قلت بخير وفى صحة وعافية ثم قال ما رأيته فى هذه الحوادث المتتالية التى لاتنقطع؟ قلت غير راض عنها قال إذن لماذا لا يمنعها ويكون صديقا لنا كما نحن له ولا يعرض نفسه ورجاله إلى العاقبة السيئة جدا عليه؟ قلت سيعمل، وإذا باسنو يضع يده على كنفى ويقول: اسمع منى اؤكد لك انه مادام الترك فى معسكر السيد

فسيفليوبته على أمره وسيجد نفسه في حرب معنا رضى أو لم يرض وفى وقت قريب ونحن إذا أسفنا على هذه النتيجة فإنما نأسف لأننا كنا نود أن تبقى صداقتنا مع السيد السنوسى مستمرة. ولكن لا لوم علينا فقد عملنا كل ما يمكن عمله لنحول دون الكارثة التى سيدفعه الضباط الاتراك اليها وكان الواجب عليه أن يكون أكثر حزمًا مما هو عليه الآن بعد أن كشف الاعبيهم فيقصيهم عن معسكره الى الغرب أو يعيدهم فى غواصة الى استانبول. أما تركهم هكذا فالنتيجة نحن واثقون منها وهى ان الحرب بيننا وبين السنوسى واقعة لامحالة. ولما وصلنا الى هذا الحد قلت له أنا أريد أن اعود الى مرسى مطروح فكرر لى الشكر على ما قمت به وودعنى ونادى على بقية الضباط الانجليز فودعونى وركبت السيارة عائدا الى مطروح، وما تحركت السيارة حتى رأيت نفسى نهبا مقسما للأفكار وظللت طول الطريق أفكر فيما سمعت من سيادة السيد السنوسى الكبير ثم ما سمعته من نورى وأخيرا ما قاله الأميرالاي اسنو فانركت انى خلفت ورائى بركانا لايلبث أن يثور فسيادة السيد السنوسى أصبح لايثق أبدا بنورى باشا وجعفر ومن لف حولهم ولايطمنن مطلقا الى وجودهم فى معسكره ونورى وجماعته أصبحوا يتوجسون خيفة وينتظرون شرا ينزل بهم بعد أن كشفت نواياهم وظهر للسيد جليا مادبروا وبيتوا وانهم أبعد ما يكونون عن الاخلاص فى عملهم معه وان كل همهم منصرف الى إحداث حركة تكون نتيجتها ما تكون ويرغم السيد مكرها على خوض معركة فاشلة.

المباينة

وصلت مرسى مطروح وهذه الهواجس تملأ رأسى ونفس ولا أدرى المصير وظهر لى أن الانجليز قد سئموا التودد والتملق والتقرب غير المجدى والذى اطمع فيهم نورى وأتباعه دون أن يصل بهم الى غرضهم وقد أصبحوا فى حالة يأس لن يصبروا عليها أكثر مما صبروا. وصرت أنا فى مطروح أعد الايام وما يأتى به الغد لأنى قياسا على ما رأيت أن نورى وجعفر سوف يستعجلان المصير قبل أن يقبض عليهما ويقلتا من أيديهما الزمام، ووقع ما كنت أحاذره فلم يمض على وصولى إلى مرسى مطروح إلا اثنا عشر يوما حتى ارتفع فى صباح ٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٥ على الطابية البحرية البيرق الذى يشير الى قدوم طوافة من الغرب قاصدة الدخول فى ميناء مرسى مطروح دون سابقة اخطار أو علم بقدومها لأن العادة الجارية أن نخطر بكل طوافة قادمة من الشرق أو الغرب وقاصدة

الدخول فى ميناء مرسى مطروح إلا فى هذه المرة، فكانت مفاجأة وظهر بعد قليل أنها الطوافة عبدالمنعم التى كانت راسية فى السلوم والتى كانت دائما على استعداد للابحار فى الليل والنهار وظلت فى حالة طوارئ منذ مدة نظرا لتوجس الانجليز من حركة ضدهم فى أى وقت. ونزلت أنا الى الميناء وما أَلقت الطوافة مرساها حتى قفز منها القائمقام هوايت (٢٢) وبعد أن سلم على قال لى فلنترك الكلام الآن وسعادة البك يريد مقابلتك حالا فى الطوافة (وسعادة البك هو الاميرالاي اسنو) فقفزت إلى داخل الطوافة وإذا بالاميرالاي اسنو واقف على الكوبرية فلما رآنى تقدم وسلمنا ثم ابتهرنى بقوله: «اما قلت لك أن الأتراك لابد أن يورطوا السيد السنوسى فى حرب ضينا ولولا اننا تنبها الى ما اضمروه لمباغتتنا ليلة امس لكننا اليوم أسرى فى ايديهم؟ ثم قال لى سأنزل الان وأتوجه الى مكتب فى القسم ولى معك كلام طويل عن الاجراءات التى ستتخذ فى مطروح من اليوم. وفعلا نزلنا معا وتوجهنا إلى المكتب وانضم اليها القائمقام هوايت وبدأ اسنو كلامه أو تعليماته أما ما هو المقلب الأخير الذى ببره نورى وجعفر فأقزع الانجليز حتى فروا هاربين من السلوم فقد علمته بعد ثورتنا والتقائنا بالسيد الامام السنوسى وسيأتى ذكر ذلك فى الصفحات التالية.

٨- كيف أعلنت الثورة ضد الإنجليز في عام ١٩١٥

اجتمعت مع الاميرالاي اسنو والقائمقام هوايت في مكتبي في مرسى مطروح بعد نزولهما من الطوافة «عبدالمنعم» التي عانت بهم جميعا من السلوم فرارا من وقوعهم ومن معهم أسرى في أيدي نوري وجعفر كروايتهما لى. وبدأ اسنو كلامه فقال: «لقد غلب نوري وجعفر السيد أحمد السنوسى على أمره، وورطاه فى قطع علائقه معنا فنحن من اليوم فى حالة حرب معه، وستصل القوات الانجليزية تباعا الى هنا وستكون مطروح قاعدة للعمليات الحربية ضد السنوسيين والترك، وسوف يندم السيد أحمد ندما شديدا على تردده وعدم حزمه فى اقضاء الاتراك عن معسكره. والان قبل أن أكلفك بأى عمل فيما نحن قادمون عليه، لى معك كلام خاص.

إتفاق على إيمانى

وعندما نطق بعبارة «كلام خاص» رأيت القائمقام هوايت قام مسرعا وخرج من المكتب وكنتهما كانا متفقين على أمر. وبدأ اسنو حديثه فقال: «أنا أعلم وهنتر باشا أيضا يعلم ولا أظن الجنرال مكسويل نفسه يجهل انك مسلم شديد التعصب لديك ووطنك، وقد ظهر تعصبك هذا جليا فى أثناء الحرب بين ليبيا وايطاليا، ولا اريد أن اعيد الحديث فى ذلك فقد سبق أن تكلمت فيه معك عندما كنت قومندانا لقسم الضبيعة وجاءت مناسبة تهريب

الاسلحة والذخيرة والضباط الاتراك من حدود مصر الى ليبيا، وكنا نقدر شعوركم كل التقدير وكنا نقدر الروابط التي كانت تدفعكم لهذه المجازفة انت واخوانك الضباط، فلم يحل ذلك دون تعيينك قومنداناً لقسم الضبعة وانت لاتزال برتبة الملام أول. وكانت الاحتجاجات كثيرة وطلبات التعويضات التي تطلبها ايطاليا من مصر لاتنتقطع وكنت أقول فى نفسى لو كنت مكانه لم يسعنى الا ان اعمل مثله. والآن اسمع منى فإنى أخاطبك كأنك ابنى، لقد كنت كفؤاً فى عملك وتأدية واجبك فى وظيفتك» وهنا أحبس قلمي لأنه اطنب فى الثناء على ثم استمر يقول: «نحن لانريد أن يدفعك تعصبك الى أن تقدم على عمل يقضى على المستقبل الذى ينتظر، ويؤلنا كل الألم أن تنتهى الى مثل هذه النتيجة فتذهب أعمالك المجيدة التى قمت بها مع الريح. وتقديرنا لك جعل هنتر باشا يتحدث معى كثيراً بخصوصك وكان يقول أنا أخشى على هذا الضابط من تهوره وتعصبه اذا ساءت الحالة فى الصحراء الغربية واضطربنا الى حرب مع السنوسى، ويقول أنا لا أنسى كيف استطاع ان يضلل القائمقام مورييس(٣٣) بك ويهرب قافلة من مئات الجمال تحمل سلاحاً وذخيرة الى برقة وكيف ثارت واحتجت ايطاليا وطالبت بالتعويض، وكيف قامت علينا جميعاً قيامة الجنرال كيتشنر(٣٤) وما أصاب القائمقام مورييس بسبب افلات هذه القافلة. لهذا نخشى أن يرتكب هذا الضابط حماقة فى ثورة تعصبه تودى به، فإذا تحرجت الحالة على الحدود الغربية يمكنك ان تخيره فى القيام باجازة غير محدودة المدة، وتفهمه ان هذا تقدير منا له لاننا لانريد احرابه وحتى لا يضطر الى الاساءة لنفسه، وهأ أنا أعرض عليك أمر هذه الاجازة فما قولك؟».

تتفق القوات

قلت له: «إنى أرى فى كلامك هذا اتهاماً لى فهل قصرت فى واجب؟ فقال: لا لا لاتؤول كلامى هذا التأويل بل هذا العرض إنما هو اشفاق عليك لتبعدك عما لايرضيك. أن تشترك فيه» فقلت له: «إن قيامى من هنا فى هذا الوقت أعتبره ماساً بكرامتى، وكأئننى غير مرغوب فى بقائى هنا» فقال: «أما وقد فسرت الأمر هذا التفسير فأبق حيث انت، ويسرنى كل السرور أن تبقى بل نحن فى اشد الحاجة اليك».

ثم رن الجرس وقال للمراسلة: «ناد القائمقام هوايت بك».

وحضر هوايت وبدأ اسنو يتحدث من جديد كأن لم يكن بيننا حديث سبق هذا فقال لى:

«انت من اليوم الحاكم العسكرى فى مرسى مطروح، ولك كل سلطان الحاكم العسكرى، كما عليك كل واجباته، وسيكون اتصالك بالقائد العام لهذه الجبهة الغربية، وأنا واثق كل الثقة انك خير من يؤدى واجبات هذه الوظيفة فى هذه الظروف الحرجة، وأول ماتبدأ به عملك الان هو ترحيل جميع سكان مطروح من المدنيين وعائلات الموظفين، وجرّد جميع مافى الدكاكين من بضائع وتقدير ثمنها، وأنا سأعطى أصحابها ايصالات بها لتحصيلها من الاسكندرية، ويجب أن ترحلوا كل من يمكن ترحيله بالطوافه عبدالمنعم وإذا بقى أحد بعد ذلك فليرحل بالبر».

وما وافت الساعة الثانية بعد ظهر هذا اليوم ٢٣ نوفمبر حتى وصلت الى ميناء مطروح النقلات من الاسكندرية تحمل فرقة من الجنود الهنود، ومعها كل مايلزم من مؤونة وعتاد ومعدات للقتال وعند الغروب وصلت ست وثلاثون سيارة مدرعة بطريق البر. وبدأت على بتشكيل لجنة فى الحال لجرّد بضائع التجار. وبدأت السيارات المدرعة بعد غروب الشمس تأخذ أماكنها حول مرسى مطروح، وتقوم نروياتها بالطواف غرب البلدة وجنوبها وفوق الهضاب المشرفة عليها وأمضينا هذه الليلة فى حركة لا تهدأ.

وفى الصباح الباكر من يوم ٢٤ نوفمبر وصلت طائرتان ونزلتا فى المطار وفى الساعة التاسعة صباحا قدمنى اسنو لقائد الجبهة ومعه أركان حربه فقال القائد محبياً: «أنا أعرفك قبل أن أراك وأنا مسرور جدا لان نلتقى ونعمل معاً» وقدم لى احد اركان حرب وقال: «هذا ضابط الاتصال بيننا فى كل ما تريده أو نريده» ووصل فى صباح هذا اليوم آلايان من الفرسان، ثم عدد كبير من اللوريات والمدفعية. وكل هذا يدل على أن الانجليز كانوا قد أعدوا العدة للحرب وجهزوا قوتهم الضاربة فى الاسكندرية لتتحرك بمجرد أن يصدر لها الأمر.

وفى هذا اليوم وصل البكباشى تويدي(٢٥) قادما من سيدى برانى، ومعه ست عربات مدرعة كانوا قد أرسلوها الى هناك بعد الحركات التى قام بها السيد هلال فى سيدى برانى وانتهت الى عودته الى السلموم. حضر البكباشى تويدي بعربته المدرعة وترك خلفه الضباط والجنود والموظفين المصريين والسودانيين وعائلاتهم الذين كانوا فى قسم سيدى برانى، فلما سألتهم عنهم قال أن الأمر الذى صدر اليه من الأميرالاي اسنو يقضى بأن يقوم حالا بالسيارات الى مطروح بعد أن ينبه على قوة الهجانة والموظفين الذين فى سيدى

برانى بأن يعيدوا الى مطروح بالجمال، فتوجهت فى الحال الى الاميرالاي اسنو وأعلنته بوصول البكباشى تويدى والسيارات المدرعة، وانه ترك خلفه كل من كان فى سيدى برانى من عسكريين ومدنيين وعائلاتهم بناء على أمره «أمر اسنو» فقال اسنو: «صحيح أنا أصدرت هذا الأمر» فقلت له: «ألم تقدروا ما قد يترتب على ترك هؤلاء فى سيدى برانى معرضين للهجوم عليهم ومعهم نساء وأطفال؟ أما كان من الواجب أن يبقى البكباشى تويدى بالسيارات المدرعة حتى يرحل هؤلاء ثم يسير خلفهم؟» فقال: «إن كل من فى سيدى برانى من الموظفين مسلمون، وجيش السنوسى لايعرض لهم بمكروه» فقلت له: «وهل نسيت ما فعل السيد هلال عندما كان يحاول اشعال الثورة فى برانى وارسال أتباعه للهجوم فى كل ليلة على القشلاق» ففكر قليلا ثم أرسل فى استدعاء البكباشى تويدى وأمره بأن يقوم فى الحال بسيارته عائدا فى طريقه الى سيدى برانى ليرافق من تركهم فيها فقلت له انه لن يصل إليهم وقد فات الوقت، ومع ذلك فقد قام تويدى عائدا ولم يمض على قيامه غير أربع ساعات حتى عاد قائلا انه لم ير أثرا لمن خلفهم وعلم أن طلائع الجيش السنوسى وصلت الى سيدى برانى... وفى صباح ٢٥ نوفمبر وصلت طائرتان الى مطار مطروح..

ماذا على أن أفعل؟

إن اشد يوم مر بى فى حياتى هو يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٥، رأيت أن أخلو فيه ساعة لنفسى وجلست أفكر طويلا فى موقفى الدقيق، وماذا يجب على أن أقوم به وليس بجانبى من يبادلنى الرأى. فأنا اليوم الحاكم العسكرى فى مطروح، وهى قاعدة العمليات الحربية ضد السنوسيين وقوادهم الترك، وليس فى مصر كلها ولاهنا فى الصحراء الغربية كلها من يعلم شيئا مما أعلمه من أسرار الجيش السنوسى الذى سيتعرض لهذا الهجوم الانجليزى، أنا الوحيد الذى أعلم بالتفصيل حالة القوة السنوسية من مصادرها، وأعلم أنه جيش لايملك من القوة والعتاد والمؤن والاستعداد للقتال شيئا يستحق التقدير وأعلم الخلاف الشديد الذى بين الامام السنوسى وبين نورى وجعفر، وأعلم أن السيد على حق كل الحق حين يرفض مبادأة الانجليز بجيش يكاد يكون أعزل، وفوق ذلك فإن خلفه فى برقة نولة كبرى هى ايطاليا وهو فى حرب مستمرة مع قواتها، وأعلم أن نورى وجعفر يريدان اقحام الجيش السنوسى فى الحرب مع الانجليز وهما على ثقة تامة من انهما لن

يحققا الهدف الاستراتيجي الذي ترغب فيه استامبول، ولكنهما يريدان بصورة من الصور أن تقول استامبول انهما قاما بحركة ضد الانجليز، وبهذا يتخلصان من الوضع الذي أصبحا فيه، فهما يفضلان هذه المغامرة الطائشة والحركة المنبوذة على الاستمرار في السلوم هما ومن معهما من الضباط الأتراك بعد أن أصبحوا جميعا يتوجسون خيفة من أن السيد الامام أحمد الشريف السنوسي قد يأمر بالقبض عليهم واعتقالهم في أى يوم بعد أن تكشف له الألاعيب.. هذه الحقيقة كنت أعلمها علم اليقين، وإن الجيش السنوسي على حالته هذه لن يصمد أمام عدوه الا أياما معدودات وسوف يتمزق شمله. استعرضت في جلستي هذه الصورة في خاطري ثم عدت اسأل نفسي ماذا يجب على أن أفعل فيما يحيط بي. الانجليز مستعدون كل الاستعداد ليسحقوا بقواتهم الضاربة الكتائب السنوسية التي أمامهم ويأسرع ما يمكن، حتى يتفرغوا للميدان الشرقي، أى الجيش التركي القادم من سوريا نحو قتال السويس، وهذا الجيش السنوسي في تفاهة استعدادده، وانقسام قيادته، مغلوب لا محالة، وأعود فاسأل نفسي ماذا يجب على أن أفعله؟

كنا عندما أجتمع بإخواني الضباط تغلى مراحل حقننا وغضبنا على الانجليز، وخاصة بعد أن أعلنوا الحماية على مصر، وكنا نتمنى أن تنتهي فرصة القيام بعمل ضدهم.. والان هل أبقى مع الانجليز، لتأدية ما يطلبونه مني، وأكون عوناً لهم في حربهم؟ ويتبع ذلك انضمام هجانة الحدود من ضباط وجنود الى الجيش الانجليزي، يحاربون في صفوفه اخوانهم العرب، وتنتشر الدعاية في العالم كله بأن بنى عمومتنا من العرب بقيادة ضباط عثمانيين موفدين من قبل الخليفة الأعظم لتحرير مصر من الانجليز ووجهوا بجنود مصر يحاربون في صفوف أعدائهم الانجليز، أو بينما مصر تنتظر جيشا عثمانيا آخر قادما من سوريا بقيادة الخديوى عباس - اى جيش عربي من الغرب وجيش عثماني قسمه الكلى عرب من الشرق - كل هؤلاء يتقدمون الى الموت لتخليص مصر من أعدائها، ونحن في صحراء مصر الغربية يكتب علينا أن نقاتل في صفوف عدو احتل بلاننا، وأذل كبريانا، وداس بقدمه كرامتنا وعزتنا، وأصبحنا نمشي على الأرض كأنهون من عليها وكثنا الذين عناهم الشاعر في قوله:

واعرق خلق الله في الزل امة

ترى من بنينا للذى سامها جندا

ألا لا كانت الحياة. «ولاعزنى خال ولا ضمنى أب» ويرث مصر منا وامطرت علينا
اللعنات إن رضىنا أن نقر الذل فينا، ولبست مصر على أيدينا ثوب الخزي والعار.

انهم اعداؤنا؟

هذه العبارات هي التي جالت في خاطري وأنا شاب حينذاك، تغلى مراحل الغضب بين
جوانحي ويؤجج الحقد في قلبي سعيرا. فتمشى الحماسة في كل شعرة في جسدي،
وتصرخ كل قطرة في دمي الثورة. الثورة الثيرة. فأما الحياة وإما الردى. وهانت الدنيا
وما فيها، ورخص الشباب وعوده الأخضر. والمستقبل وما ينتظرني. وقد استعرضت في
خاطري على عجل علاقتي بالعمل مع الانجليز، ويشهد اخواني من الضباط الذين على قيد
الحياة، والذين عملوا معي، انى ما تملقت يوما من الأيام رئيسا انجليزيا، ولا استطاع
أحد منهم أن يمس كرامتى من بعيد أو قريب، ومع هذا فقد كانت نظرتهم الى عملى نظرة
تقدير وتكريم وأحسنوا معاملتى كل الاحسان مع علمهم بتعصبى لوطنى ودينى. وكانت
ترقياتى فى غير نوري وشغلت مراكز لم يشغلها مصرى قبلى فى مثل رتبتي، ومع هذا فما
نسيت يوما من الأيام انهم اعداؤنا، وانى أشعر بالمدلة والهوان ما دامت بلادى محتلة بهم،
وأحمد الله على ان جميع اخواني من الضباط الذين كانوا فى الصحراء الغربية، كانوا
جميعا على قلب رجل واحد. وطنية ورجولة، وكنا نرقب اليوم الذى نساهم فيه للخلاص من
عار الاحتلال، فإذا بهم يفاجئوننا بالحماية، والله وحده يعلم ما تركه اعلان هذه الحماية
فى قلوبنا ونفوسنا من آلام ضاعفت مرارة الحقد والعداوة فى قلوبنا، فدعوت الله أن يهيئ
لنا فرصة الانتقام من أعدائنا.

استعرضت كل هذا سريعا ثم انتهيت الى ان هذه هي الفرصة التى كنا متشوقين
اليها، فلم لا أقوم أنا بالثورة، وأوججها فى الحدود الغربية ثورة باسم مصر، ولتكن ثورة
كل استعدادنا وعتتنا فيها ايماننا بالله، وبهذا الوطن، ولتحرقنى نارها فأكون قدلقت
الاعداء درسا يعلمهم الى أى حد يمقتهم المصريون، ويتربصون بهم النوائر ماداموا
يحتلون بلادنا، فأنا المصرى الذى بالغوا فى تقديره، ويقولون ان مستقبلا ملحوظا ينتظرني
لم أتردد فى الخروج عليهم عندما مكتنتى القرص، فإذا قدر ان ثورتنا لم يكتب لها النجاح
الذى نرجوه فأكون على الأقل قد أنقذت سمعة مصر وشرف الجندية المصرية، وأكون قد
نزعت من عقول الانجليز ما يشيعونه.. هنا وهناك من ان مصر قد اطمأنت الى ماهى فيه،

وان وطنية أهلها لاتتعدى الكتابة والكلام، وحماسة الخطباء كل هذا مر على خاطري سريعا. ثم عدت أسائل نفسي من أنا؟ ضابط صغير برتبة يوزياشى عمره ٢٥ سنة قليل التجارب لا يجد بجواره من يتفاوض معه، مطلوب منى فى هذه الساعة أن أقدر الموقف الذى أنا فيه وحدى وإصدر قرارا وحدى ثم أنفذه فى هذه الليلة بالذات والا ضاعت الفرصة. وأى قرار؟ قرار الثورة على الانجليز وأنا محاط بجحيمهم وقد ازدهمت مطروح بقوتهم الضاربة التى أعدها من زمن فتوكلت على الواحد الأحد وأصدرت قرارى فلم يبق مكان للتردد... الثورة الثورة، ويجب أن أشعل نارها فى هذه الليلة بالذات والله المستعان.

رجولة رجل

وكانت الساعة قد بلغت الثانية بعد الظهر وبعد هذا القرار تأقت نفسي أن أتحدث الى أى انسان أثق فى إخلاصه وأطمئن الى دينه ورجولته ووطنيته، ورأيت أن هذه الصفات تجتمع فى المرحوم عثمان الدرعى باشكاتب قسم مطروح، وهو رجل جاوز الخمسين من عمره، ولد فى السودان ونشأ فيه، ثم جاء الى مصر وتوظف، فاستدعيته فى بيتى وحديثه عن نفسه وطلبت منه أن يسافر الى القاهرة ويلحق بعائلته وقلت له اننى ساكتب له تصريحاً بذلك، فقال لى: «ولكن من يعمل معك فى القسم اذا سافرت أنا؟» فقلت: «الكاتب الثانى والمخزنجى مع كل فئنا لن ابقى هنا» فسالنى: «والى اين تذهب؟» قلت له: «اسمع.. انا لا اطلب منك أن تقسم لائى مطمئن اليك كل الاطمئنان... أنا قررت أن أخرج فى هذه الليلة من مطروح لاجدث ثورة ضد الانجليز» فبهت الرجل، ثم تمالك نفسه وقال: «هل هذا الكلام جد يا جناب القومندان؟» فقلت: «وهل تعودت منى أن أهذى؟» فسكت قليلا ثم قال: «ثورة ضد بريطانيا العظمى؟!» قلت: «نعم ضد بريطانيا العظمى...» قال «انت ترى انهم فى يوم وليلة ملأوا علينا الدنيا بلاء» قلت: «نعم أرى كل ذلك» فقال: «وتريد أن تثور على هذا الهول (براك)» كلمة سودانية معناها (وحدك) - قلت: «لست (برأى) ولكن الله معى» قال: «الله يقول: ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة» قلت: «ليست هذه تهلكة، ولكنها جهاد فى سبيل الله والوطن وأنا ما استدعيتك لاجد رأيك فى قرارى، ولكنى استدعيتك لآتبه عليك لتستعد للسفر الى القاهرة» فسكت ثم رفع رأسه وتكلم وفى صوت الرجل عزم «نعم.. سأستعد للسفر. ولكن للسفر معك حيث تذهب» فقلت له: «أمجنون أنت؟ ما شأنك بهذا وأنت رجل مدنى، وسنك لاتسمع بهذه المخاطرة، وعندك عائلة ليس لها من يعولها غيرك..

سافر، سافر للقاهرة» فراعنى منه انه يقسم بالطلاق بأن لايسافر الى القاهرة، ولا بد أن يخرج معى ويقول: «لماذا تريد أن تحرمنى من الجهاد فى سبيل الله والوطن كما تقول؟» فعجبت للشيخ وغضبته وتصميمه، ولم يسعنى الا أن أقول له: «عظيم»... وقمت وصافحته فى حرارة وكأئها مصافحة البيعة على الموت.

وكان والله هذا الرجل فى كل صفحات ثورتنا التى كانت من بدايتها الى نهايتها ابتلاء وحرمانا وكل ما يخطر على البال من شدة وقسوة ومحن وشقاء، كان هذا الرجل رغم سنه، مثلاً للرجولة فى أسمى معانيها والصبر فى أمر حالاته، ثم قلت له ان الأمر يجب أن ينفذ فى هذه الليلة، فإذا تأخرنا ضاعت الفرصة ولا يعلم الا الله ماذا يكون المصير، فقال: «الأمر اليك، وأنا من هذه الدقيقة جاهز» وصرفته وخلوت لنفسى لأضع الخطة للتنفيذ فى هذه الليلة.. وقد كان.

٩- بداية المعارك العسكرية ضد الإنجليز في الصحراء الغربية لمصر

دعوة إلى الجهاد

لو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان (٣٦) ادخلوا بسلام، وأنا أقولها: (فلو كنت بوابا على باب جنة - لقلت لآل العاصي (٣٧) ادخلوا بسلام).

فطرقناهم في الليل البهيم فهبوا كراما وعلى رأسهم حميده العاصي وحسين العاصي فرحبوا بمقدمنا أي ترحيب وطربوا أي طرب عندما علموا وجهتنا، وفي الحال نحرت الذبائح وزغردت النساء، ومضت الليلة دون أن تغمض لنا عين وطيروا الخبر بالخيال غربا وشمالا وجنوبا.

دعوة إلى الجهاد

وبعد صلاة الصبح جمعت ضباط الصف والعساكر الهجانة ولا علم لأحد منهم بما عزمنا عليه ولكن ربما قدر بعضهم ما كتمناه عنهم عندما رأوا خروج العمدة واستقبال العرب وجموع القبائل التي قدم بعضها قبل أن يطلع الفجر بمجرد أن وصلهم النذير. وقفت بين الجنود وخطبت فيهم وقلت لهم فيما قلت:

لقد عملنا معا زمنا طويلا وكنتم مثلا طيبا في أداء واجبكم على الوجه الاكمل كنتم قدوة حسنة للمستجدين ونكرى جميلة بين الأهالي في الصحراء الغربية، وفخرا لسلاحكم

عند كل من يعرفكم أو يرافقكم أو يشاهد ما وصل اليه بتدريبيكم، الأمر الذي حمل قيادة الجيش الانجليزي على أن ترسل بعض الضباط ليدربوا عندنا في الصحراء، والآن أريد أن أطلعكم على ما نويته لقد خرجت من مطروح وتركت مركزى واستغنيت عن وظيفتى واخترت فى سبيل الله ويلاىى الدار الاخرى على الدار القانية. ومنذ ليلة أمس قد بعث لله نفسى، وها أنا لا أدرى ان كانت ستغرب شمس هذا اليوم وأنا حى أو تشرق غدا وأنا حى. وأنا خرجت بكم لأصل الى هنا وقد وصلت والحمد لله وقد رأيتكم كيف امتلأ المكان بالرجال ولم تمض الا ساعات قليلة، فجزاكم الله خيرا وأنتم من هذه الساعة احرار فى العودة الى مطروح وأنا أعلم ان لدى كل منكم تبعات ومسئوليات عائلية وما منكم أحد الا وله زوجة وأولاد أو أم وأخوات فعودوا الى مطروح ولن يتخذ الانجليز معكم أى اجراء لأنه لا مسئولية عليكم وأنا المسئول، وانكم لاتعلمون من نيتى شيئا، وحسبتم انها مناورة شدة سريعة حسب المعتاد فى كل ليلة فما راعنى ياسيدى القارئ الا صوت هؤلاء الرجال فى نفس واحد وكائهم كانوا على اتفاق. لايمكن نرجع ولانرجع أبدا أو لسنا رجالا أو لسنا مسلمين. الرب واحد والعمر واحد والوطن واحد، نعيش معك ونموت معك وليست ارواحنا اغلى من روحك، فلا تطلب منا أن نعود وأهلنا فى وداعة خالقهم وهو رازقهم عند ذلك لم يسعنى الا أن أضافهم مضافحة هى البيعة على المنشط والمكره فى سبيل الله والوطن (ولقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه) وطالت سنين الجهاد والاعتراب ومر مذاق الحياة وعز الصبر على الحرمان بكل ما فى الحرمان من ويلات وبؤس وشقاء وجوع وعراء وجهاد وابتلاء ولكن الرجال صبروا وصابروا. ولكن المؤمنين أخلصوا النية وأخلصوا الجهاد. فما سمعت فى مدى السنين من أحد منهم شكوى ولا ألما، ولاتوجعا ولاندماء، هو الايمان فما أقواه حصنا ومعقلا لا ينفذ منه الى النفوس يأس ولاضعف ولاحسرة ولاخور اللهم لا غالب لنا من الناس ان كنا مؤمنين، فكل من يحاول أن يهدم قلعة هذا الايمان فى نفوس الشباب فهو خائن لبلاده عدو لأمة كافر بنعمة ربه. واليوم الذى يضعف فيه ايمان أمة فقل على عزتها وكرامتها ورجولتها العفاء وقل على وجودها السلام.

حيلة حربية

وأول ما فكرت فيه بعد ذلك هو ان الانجليز اذا اصبح الصباح سيصرفون كل شيء ولايد من أن يجربوا قوة سريعة تقتفى أثرنا وتتعبنا، علها تستطيع اللحاق بنا وتجعلنا

مثلا لمن تحدثه نفسه بخيانة بريطانيا العظمى والخروج عليها والعبث بفضيلة رجالها. فإنن
يجب قبل كل شيء أن أقيم وفي سرعة كمينا يعوق تقدم الانجليز اذا حاولوا تعقبنا، ومتى
فاجأهم هذا الكمين فانهم سيصرفون النظر عن التقدم ويعتقدون أن هذا الكمين هو جزء
من قوة الكشف التعرضي لمقدمة الجيش السنوسي، فيعوبوا ادراجهم ليستعدوا لمقابلة
هجوم السنوسيين بهجوم يقومون به، وقد سبق ان وصلتهم الاخبار بأن جعفر وصل
بجيشه الى سيدى برانى وأن السنوسيين فى طريقهم الى مطروح. ولو علموا حقيقة ما
كان عليه جعفر حينذاك وما علمناه فى ليلتنا عن حاله لتقدموا ولأخضوه أسيرا وقتيلا
وانتهى أمر الحركة فى يوم واحد ولكن الله سلم.

إن حرص الانجليز الشديد فى تحركاتهم والمبالغة فى الاستعداد واستكمال كل صغيرة
وكبيرة كعادتهم فوت عليهم تحقيق غرض ما أرخص الوصول اليه لو اقدموا ولكنهم لن
يفعلوا وأنا أعرف فيهم كل ذلك ولهذا كنت واثقا انهم لن يواصلوا مطاربتنا اذا وقعوا فى
الكمين، وهذا ما حصل وما علمناه فيما بعد من انهم عندما اكتشفوا خروجى جن جنونهم.
وكان، أشدهم هياجا وغضبا وجنونا الاميرالاي اسنو واقترح قيام قوة من الفرسان
لتعقبى، ومن شدة حقه ومرارة حنقه، رافق بنفسه هذه القوة، فاذا بالكمين يفاجئهم
ويوقع بهم الخسائر، وكانت خسائرهم كبيرة وكان الاميرالاي اسنو أحد القتلى فى هذه
المعركة، وارتدوا خائبين ووقع مآقده.

بينى وبين جعفر

ولكن الأمر الذى أقلق بالى ولبل خاطرى وملأ قلبى ألما وحرنا هو ما سمعته فى ليلتى
بدوار العاصى من بعض العرب القادمين من سيدى برانى من ان القوة التى جاءت مع
السيد جعفر من السلوم كانت خليطا لايمت الى قبيلة بذاتها من قبائل الحرابى ببرقة،
ولاهى من الكتائب النظامية التى جهزها الأتراك وكانت تحت قيادتهم وهذا الهجيج المسلح
الذى جاء مع جعفر لايعصمهم عاصم من ضبط وربط ولايردهم عن الشر زاجر. وسمعت
فى هذه الليلة عن أعمال هؤلاء المفسدين ما أقلقنى كل الاقلاق، فقد جردوا قوة الهجانة
التي فى قسم برانى من سلاحهم، واخذوا هجنتهم ومتاعهم، كما انتشروا فى نجوع العرب
ينهبون ويسلبون. فأظلمت الدنيا فى وجهى، وقررت القيام فى الحال الى سيدى برانى بعد
أن نظمت قوة الكمين فى وادى ماجد، وقد ازحمت دار آل العاصى من الذين هبوا للجهاد

بمجرد أن سمعوا الدعوة. وكنت مسرعا الى الغرب لالتقى بالسيد جعفر لنجعل حدا لهذه الفوضى التي سوف تسبب حربا أهلية، وما أسعد الانجليز لو وقع هذا، فقامت مسرعا ومعى الهجانة وبعض العمدة والشيوخ ومشايخ الزوايا السنوسية وزعماء القبائل، قاصدا سيدى برانى لمقابلة جعفر حتى أشرفنا على سيدى برانى فرأينا شرانم من رجال جعفر هنا وهناك فلما رأونا رقدوا على الأرض متحفزين للمقاومة ظنا منهم انها قوة انجليزية جاءت لمهاجمتهم فتقدم من كان معى من مشايخ العرب على خيلهم ولوجوا لهم بأحرمهم فاطمأنوا وجاءوا لمقابلتنا ولما عرفونا كانوا يطيرون من شدة الفرح. وسألتهم عن جعفر باشا فقالوا انه فى القشلاق دائما ولا يخرج منه لأنه منتظر قدوم الطواير «الكتاب» من السلوم فواصلت السير ورأيت من واجبى أن أتصرف مع جعفر فى حزم وشدة لأنى عرفته لايهمه إلا أن يرضى هؤلاء الذين يقودهم ليكسب حبهم ولو فعلوا ما فعلوا. وبناء على هذه النية أوقفت الهجانة على بعد نحو كيلو متر من القشلاق خلف هضبة وزودتهم بالتعليمات اللازمة. وأخذت معى المشايخ والزعماء، ومشينا إلى لقاء جعفر فى القشلاق، وما أسرع ما طير رجاله خبر وصولنا وإذا به يقابلنا على باب التكنات وهو فى وسط جمع من ضباطه وجنوده، وكأنه فى سوق، فلما رآنى اقتحم سوقه واحتضننى فى لهفة وشوق وترحيب، ولكن هذا اللقاء الحار لم يمح ألم نفسى ولا المرارة التى ينطوى عليها قلبى بسبب ما أصاب الهجانة وعرب اولاد على من اهانة واعتداء على ايدى رجاله العابثين، فلم أترك له وقتا ليفرغ جعبة التحيات بل أخذناه من يده بعيدا عن هذا الزحام وفاجأته قائلا... قل لى يا باشا.. انت قائم من السلوم لتعلن الحرب على المصريين أم الانجليز؟ فبهت بهذا السؤال وتغير وجهه ثم قال: «اعوذ بالله كيف هذا؟ انا جئت لأحارب المصريين ما هذا الكلام يا صالح بك؟ قلت: إن كنت ما جئت لهذا فكيف تفسر هذه الاعتداءات الفاجرة والأعمال الخسيسة التى قامت بها القوة التى تحت قيادتكم. اعتداءات لايقدم عليها إلا من تجربوا من كل معنى للدين والرجولة والمروعة والأخلاق، اعتداءات لايقدم العدو عليها بل يتورع من اتيانها. ولما سمع ذلك قال لى فى بساطة ماذا حصل؟ أنا لا أفهم سبب هذا الزعل. قلت ان كنت حقيقة لاتعلم سبب ذلك فإن المصيبة أعظم.

يا باشا ألا تعلم أن رجالك جربوا قوة الهجانة من سلاحهم وجمالهم ومتاعهم واستخدموهم مراسلات لضباطك؟ يا باشا ألا تعلم أن رجالك سارحون بلا ضابط ولا

رابط بين نجوع أولاد على يذهبون ويسلبون ويعتدون؟ ألم تسمع كل هذا؟ والعجب أن جعفر عندما سمع ذلك أخذ يقسم بأغلظ الايمان انه لايعرف شيئا مما أقوله ولا سمع به. وأما أنا فلم أعجب لأنه معروف عنه إذا اخرج لايبالي أن يدير ظهره الى الصدق، والانجليز يعرفون عنه ذلك ولهم قصص يرويها عنه القائمقام رويل. فقلت له يا باشا لا لزوم لضياح الوقت فى الكلام غير المجدى. نحن خرجنا مما كنا فيه بعد أن هانت هذه الدنيا وما فيها فى أعيننا فبعنا أنفسنا لله وفى سبيله وسبيل وطننا، فلا تظن أننا نرضى الدنية من أحد. أو نسكت عليها وهذه إهانة كبرى لحقت بسلاح الهجانة وهو من أكرم أسلحة مصر على مصر، إهانة من واجب هذا السلاح ان يغسلها بالدم، وانظر هل ترى تلك الهضبة؟ فنظر بالنظارة المعظمة التى يعلقها دائما فى عنقه. قلت له: خلف هذه الهضبة اخوان هؤلاء الهجانة الذين لحقت بهم الالهانة واقسموا صانقين انهم لن يبقى منهم رجل حى الا اذا رأوا اخوانهم كما كانوا فى هيئتهم التى كانوا عليها، وان يوقع عقاب شديد على الذين اعتدوا عليهم. وبينى وبينك ساعة واحدة فانظر ماذا ترى وأقسم انى ما انتهيت من كلامى حتى رأيت الرجل الذى كان قبل برهة يعيش فى فوضى لاتمت الى الجنية من قريب أو بعيد، واذا به تتقمصه روح الجندى الحازم الباسل، وصرخ فهرول اليه كثير من ضباطه وجنوده، وطلب كبار ضباطه فحضرُوا مسرعين وإذا به يقسم لهم وهو فى حالة انفعال شديد، يقسم بشرفه العسكرى انه إذا مضت ساعة ولم يجمعوا كل ما نهب وسلب من الهجانة فى هذا المكان ليعدم كل من مد يده الى شيء من سلاحهم أو متاعهم أو هجنتهم، ولن يقلت منهم أحد، ثم قال: هل تريدون يا «اديسز» قالها بالتركى ومعناها «يا قليل الأدب» ان تكونوا سببا لاعدامى انا بتهمة الخيانة العظمى؟ واذا بهم ينطلقون راكضين يمينا وشمالا، وما مرت ساعة ونصف ساعة حتى كانت الهجن والسلاح والمتاع وكل ما أخذ من جنود الهجانة فى صعيد واحد، وجمعت الهجانة وأخذ كل منهم هجته، وسلاحه ومتاعه، ثم اصطفوا وسلمت عليهم وسلم عليهم جعفر واعتذر لهم وطيب خاطرهم وأكرمهم، وكان معهم من الضباط المرحوم الملازم أول أمين زهنى (القائمقام) أسيف الله عليه رحمته الواسعة والملازم ثانى ابراهيم عوض وسيأتى ذكر بطولته وأخلاقه فى حينها وقد استشهد فى احدى المعارك. والصول عبدالله سعيد.

على أبواب كارثة

وانتظمت الوحدة وانضمت الى قوة مطروح، وما إن انتهى جعفر من واجبه هذا حتى صافحني من جديد وأكثر من الاعتذار، ثم أخذ بيدي وبدأ يقول انت شغلتنى عما هو أهم من أمر الهجانة والذي جعل قدمك في هذا اليوم نعمة ساقها الله إلينا، وفرجا من المحنة التي أعيش فيها، تعال معي الى المكتب لأن الأمر في غاية الأهمية والخطورة. فذهبنا الى المكتب ونبه بالآ يدخل أحد علينا وبدأ حديثه: هل تظن اني موجود هنا بعقلي وتفكيرى لا والله أبدا لعقل ولا تفكير ولا تبصير (فقلت في نفسي لاحول ولا قوة الا بالله أهذا رئيس اركان حرب الجيش) بل ان عقلى وتفكيرى فى السلم والحالة التى خلفتها هناك، فانا هنا وعقلى هناك فى كل لحظة أنتظر أن يصلنى خبر كارثة كبرى تقع فى السلم، فلم أشأ أن أسأله أو أقاطعه، وتركته يسترسل فى كلامه فقال: «هل تعلم أنى قمت من السلم والحالة بيننا وبين سيدى أحمد كأسوأ ما تكون، ولا أستبعد أن يأمر السيد بالقبض على نوري ومن معه من الضباط العثمانيين، فاذا حاول ذلك فثق أن نوري لن يسلم نفسه ولا من معه، وهو عصبى فلن يتردد ولا من معه من الضباط. والجند الأتراك فى أن يقتلوا من يلاقونه فى طريقهم وكلهم مسلحون ويحملون علاوة على سلاحهم ونخيرتهم قنابل يدوية، والحالة كما صورتها تنذر بخطر شديد وطلقة واحدة من هنا أو هناك تفجر الكارثة، ولهذا يا صديقى صالح أرى من الضرورى وفوق الضرورى وقد ساقك الله إلينا أن تقوم حالا لتتخذ الموقف، عندئذ سألتك، وكيف سمحت يا باشا لنفسك أن تنزل من السلم وتترك الحالة كما وصفتها وهى تنذر بالشر والخطر الذى تؤكد؟ قال: «كان لابد من النزول بعد أن تشاورت مع نوري لكى تؤكد قطع العلاقة مع الانجليز، ونؤيد حركتنا التى بذلنا فى سبيل الوصول إليها كثيرا من التعب» فقلت له وكثيرا من المقالب والحيل، قال صدقت وكثيرا من الحيل، لأنه لم يكن من ذلك بد، وحركتنا هذه لم تتم أيضا إلا بحيلة واسعة سوف تعلم عنها عندما تصل الى السلم - وهذه هى التى أغضبت السيد أحمد لأنه فوجئ بانسحاب الانجليز من السلم دون أن يعلم سبب ذلك. فلما علم غضب غضبا شديدا وقال انتم «علمتوها» طيب قوموا وحكم بها. أما أنا وكل من يتبعنى فلن نشترك معكم، وستعلمون نتيجة فعلتكم وفشلكم المحقق، وبناء عليه تداولت مع نوري، واتفقتنا على أن أقوم بأى قوة تكون معي على أن تلحقنى الكتائب النظامية بالترتيب الذى يراه نوري،

ونجعل السيد أمام الأمر الواقع وقبل نوري أن يبقى وليكن بينه وبين السيد ما يكون، ثم قال ان تأخيرك دقيقة يا أخى صالح ربما تكون سببا فى الكارثة فعجل بالله عجل والله معك - فقلت له سأعجل بشرط واحد وتعجيل هذا الشرط فى يدك فان لم يتم فتأكد أنى لن أعجل وإن أبرح سيدى برانى أبداً وليكن ما يكون. فقال فى لهفة بالله ما هو هذا الشرط وأنا مستعد لتنفيذه ان كان ذلك فى استطاعتى. فقلت له هو فى استطاعتك اذا حزمت أمرك وهو «لا أدري إن كنت تعلم أو لاتعلم أن كثيرا من المحافظية وكلمة محافظى معناها جندى» وتطلق على كل محارب فى (الجيش السنوسى) منتشرون ليعيثوا فى هذه المنطقة فسادا واعتداء على أولاد على والمرابطين وكثما جئت بهم لا ليحاربوا الانجليز بل ليحاربوا عرب مصر يعنى المصريين ومعنى هذا أن تقوم حرب أهلية والمعنى الثانى انك بهذا تقدم أكبر معاونة لانتصار الانجليز بدمائنا وبما نكم فأتى خيانة أكبر من هذه الخيانة. فأتانا لن أبرح سيدى برانى حتى أطمئن على انك ستضع حدا فى الحال لهذه الفوضى وتضرب بيد من حديد بل تقدم المثل بأن تعدم المحرضين على هذه الاعتداءات والا فإن وطنى يأمرنى بأن أبقى هنا لادافع عن أهله وليخرب السلوم فإن ذلك يأتى فى المرتبة الثانية بالنسبة لواجبى. فلما سمع ذلك أظهر دهشة وكأنه لايعلم شيئا عما هو حاصل، وخرج من المكتب مسرعا ونادى على أركان حربه وجمع ضباطا كثيرين ثم نادانى ووضع أمامه مصحفا وحلف عليه أنه لن يتردد فى أن يدعم كل من تسول له نفسه أن يعتدى بأى نوع من الاعتداء على أحد من عرب مصر وأنه لن ينام ليلته هذه حتى يمر بنفسه فى كل ناحية ليطمئن على الحالة، وهام الضباط يسمعون قسمى هذا. ولست مسلما إذا أنا لم أحافظ عليه - وعند ذلك طلبت منه أن أتكلم للضباط فتكلمت معهم كلاما أظنه ترك الأثر الذى أردته فى نفوسهم، وتسابقوا الى كتاب الله، يقسمون عليه أنهم سيحافظون على الأمن والسلام والنظام بدمائهم، وانهم لن يترددوا فى قتل أى معتد فى الحال بدون محاكمة، وان عرب مصر ما هم الا اخوانهم وبنو عمومته، وانهم متكون على مؤازرتهم ومعاونتهم فى حرب الانكليز، وانهم بدون هذه المعاونة الأخوية فى سبيل الله فلن تفلح حركتهم ولن ينتصروا على العدو.

نموذج طيبة

ولما انتهى الاجتماع، الى هذه النتيجة عاد جعفر يأخذ بيدي الى المكتب ويضرع الى

وقد سالت دموعه، والعجيب أن جعفر هذا لاشك في شجاعته ويطولته واقدامه، ولكنه يملك دموعه بشكل عجيب، ويستطيع أن يقول لها سيلي فتسيل.

بعد أن اطمأنتت بعض الاطمئنان وخلفت ورائي من يكتب لي كل يوم مع مخصوص بالحالة - قمت ومعى الهجانة وكثير من عمد ومشايخ أولاد على وزعمائها ومشايخ الزوايا ميمما السلوم بأقصى سرعة للهجن، ولم أقف حتى وصلت بقبقق (٣٨) لأعطى الجمال راحتها، والجنود طعاهم - وما مضت على نزولنا ساعة حتى وصلت الكتائب النظامية التي قال عنها جعفر في حديثه «برنجى نومونه» بقيادة اليوزباشى التركى أمين (وايكنجى نومونه) بقيادة اليوزباشى التركى غالب «وكل منهما منح رتبة البكباشى الوقتية فى الجيش السنوسى» وبعد التحية والسلام والسرور المتبادل والغبطة التي غمرتهم وغمرتنا بهذا اللقاء. أسرع في سؤالهم كيف الحالة فى السلوم؟ فقالوا فى نفس واحد بطالة خالص خالص، والله ربنا جابك يا صالح (بك) وإن شاء الله تصل باكراً وتصلح بين السيد ونورى، وإلا كلنا رايعين فى داهية لأن السيد مصمم على ألا ينزل من السلوم، وسيتوجه الى الغرب، وعلى ذلك ستفقد الحركة روحها وسوف يتشتت العسكر ليلحقوا بالسيد حيث يكون. فسألتهم مادمتم تنتظرون هذا المصير فلماذا جئتم من السلوم؟ قالوا قدرنا ان السيد ربما بعد أن يرى أن الحركة صارت جدية قد يغير فكره، وأقنعنا العساكر بأننا سننتظر حضور السيد فى سيدى برانى ولانتحرك إلا إذا حضر. وسمع ياسيدى القارى لهذه الغارة الجنونية التي بذل نورى وجعفر فى سبيلها كل ما وسعهم من حيل وتضليل، واستعذبوا هذه الالاعيب وسخروا فى سبيلها كل ما استطاعوا ولم يقيموا وزناً حتى لغضب السيد الامام السنوسى وهو روح الحركة وفقار ظهر وعماد أمرها، ثم هل تصدقون بعد هذا كله ان هذه الكتائب التي وصلت ليس لديها ولا لدى ضباطها (ولا قادتها أمين وغالب) نظام اعاشه وتموين فاضطرونا أن نعطيهما مما عندنا طعام ليلتهم - يكفى هذا دليلاً على العبث وأى عبث... إنها مهزلة فقرة مرنولة تمثل حركة عسكرية تريد أن تحقق هدفاً استراتيجياً عظيماً. يتوقف على نجاحه هزيمة الانجليز وخروجهم من مصر، فيا لسخرية القدر.

عندما أدركت لماذا انفرط نظام الجنود فى سيدى برانى، انفرط بلا شك طلباً للقوت وحسبنا الله ونعم الوكيل - والسيد الامام مقدر كل هذا ولذا كان يرفض الحركة وقد قال

لى فى حديثه معى عند زيارته الاولى للسلوم أن نورى وجعفر لم يعدا أى عدة ولم يقوموا بنأى استعداد للحركة التى يسبحون بها فى الليل والنهار، وأنا أعلم انه لاسلاح ولا ذخيرة تذكر ولا مؤونة ولاشئ من اللوازم الأخرى وأن التموين اليومى إنما هو من سوق السلوم، والفضل فى وجوده للانجليز. فاذا فقدناه فقدنا معه قوتنا اليومى فأى معنى لهذه الحركة التى لا يخلطون من ذكرها والرغبة فيها والاصرار عليها؟ وقد صدق السيد الامام واقتضح أمر العائدين من أول يوم للحركة.

ولما استرحنا قليلا قمنا فى الليل الى السلوم فوصلنا فى الصباح الباكر الى ميناء السلوم، وبمجرد وصولنا بعثت خبرا للسيد الامام بوصولنا، وأنا سنصعد الى معسكره، بعد أن يصلى الضحى، وصعدنا فى الميعاد وقد تسامع المعسكر بقدمونا، فكان استقبال وأى استقبال ولقاء وكانت فرحة السيد الامام أحمد السنوسى رضى الله عنه وأرضاه فرحة اثجت صبورتنا، ولا أظن أن أحدا شهد هذا اللقاء، يمكن ان ينسى ذلك أبدا. واما نورى باشا فكان كرجل حكم عليه بالاعدام وينتظر التنفيذ بين ساعة وأخرى، ثم يسمع أن صدور العفو عنه بات قريبا.. ماذا تكون حاله؟ ذاك نورى عندما قابلته ولامبالغة فى هذا الاستقبال من هنا ومن هناك ولايزال الكثيرون ممن شهنوه أحياء يرزقون. والواقع أن التوتر الذى كان يعيش فيه معسكر مساعد الذى ينتز بالانفجار فى أى ساعة من ساعات الليل والنهار، وشعور كل من فيه بالخطر يحيط بهم من كل ناحية، وغضب سيادة السيد الامام على العبث الذى سوف يسوق الى كوارث تحقيق بجيشه ويذهب ضحيتها رجال أبطال، لا ليحققوا غاية ولا يصلوا الى هدف ولكن ليقال عن نورى وجعفر انهما قاما بحركة وهما يعلمان انها حركة مذبوحة لانهما لم يعدا لها أى عدة، حركة أقل ما توصف به انها لعب فى لعب والا فقل لى بريك أيها القارئ الكريم أى جيش هذا الذى يساق الى المعركة بل ويساق الى ميدان فقد يطول أمد القتال فيه وهو لا يملك تموين يومه؟

وما استرحنا قليلا حتى طلبنى سيادة السيد الامام فى جلسة خاصة، وبعد الترحيب تكلم والأسى يبدو فى كل حركة ونفس وهو يتكلم قال: «أرأيت كيف لعب بى هؤلاء، ثم أرأيت الى أى مصير يسوقونا وماذا تكون نتيجة هذا الجنون وما أوصلونا اليه؟» فسألت هل حصل ما حصل دون علمه ويغير مشورته؟ فقال: نعم لم أعلم بشئ أبدا حتى قيل لى ان الطوافة عبدالمنعم اقلعت بجميع الضباط الانجليز والقوة المصرية التى كانت فى قشلاق

السلوم بل أقلت بفتة لأنها تركت خيامها والكثير من عتادها فقلت وكيف ذلك؟ فقال عندما حققنا علمنا أن جعفر لعب آخر لعبة عنده وهو انه كان يعرف جواسيس الانجليز الذين كانوا يرتادون معسكرنا المفتوح كما تعلم لكل غاد ورائع، فجاء باثنين ممن يتق الانجليز بتخبايرهم وأغراهما بالمال وأعطى كلا منهما مالا كثيرا وقال لهما: «لا أريد منكما الا ان تنقلا الى الانجليز ان الترك والسيد اتفقوا نهائيا على الحركة باكرا، وأن جميع القوة الآن فى هذا المعسكر او قريبة منه، حتى طابور «بير واعر» وهو أكبر الكتائب عددا واحسنها تدريبا بقيادة يوزباشى «صاغ» نديم فى طريقها وسيصل هذه الليلة الى هنا لا أريد منكم أكثر من ذلك ولكما منا بعد نجاح تبليغكما مكافأة أكبر مما أخذتما، ففرح الجاسوسان وما كان منهما الا أن هرولا وكانت الشمس قد قاربت الغروب وابلغا الأميرالى اسنو بذلك، ولم تقف المؤامرة عند هذا الحد بل أرادوا أن يؤكدوا للانجليز ما نقله اليهم جواسيسهم فقاموا فى ليلتهم بمنورة المدفعية بقرب قشلاق السلوم وفوق الهضبة المشرفة على الميناء، ولم يكتفوا بذلك بل أرسلوا جماعة كبيرة من طابور برنجى نمونة فنزلوا حيث كانت بالمعسكر القوة الصغيرة من الهجانة بقرب الميناء للمحافظة على مخيم الضباط الانجليز، وكانت تحت قيادة المرحوم الملازم أول «الصاغ محمود لبيب» (٣٩) أجزل الله ثوابه على جهاده. أقنعوه بأن يصعد معهم ومع رجاله وجماله الى معسكر مساعد، لأن الحركة ستبدأ فى الصباح الباكر ولايلق بمسلم أن يبقى مع هؤلاء الانجليز فصعد معهم، ويات الانجليز بعد خبر الجواسيس فى وجل لاتغمض لهم عين من هجوم السنوسيين عليهم صباح غد وأكدت تلك المناورة التى رتبها جعفر فوق هضبة السلوم الخبر، فلما أصبحوا طلب اسنو الملازم محمود لبيب فلم يجده، ولا الهجانة، فكان هذا آخر انذار بأن الهجوم عليهم واقع لا محالة بين دقيقة وأخرى، ففى الحال أمر اسنو بالرحيل، وأمر الجنود المصريين الذين بالقشلاق بالنزول على عجل، فنزلوا وتخلف بعضهم لأنه كان خارج القشلاق كما تخلف ضابط أيضا ولما أرادوا ان يلحقوا بإخوانهم وجدوا الطوافة عبدالمنعم قد أقلت وترك الانجليز فى معسكرهم كل متاعهم ونجوا كما قالوا من الاسر أو القتل.

المواقف ينكشف

هذا ما رواه السيد الامام بعد أن تجمعت لديه المعلومات التى أعجلت الانجليز وحملتهم على مغادرة السلوم بهذه السرعة دون الرجوع اليهم «انتهت الرواية» ثم واصل السيد

الامام حديثه فقال: «أرأيت هذه المهزلة التي كانت خاتمة المهازل التي قام بها هؤلاء الضالون المضلون وحسبى الله ونعم الوكيل فيهم».

وانظر اى بلاء جرونا اليه دون أن يحققوا لولتهم غاية أو يتقوا الله فى أبناء هذا الوطن الذين أصبحوا بين عدوين من خلفهم عدو هو الطليان ومن أمامهم عدو هو الانجليز، ولكنى عزمت ألا أطاوعهم ولا أنقاد الى عيثهم وسوف أرسل الى الذين خدعهم من المجاهدين وساقوهم معهم الى الحدود المصرية الى العودة والا فهم عصاة، ولن يريحوا وسيرى نورى وجعفر بعد ذلك ماذا يكون مصيرهم؟

ولما انتهى السيد من ذلك قال لى: واثت ما الذى جاء بك فى هذه الظروف ولو ان مجيئك خفف عني ألما وأعباء ثقيلة كنت أشعر بها وأظنك رأيت فرحتى بقومك. وقلت له: اسمع منى يا سيدى، أظن سيايتك تعرف تماما انى أنا الوحيد من المصريين الذين يعرفون حقيقة حالكم، وما أنتم عليه، فقال نعم نعم لا شك فى ذلك. ثم قلت وأعلم حالة الانجليز وما هم عليه ودرجة استعدادهم لمحاربتكم بعد أن بذلوا ما بذلوا ليتجنبوا حريكم، قال نعم صبروا كثيرا وتحملوا كثيرا من لعب نورى وجعفر، ثم قلت لسيايت: ان من يعرف كل هذا لا يخاطر هذه المخاطرة ويأتى اليكم إلا إذا كان هناك ضرورة تدعو اليها وتهون معها كل مخاطرة، فhez رأسه ثم قلت له: دعنى يا سيدى أتكلم عن الوضع الذى أصبحتهم فيه أنتم شخصا، فأنصت، فقلت لا أزيدك علما ياسيدى اذا قلت ان العالم الاسلامى كله ينظر اليكم، اليوم نظرة اجلال واكبار بعد هذه المواقف الخالدة والجهاد المرير ضد الطليان، وما أظهرته ليبيا من بطولة خارقة وايمان عريق أذهل الاعداء وأثلج صدور المؤمنين وأصبح اسمكم على كل لسان وذكركم فى العالم حيث الناس أجمعين - وأظنكم تعلمون علم اليقين أن مصر فى مقدمة المحبين والمقررين والمعجبين بكم وان على أيديكم سيكون نصر المسلمين، وكما لا يخفى عليكم ان مصر ساهمت بالنصيب الوافر فى نجاح الحرب فى برقة وقدمت كل ما استطاعت فى هذا السبيل، قال: ومن ينكر هذا؟ والله لا ينكر ذلك إلا كافر وهل كنا نستطيع شيئا لولا نجدة مصر وموقف مصر وعون مصر؟ والله لولاها ما كنا شيئا ولا استطعنا شيئا- قلت: عظيم مصر هذه تنتظر منكم أو هكذا جعلتها رعاية الدولة العثمانية أن تنتظر منكم المساهمة الجدية فى إنهاء الاحتلال الذى أصبح حماية وتخليصها من هذا البلاء، ومصر على بكرة أبيها تنتظر الفرج من الشرق

بقوم جيش على رأسه الخيوى، وتنتظر الفرج من الغرب بقوم جيش أنتم على رأسه ويقوى هذا الأمل ويضاعفه تلك البطولة التى تجلت فى كفاح عرب برقة ضد الطليان، والذى بعث فى المصريين نارا تنتظر موقدا وحقدا مرا ضد الانجليز. ينتظر مخرجا لتساهم مع جيش الشرق والغرب فى ثورة داخلية تريك الانجليز وتشل حركتهم وهى تعد الايام مترقبة هذا اليوم الذى تنفجر فيه مراحلها وتتأثر فيه لعزتها وكرامتها وحريتها من احتلال طال أمده وثقل حمله - وقلت: هل ما قلته ياسيدى واضح، قال: نعم واضح وأنا منصت لكل كلمة تقولها، قلت: مصر هذه ياسيدى التى يحدها الأمل ويحفزها الرجاء لاتعرف قليلا ولا كثيرا مما أنتم فيه من سوء حال وعبث العابثين ولاتعرف إلا أن الفواصات الألمانية لاينقطع مددها لجيشكم بالسلاح والعتاد والمؤن ليوم الهجوم، وأن خليفة المسلمين ودولته العلية لاتغفل ليلها ولانهارها عن الحث لاستكمال هذا الاستعداد وإرسال الضباط والجنود المدربين على استعمال الأسلحة الثقيلة هذه هى الدعاية أو ماينسجه الخيال فى عقول المصريين والمتحمسين ليوم القتال. فإذا جئت أنت اليوم يا سيدى ووقفت موقف المعارض لهذا الهجوم والمانع له والتحدى للشارعين فيه والذين فى استطاعتهم او فى استطاعة دولتهم ان يملأوا الدنيا دعاية كلها كذب، والدولة نفسها ربما كانت مخدوعة فى هذه الدعاية بسبب هؤلاء الضالين المضلين من رجالها الذين أوفدتهم اليكم اذ قالوا للعالم الاسلامى عامة ولمصر خاصة انظروا كيف وقف السيد السنوسى معارضا للهجوم على الانجليز بعد ان أتمنا استعدادنا وهيأنا انفسنا واتكنا على السيد السنوسى فى العمل على انجاح الهجوم الكبير للجيش القادم من الشرق فافسد علينا خطتنا التى تعبنا فيها وأنفقنا الشهور الطويلة فى تجهيزها ليبرئوا انفسهم بهذه الدعاية الخبيثة وليظهرونكم ياسيدى امام العالمين بموالاةكم للإنجليز والسعى لفشل الهجوم وخذلان مصر، والله يعلم أنهم هم المجرمون المضلون الكاذبون على الله والناس ولكن ما الحيلة بعد ذلك؟

هذا ما أردت أن أوضحه لكم لتروا رأيكم فيه والله قاهر على أن يلبسهم ثوب الخزى الذى نسجته أيديهم وان يطهركم تطهيرا وينصركم عليهم نصرا عزيزا إن شاء الله. ويشهد العالم وتشهد مصر أنكم لم تقصروا فى سبيلها وأنتم رغم الحرمان الشامل والعجز القاتل بذلت ما فوق الطاقة وحاربتم بالإيمان الصادق واليقين الثابت وسالت دماء

عرب بركة طاهرة زكية على أرض مصر، وفاء لحقها واعترافا بفضلها، ومساهمة في خلاصها - هذا ما أراه وأوضحته صائقا مخلصا والأمر اليكم فانظروا ماذا ترون. فصمت السيد الامام مطرقا وطال صمته ثم رفع رأسه وقال «اللهم لا حول ولا قوة إلا بك والأمر اليك وأنت تعلم ما نحن فيه، والله يا ولدي إننا إذا حاربنا قدمنا أبناءنا ضحية للأعيب نوري وجعفر دون فائدة واما إذا امتنعنا عن الحرب لحقنا عار ما ينتشرونه كتبنا وبهتاننا وحملونا أمام العالم الاسلامي ومصر والمصريين وزر ما صنعتهم أيديهم الخبيثة، هما أمران أحلاهما مر» والى الله المشتكى فقلت: يا سيدى الامام لن يخذلك الله أبدا، ولن تغلب والله ناصرك، فتوكل على الله وأقدم، فقال: ان شاء الله.. اتركنى وعد الى بعد ساعة لأقول لك قرارى النهائى ولن يخرج إن شاء الله عن نصيحتك فقلت له: أرجو أن تسمحوا لى بأن أقضى هذه الساعة مع نوري أتكلم معه فيها وأبين له ما وصلنا اليه. فقال حسن. تكلم معه وبين له فضائحهم، فخرجت من عند الإمام على أن أعود اليه بعد ساعة.

مع نوري

وما إن خرجت من حضرة السيد حتى قابلنى من كان ينتظر خروجى من قبل نوري وقال: الباباشا ينتظرك فى خيمته فأرجو أن تذهب اليه لأنه يريد مقابلتك ضرورى. فقصدت خيمة نوري. استقبلنى فى لهفة وشوق. وجلسنا ثم قال لى: «لقد طالت مقابلتك لسيدى أحمد، إن شاء الله خير، فقلت له: وهل أنا قادم لأقنعه بذلك وهو أعلم منى الف مرة بكل ما له علاقة بهذه الحركة وفائدتها أو عدم فائدتها؟.. قلت له دعنى ياباشا من اقناع السيد بالحركة وعدم الحركة أنا أريد أن أسألك بشرفك العسكرى. هل أنت مقتنع بأن هذه الحركة وقد شرعتم فيها فعلا ستحقق الهدف الذى ترجوه منكم استامبول؟.. وبشرفك العسكرى مرة ثانية هل تعتقد أن جيشا لا يملك مؤنة يومه يستطيع أن يحقق شيئا؟.. أم انها مجرد حركة مذبوحة لتقولوا لاستامبول أنكم تحركتم. وليكن بعد ذلك ما يكون؟ فسكت وظهر الألم على وجهه وحركات يديه.. وعدت أقول له: اسمع ياباشا.. ان ما أقدمتم عليه لايرضاه الله ولايرضاه استامبول ولايرضاه الضمير العسكرى ولايخلد الا أسوأ الذكريات، ولا يأتى الا بهزيمة محققة وفضيحة للدولة العثمانية وكارثة تنزل بهؤلاء المجاهدين وببلادهم التى تقابل عدوا «هو دولة من الست دول الكبرى» هى ايطاليا. وببلادهم أحوج ما تكون الى كل قطرة من دمائهم فى سبيلها سوف تسيل هذه الدماء على أرض مصر دون أن نحقق

شيئا يذكر، وأنا قادم ومعى من معى من جنود مصر وزعمائها وزعماء قبائلها، وأنا أعلم انى قادم لأشترك فى الموت مع هؤلاء الذين تسوقونهم الى الذبح، ومن خلفى آلاف من أولاد على والمراطين، وكلهم مستعد لأن يموت أيضا مع هؤلاء وهم لا يملكون شيئا من السلاح يذكر، ظنا منهم انهم سيجدون عندكم الكفاية منه، فهل يليق هذا باسم الدولة العلية؟ فقال ياصالح بك هذا جهاد فى سبيل الله بأمر الخليفة والدولة العلية نفسها يموت كل يوم من أبنائها الألواف فى هذا السبيل، فماذا لو مات المسلمون فى حريهم مع أعداء الخلافة؟ قلت. حسنا يموتون ويجب أن يموتوا على شرط أن يكون لهم فى موتهم ما يعود بنفع على الخلافة، ويشترط أن تستكمل الخلافة إعدادهم واستعدادهم.. «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» فأي قوة أعددتوها أنتم باسم الخلافة والخليفة؟.. وهل أبنائكم فى تركيا يساقون للموت فى الميادين بغير تموين ولا تسليح ولا خدمات خلفية من أى نوع؟ هل فى العالم الذى نعيش فيه اليوم يتقدم جيش الى الميدان على الصورة التى تدفعون بها هؤلاء المجاهدين الى القتال، والانجليز وانتم تعلمون من هم وما استعدادهم؟.. لا يا باشا؟.. اسمح لى أن أقول لك هذا كلام أبعد ما يكون عن تقدير المسؤولية، أو تقدير الموقف وما سوف يترتب عليه من حركة فاشلة وهذه تجربة لم يتوفر لها أى نوع مما يجب من التجهيز. ثم سكت، فقال نورى «فى الحقيقة ان وزارة الحربية، بل الحكومة كلها فى استامبول مشغولة ومضطربة بالنسبة لهجوم الانجليز على الدردنيل وان كل مجهود الباشا، يقصد أخاه أنور باشا» متجه الى حماية الدردنيل وحماية استامبول من أن يستولى عليها العدو لأن فى استيلائه عليها لا يبقى لتركيا الا التسليم هذه هى المشغولية التى لاتدع لهم تفكيراً فى ميدان آخر. فقلت له: وما ننب السنوسى فى هذا؟ فقال: أنا لا أقول أن عليه ذنبا. قلت: «اذن لماذا كنتم توجهون اليه اللوم. فى الماضى؟ والآن وبعد أن شرعتم فى الحركة لازلتهم تريدون تحميله مسئولية تأخير الحركة وعدم موافقته على الاشتراك فيها، وانت لاتستطيع ان تذكر الآن أن له كل الصواب إذا رفض ان يتقدم لمحاربة عدو يعلم قوته وهو مجرد من كثير؟ فقال لى ياصالح «بك» انت خدمت الحرب فى برقة خدمات عظيمة «والباشا» «أنور باشا» ينكرها لك فى كل مناسبة ويقول: لولا مجهودك ومجهود اخوانك الضباط المصريين لما استطاع أن يقف امام الطليان ويحاربهم وينتصر عليهم.

والآن أنا أرجوك والموقف كما ترى فى غاية الصعوبة.. واصرار السيد على عدم الحركة يعرضنا لمصيبة عظمى ويعرض القوات التى انحدرت الى الحدود المصرية الى أشد البلاء، فأرجوك «وقام ومسك يدي» أن تعمل كل مايمكنك لتقنع السيد بأن يشترك معنا ونحن واثقون اننا ببركته سوف «نوفق» والحقيقة أنا الآن بين نارين: استامبول وقد كتبت لها كثيرا لأجل الاستعداد ولم تساعد كما يجب وتطلب منا ان نعمل شيئا نشغل به الانجليز قبل ان يدخل جمال مصر من الشرق. وعلمنا ان استامبول صرفت النظر عن الخديو، وأن نسبق جمالا اذا امكن فى التسلل الى مصر. «وعلمت فيما بعد المنافسة الشديدة التى كانت بين أنور باشا وجمال على دخول مصر وهذه حكاية أخرى ربما يأتى يومها كما تأتى حكاية ابعاد الخديو عباس عن قيادة جيش «الشرق» والنار الثانية هى غضب السيد وامتناعه عن الحركة ولانعرف ماذا يكون مصيرنا. فلنا أمامك أقول انى حملت نفسى مالا طاقة لى به فكان الواجب على أن أعود فى غواصة الى استامبول وأقول للباشا أنا لا أستطيع أن أتحمل مسئولية حركة بغير استعداد لها، وان السيد السنوسى له كل الحق فى أن يمتنع عن الحركة، ولكنى لم أفعل وهذه غلطة كبرى سببت لى كل ما أنا فيه، والآن ليس أمامى غيرك ولا أحد يصلح بينى وبين السيد سواك، وأنا مستعد أن أتقدم للسيد بكل أنواع الاعتذار وأطلب عفوه وصفحه، فاعمل معروف - وكررها فى حيثه مرة ومرات - أصلح بيننا لنعرف مصيرنا. فقلت له: سأعود اليه وأحاول، والله ولى التوفيق.

الامام يشترط

وخرجت من عنده وكان مضى أكثر من ساعة وبعث سيادة السيد الامام يدعونى اليه، فدخلت ونكرت لسيانته كل ما دار بينى وبين نورى، وقلت فى النهاية: والأمر اليك ولا أقول أكثر مما قلت، غير اننا وصلنا الى حالة يجب أن نجعل لها حدا، وكل ساعة تمر تجلب علينا الويلات.

وكان قد بلغ السيد فى الليلة الماضية أن قوة من سوارى الانجليز أرسلت لتتبعبنى ومنها الاميرالاي اسنو وفوجئت بالكمين الذى أقمناه فى وادى ماجد واصطلموا به وكانت خسائره كبيرة، وقتل فى هذه المعركة الاميرالاي اسنو وكانت خسائر المجاهدين قليلة. عند ذلك قال لى سيادة السيد الامام «أنا سأقبل وساطتك فى الحركة ولكن بشرط أن

يكتب نوري اقراراً بأنني كنت على حق عندما تشبثت بتأخير الحركة للعجز الشائن في استعدادنا وما هم الآن قد تحركوا بغير إنني ويدون أن يكملوا استعدادهم. وبعد أن يكتب هذا ويقدمه لي سأوافق على الحركة وأشارك فيها مع علمي بفشلها، والله المستعان وهو ولي التوفيق، ويدون هذا الشرط لن أتحرك، فاستأذنت من السيد وذهبت الى نوري وأبلغته الشرط الذي يطلبه السيد لكي يوافق على الحركة ويشترك فيها فوافق وكتب ما أراه السيد وأخذته مع اقراره وتوجهنا الى السيد الامام، وقبل رأسه ويديه وركبتيه، واعتذر بكل كلمة عربية يعرفها، وما كان من السيد الا أن قال: عفا الله عما سلف، ونسأل الله ان يتقبل جهادنا، وأن يكون في سبيله وفي مرضاته. وغدا إن شاء الله نتوكل على الله ونبدأ حركتنا - ولاتسل ياسيدي القارئ عن سروري بهذه النتيجة. وما سمعها المعسكر حتى بوت زغاريد النساء وفرحة المجاهدين التي لاتوصف لأن التوتر الذي كانوا فيه كان على أشده. وأقضى المضاجع وشرد النوم وصير الحياة جحيماً في المعسكر واشتغل بعد ذلك كل انسان بتجهيز نفسه وفي الصباح الباكر وبعد الصلاة جماعة، والدعاء والتوسل: يمعنا شطر الحدود المصرية لنلقى العدو «إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم» وباسم الله والله أكبر فقد بدأت الحرب في سبيل الله ومصر.

لاشك ان السادة القراء سيتساءلون كيف استطاع الجيش السنوسي أن يحارب بغير تمويل؟ نعم. وجد الجيش تمويله ولكن كيف وأين وجده؟ جرت عادة العرب في صحراء مصر الغربية أن يختزنوا جزءاً من محصول عامهم من الشعير ليكون من تقاوى العام المقبل ولحسن الحظ كانت السنة خصبة والمطر غزيراً والشعير المخزون منه وافر وقررنا قبل حركة القسم الكلي من الجيش السنوسي الباسل من السلوم الى حدود مصر - أقول الجيش الباسل بحق. الجيش الذي كان صورة صائقة ناطقة لما قرأنا عن المجاهدين في الصدر الأول من الاسلام الذين جاهدوا لحماية العقيدة من اعدائها وفتحوا. الجيش الذي وصف رجاله حينذاك بأنهم يرغبون في الموت رغبة أعدائهم في الحياة هم هؤلاء المجاهدون من قبائل برقة والذين يتكون منهم الجيش السنوسي والذين امتحنوا الصبر ولم يمتحنهم وأمن بهم الإيمان بعد أن آمنوا به فرضى الله عن شهدائهم وأجزل الثواب للأحياء منهم.

رأينا أن يسبق حركة الجيش خطاب يقوم به مخصوص على عجل يكتبه نوري باشا الى

جعفر باشا يطلب فيه أن يتفق مع عرب أولاد على والمرابطين لكي يقدموا ما يلزم لتموين الجيش بطريقة منظمة بحيث يبقى لديهم ما يلزمهم من التقاوى وان تعطى لهم ايصالات بقيمة ما يؤخذ منهم للمحاسبة عليه فى المستقبل وفلا تم تنظيم التموين على هذه الصورة ولو انه لم يبق التموين على شىء من التقاوى ولكن العرب الكرام رفضوا فى إباء أن يأخذوا ايصالات بما يقدمونه من الشعير أو الماشية وقالوا هذا حق الله نقدمه لأبناء عمومتنا المجاهدين الذين جاؤا لنصرتنا فهم ضيوفنا ما داموا فى أرض مصر وسنحارب معا ونقتسم اللقمة الواحدة معا والله لا نأخذ ايصالا على ما نقدمه فى سبيل الله والوطن. ومن باع نفسه فى سبيلهما لايبخل بعرض الدنيا الفانية. هؤلاء الامجاد هم عمد ومشايخ وشيوخ زوايا زعماء القبائل وعقلائها قبض الانكليز على كثير منهم بعد معركة العقاقير وحاكمهم وحكم عليهم بالاشغال الشاقة لاشتراكهم فى الحرب وزجوا بهم فى إيمانى طرة وأبوزعبل مكبلين بالأغلال ولم يرحموا حتى الشيوخ منهم ولكنهم صبروا صبر الكرام على الأذى والأشغال الشاقة ولم يخرجهم من العذاب الا صدور العفو الشامل فى سنة ١٩٢٢. هؤلاء هم الجنود المجهولون الذين لاتعرف مصر عنهم شيئا والذين جاهدوا فى الله والوطن حق الجهاد ونزل بهم ما نزل فلم يضجوا مما أصابهم كما لم يباهوا ولم يفاخروا ولم يقولوا قدما وبذلنا وضحيانا وخسرنا بل سكتوا سكوت المؤمنين راضين مطمئنين لرضاء الله عنهم واحتسبوا كل ما فعلوا عند رب العالمين وهكذا يكون الجهاد فى الله ولله فى الوطن وللوطن ونعم أجر الصابرين. هذا ما انتهى اليه نظام التموين فى المنطقة الساحلية.

ولكن بعد ان استمرت الحرب مع الانجليز فى المنطقة الشمالية مدة رثنى بعد عقد مجلس حرب وجوب قيام قوة الى الجنوب من أربعة آلاف مقاتل لتشغل الواحات وعينت قائدا عليها - وبعد أن وصلنا الى واحة سيوة زحفنا وشغلنا الواحات البحرية والفرافرة والداخلة. أما الواحات الخارجة والداخلة فإن الانجليز بمجرد أن علموا بتقدمنا الى الواحات أسرعوا واحتلوا الخارجة ولم نجد صعوبة فى تأمين تموين القوة التى شغلت الواحات لوجود البلع بكثرة فى سيوية والبحرية وأما الداخلة فقد قدمت البلع وغيره مما تزرعه وأظهر سكان الواحات من علو الهمة وسخاء النفوس شيئا كبيرا أما واحة سيوة فقد قدمت مع التموين كتيبة من أبنائها كانوا رجالا ونعم الرجال فى الوقت العصيب وشدة البأس. أجزل الله ثواب الجميع فى الدارين.

١٠- رئاستى لجمعية الشبان المسلمين

ولد فى أسوان بجهة السونقرا ب عام ١٨٨٦م (٤٠) وتلقى تعليمه الأولى فى كتاب الشيخ أبوزهران، وكان يهتم به كثيرا ويعجب بمتانة حفظه للقرآن الكريم. ثم ترك الكتاب إلى المدرسة الابتدائية الاميرية بأسوان وأتم فيها دراسته الابتدائية، ثم سافر الى القاهرة والتحق بمدرسة العباسية الثانوية وأتم دراسته عام ١٩٠١. وقد عرف عنه حبه للرياضة والنشاط والقوة ودفعه ذلك الى الالتحاق بالمدرسة الحربية، ولكن المدرسة الحربية فى تلك الفترة امتنعت عن قبول طلاب جدد بها بسبب الانتهاء من فتح السودان وعدم الحاجة الى ضباط جدد، وكان باشجاويش المدرسة الحربية وقتذاك «مصطفى زهدى» والجاويش «على حسنى» و«على عبدالوهاب» والأومياشى «عبد الحميد برادة وحسين فوزى» واثنين سودانيين، يوسف شاهين وطالب آخر..

فى مدرسة السواحل

يقول السيد اللواء صالح حرب:

واقترح هنتر باشا مستشار وزارة الداخلية الانجليزى أن ألتحق بمدرسة السواحل، وكان معى ستة طلاب آخرين، وبخلفنا السواحل ومعنا أولئك الطلاب، وأمضيت مع زملائى مدة الدراسة وهى عامان وتخرجت بعدها فى سنة ١٩٠٢.

وبعد أن تخرج صالح حرب عين فى وظيفة ضابط حدود بخفر السواحل برتبة ملازم ثان.

وكان صالح حرب هو الضابط الوحيد الذى رقى الى درجة قومندان بقسم الضبعة وهو ملازم أول، وهى تعادل فى الدرجة والمسئولية رتبة المقدم الانجليزى.

وفى سنة ١٩٠٦ رقى الى رتبة نقيب وصار قومندان لقسم مرسى مطروح بعد «رويل بك» وهى تعادل وظيفة محافظ الصحراء الغربية.

وقد عين صالح حرب وكيلا لمصلحة السجون عام ١٩٢٠ وما بعدها، وحينما ألف على ماهر الوزارة سنة ١٩٢٩ أسند اليه وزارة الحرية ومنح يومها رتبة اللواء.

بدأت الكفاح

قلت للسيد اللواء محمد صالح حرب:

لقد قدمت أول ثورة ضد الاحتلال والحماية عام ١٩١٥ فما هى نكرياتكم عن هذه الفترة؟

ورجع سيادته بذاكرته الى اللواء، الى كفاحه المجيد وقال: «بدأت الكفاح وأنا فى وظيفتى بخفر السواحل فى عام ١٩١١ عندما بدأت ايطاليا فى تنفيذ سياستها الاستعمارية الرامية صراحة إلى غزو ليبيا...

وحينما بدأت الحرب العالمية الاولى، واعلنت انجلترا الحماية على مصر على الدم فى عروق المصريين جميعا، وفكرت فى وسيلة فعالة للإنتقام من الانجليز، ولم أجد سوى الحرب السافرة، فعقدت العزم مستعينا بالله على أن أعلن الثورة وأحارب الانجليز فى حدود مصر الغربية، وقوام هذه الثورة قوة الهجانة الموزعة على سكان الحدود الى السلم، وسكان الواحات...

وفى ليلة ٢٦ نوفمبر سنة ١٩١٥ بدأت الثورة واستولينا على واحة سيوة والبحرية والداخلة، اما الخارجة فقد سبقنا الانجليز اليها واحتلوها لوجود سكة حديد واصله اليها.. وكنت فى تلك الفترة قومندان مطروح والحاكم العسكرى للمدينة، وكان الملازم أحمد منصور مأمور واحة سيوة، وقد انضم اليها ووكل اليه أصعب عمل وهو المحافظة على الأمن والاشراف على التموين فى جميع الواحات، وقد أظهر بطولة رائعة..

تكريات الجهاد

ويتابع البطل القائر ذكرياته قائلا:

«وبذلك تركت الخدمة في السواحل، والحكومة وحملت سلاحى فى وجه الانجليز، ثم

انضمت لجيش ليبيا، وحكم على بالاعدام...

واقدر كان الجميع فى ليبيا يتمتعون بروح معنوية عالية، وكان الايمان يملأ قلوبهم ومشاعرهم، وأذكر أن السيد أحمد الشريف السنوسى، أصدر أمرا يقضى بالآ يستثنى إنسان من الاشتراك فى الحرب والخروج الى الميدان سواء فى ذلك الرجال أو النساء، الا من كان «شيخ زاوية» أو «قاض».

وحدث أن مشايخ الزوايا والقضاة كان عددهم كبيرا، ولم يرض هذا ضارية الطبل وهى امرأة كانت تركب جملا وعلى الهودج طبلتان تضرب عليهما لبعث الحماسة والحمية فى قلوب المحاربين، فتخذت تنشد «خلوهم ضنا الطليان.. الى موافوا عيقله» أى خلوهم من بنى الطليان الذين هم ليسوا باخوانى، وكانت تقصد أولئك الذين كثر عددهم، فسمعها الجماعة المستثنون ودخل الحماس قلوبهم وسرعان ما استجابوا وخفوا الى الميدان.. وحاول السيد السنوسى أن يرجعهم ثانية، ولكنهم رفضوا وتركوا وظائفهم وخافوا العار وحاربوا جنبا الى جنب مع إخوانهم المجاهدين..

ماذا أقول الجندي؟

ويستمر صالح حرب الضابط السياسى المحارب، فى سرد ذكرياته التى تعد فى الواقع

وثيقة رائعة فى تاريخ أمتنا فيقول:

«عندما عينت وزيرا للدفاع كان أول ما شغل بالى هو ان أطلع على خطة الدفاع عن الحدود الغربية المهددة بهجوم ايطاليا، ورأيت أن الدفاع غير مستكمل العناصر فرأيت أن أعرض الأمر على رئيس الوزراء على ماهر الذى عرضه بدوره على الملك السابق، وانتهت الاتصالات بأن قام الوزير ومعه أركان حرب الجيش المصرى المرحوم عزيز المصرى وقائد القوات الانجليزية بمعاينة الحدود ووضع خطة الدفاع عنها تنفيذا لمعاهدة ١٩٣٦.

وخلال هذه الفترة اعلنت الحرب العالمية فى ٢٩ سبتمبر عام ١٩٣٩ وكانت بريطانيا تريد أن تدخل مصر الحرب الى جانبها هى والطفاء، ضد محور المانيا وايطاليا.

ولما ألح السفير البريطانى(٤١) فى طلب دخول مصر الحرب، اشترط على ماهر الغاء

معاهدة ١٩٣٦ وعقد معاهدة أخرى تشمل الجلاء عن مصر والسودان، وتكون معاهدة الند للند بين دولتين مستقلتين... ولكن السفير الانجليزى، رفض، ورفضت الوزارة كذلك دخول الحرب الا اذا هوجم جيشنا وهوجمت مدنتا..

وقابلنى «ويلسون» وسألنى عن تمسك الحكومة المصرية بعدم اعلان الحرب فقلت له: ماذا أقول للضابط أو الجندى المصرى الذى أدفعه للميدان ليموت؟ هل أقول له ضح بحياتك من أجل الامبراطورية البريطانية؟ وهل تعتقد أنه يقبل التضحية؟ أما اذا قلت له: انك ستضحى بحياتك من أجل بلادك وحريتها فإنه لن يتردد.. وهنا أجابنى «ويلسون» بقوله: معك حق!

ومع هذا الامتناع، ظلت بريطانيا تضع العراقيل فى طريق الوزارة حتى أبرق «هاليفاكس» وزير خارجية تشرشل للملك السابق يطلب اقالة الوزارة... وأبرق الملك السابق ملك بريطانيا يشكو تصرف وزير الخارجية، ورد ملك بريطانيا بأنه ملك دستورى لايمك التخل فى شئون الحكم.

وخضع الملك السابق... وخرجت الوزارة التى عارضت فى دخول الحرب!

كانت الغواصة تغرق بنا!

ويمضى اللواء صالح حرب فى ذكرياته:

«وفى ليبيا وكنت القائد العام للجيش السنوسى. سافرت الى استامبول مع السيد أحمد السنوسى تلبية لدعوة السلطان وحيد الدين السادس ليقلده نائب الخليفة الأعظم فى افريقيا، وذلك بعد أن مات السلطان محمد الخامس. وكانوا يقيمون حفل التتويج فى ضريح السلطان أيوب احد الذين قتلوا على أبواب استانبول... وركبنا الغواصة من «العقيلة» وكانت ميناء فى غرب السلوم، ولما دخلنا على «الأرياتيك» كان يتعين على الغواصة أن تغوص الى عمق ٤٢ مترا لأن القطع الصغيرة من أسطول الحلفاء كانت تتناثر فى مياه الأرياتيك، وكانت أجهزتها تسمع الى عمق ٣٧ مترا ليعرفوا مكان الغواصة..

وتعطلت الغواصة، وأحسسنا بذلك وسألت قومندان الغواصة فقال:

سأقول لك على شرط... قلت: ماهو هذا الشرط؟ ألا تقول شيئاً للسيد السنوسى؟

قلت: وهو كذلك؟ وعندئذ قال لى أن الغواصة تعمل بماكينتين معا، وقد تعطلت إحدهما...

وشعرت اننا فى خطر مؤكد، وأن الموت يحيق بنا، خاصة أننا على عمق اثنين وأربعين مترا فى الماء، والقطع الخاصة بأسطول الحلفاء تحيط بنا.. وأخذوا يعملون فى اصلاح العطل الذى أصاب الغواصة بهمة عالية ومهارة بارعة، وتحققت ارادة الله لنا بالنجاة، وحصلت بركة الشيخ السنوسى وكرامته وسرعان ما تم اصلاح الغواصة وصعدت الى وجه الماء، وحمنا الله...

ثم وصلنا الى «بولاء» وكانت وقتها ميناء تابعا للنمسا- وهى الان تتبع يوغوسلافيا - ومن هناك وصلنا الى فيينا، ومكثنا بها سبعة أيام جهزنا أنفسنا خلالها ثم ذهبنا الى استانبول...

وكانت المقابلة فريدة فى نوعها، فلم يقابل ملك مثلما قوبل السيد أحمد الشريف السنوسى ولم يبق أمير من أمراء آل عثمان الا وخف الى استقباله لمكانته العظيمة... ونزلنا فى سراى «كبو» وهى أكبر سراى هناك، وحضرنا حفل التتويج للسلطان وحيد الدين حيث قلده الوشاح وسيف عثمان أحد افراد الأسرة التى تتوارث القيام بذلك، وكان الحفل بضريح السلطان أيوب أحد الصحابة الذين قتلوا على أبواب استانبول.

قصتي مع الشبان المسلمين

وقد انتخب اللواء صالح حرب رئيسا لجمعية الشبان المسلمين سنة ١٩٤٠.
ويقول سيادته:

«كانت الوزارة قد استقالت، واتصل بى بشأن رئاستى للشبان المسلمين المرحوم الدكتور الدريزى(٤٢) وكنت مشتركاً بالجمعية منذ انشائها، وحتى عندما أصبحت وزيرا للدفاع كنت مشتركاً فيها....»

وقال لى الدكتور الدريزى رحمه الله:

إننا نريد أن نجتمع بك، فإما أن نحضر لك أو تحضر لنا بالجمعية، وسألت عن الغرض من ذلك فشرح لى الموضوع، ولكنى رفضت، فآلح على وطلب المقابلة، فوعده بالحضور.. وجئت الى الجمعية ووجدت الدكتور الدريزى والمرحوم زكى على «باشا»(٤٣) وبعض الأعضاء الآخرين وقالوا لى: ان الدكتور عبد الحميد سعيد(٤٤) فى دار البقاء، وقد اخترناك بعد بحث طويل وديق، واستعرضنا كثيرا من الاسماء والزعماء فلم نجد سواك يصلح لأداء هذه الرسالة، فنرجوك أن تقبل هذا..

ولكنى رفضت وقلت اننى طوال حياتى رجل عسكرى، وسأظل مشتركاً بالجمعية كما كنت وكما سأكون، ولكنى لا اقبل أن أكون رئيساً.. فعادوا يقولون:
ولكن هذا الاختيار بالاجماع من الجمعية.. فقلت لهم: دعونى أفكر... وذهبت الى أسوان، وهناك اتصلوا بى كثيرا ثم أرسلوا لى رسولا قال لى ان اخرج من أسوان إلا وأنت معى!..

ووجدت انه لامناس من الاستجابة لهذه الرغبة الكريمة من اخوانى فقبلت أن أكون رئيساً للشبان المسلمين، وكان ذلك سنة ١٩٤٠.

ارادوا إبعادى!

ويكمل اللواء صالح حرب قصته مع الشبان المسلمين قائلا:
بعد حادث ٤ فبراير المشهور لم أجد صدقاً له من أية هيئة، ولم أر أى رد فعل من الشعب.

فذهبت الى جمعية الشبان المسلمين، وجمعت مجلس الادارة وقصصت عليهم تفاصيل الحادث المؤسف، فاشاروا بالحكمة والتريث، وعدم الاحتجاج، ولكنى أصررت على الاحتجاج، وكتبته بنفسى وسلمته لارساله للسفير البريطانى..
وفى اليوم التالى وجدت أن الاحتجاج لم يرسل، فحملته بنفسى وذهبت به للسفارة البريطانية وسلمته بيدى لمستر «كارت» (٤٥) السكرتير الشرقى.
وقال لى فى تهكم: أهو اعلان حرب ياباشا..

ورددت عليه بنفس طريقتة: لو أستطيع أن أعلنها لما ترددت، وأنت تعرف!

الى جنوب أفريقيا...

قلت لسيادته:

وما هى نتيجة ذلك؟

فقال: لقد طلب الانجليز من الملك فاروق تسليمى لهم لارسالى الى جنوب افريقيا...
ونقل فاروق الطلب لمصطفى النحاس الذى كان يومها رئيساً للوزارة، الذى اكتفى بسفرى إلى أسوان.

وهناك وأنا فى أسوان توالى المساعى لحملى على الاستقالة من رئاسة جمعية الشبان المسلمين.

وقد زارنى «توفيق دوس» (٤٦) وطلب منى - فى لباقة سياسية - الاستقالة لأتفرغ لراحتى وصحتى. وكان ردى عليه موجزا للغاية: انت توفيق دوس، تأمر محمد صالح حرب؟ فتراجع فى خجل... واعتذر... وخرج!

وجاء أحمد ماهر (٤٧) إلى الحكم، وأرسل إلى فى أسوان يرجو نفس الرجاء فرفضت.. ثم عاد وعرض على دائرة أسوان مطلقة ليكون دخولى البرلمان سببا فى ترك الشبان المسلمين، فرفضت أيضا..

ويعد مقتل أحمد ماهر جاء النقراشى الى الحكم (٤٨) ورغب فى أن أؤوره فى الوزارة، ولكنى امتنعت عن ذلك وزرته فى منزله بمصر الجديدة.

وهناك قرأ على خطابا من السفير البريطانى وقائد عام الطيران وقائد عام القوات البرية، يطلبون استقالتي من الجمعية بعد إخطارات متتالية من حسن فهمى رفعت (٤٩) لهم، وجاء فيها أن صالح حرب يدير الجمعية من بيته فى أسوان كما لو كان يديرها من مكتبه بالجمعية.

ورفضت وساطة النقراشى وقلت له: دعنى.. خل بينى وبينهم، وإن أعود الى أسوان إلا بالحديد فى يدي وسأبقى فى القاهرة.

وقال لى النقراشى: طيب روح اسكندرية.. الدنيا حر! وفى الاسكندرية وجدت كابينتى مجاورة له فتركته بعد أن اعتذرت عن قبولها خوفا عليه!

رشحوا البرنس محمد على

ويقول اللواء محمد صالح حرب:

«لقد كان الانجليز يريدون شخصا يأمنون جانبه، فرشحوا البرنس محمد على توفيق» (٥٠) وسمع اخواننا بالجمعية واتصلوا بالسراى وقالوا نحن نريد صالح حرب، وإذا أصررتهم ورشحتم البرنس محمد على فلن يوجد واحد يعطيه صوته، وعندما وجدوا ذلك سحب نفسه!

وبعدما أرادوا أن يجيئوا بفؤاد سراج الدين (٥١) وكان الدكتور منصور فهمى (٥٢) يؤيد ذلك ويقول انه غنى وعنده نفوذ، وان الجمعية سوف تستفيد كثيرا من ورائه. ولكنهم قالوا له: لانقبل هذا منك!

ولما لم يجد فائدة، لم يرشح نفسه، وكان منصور فهمى أحد سبعة انتهت مدة عضويتهم ولا بد أن يقدموا طلبات بإعادة انتخابهم، ولكن لم يأخذ أى صوت فى الانتخابات.. ولما عدت وجنته خارج المجلس فأعنته.. الى الجمعية.

أساليب الاستعمار

واسأل صالح حرب، الرجل الذى كره الاستعمار بقدر ما أحب بلاده، أسأله عن طبيعة المعارك التى يخوضها الأحرار اليوم ضده وهل تغيرت أساليب الاستعمار؟
فيقول: الاستعمار هو الاستعمار قديما وحديثا.. ومهما تعددت أساليبه واستعمل طرقا جديدة وحديثة فهو الاستعمار، تعددت وسائله ولكن النتيجة واحدة..

١١- كيف سافرت مع السنوسى إلى تركيا

دعى صاحب السيادة أحمد الشريف السنوسى بصفته نائب الخليفة الأعظم فى إفريقيا. ودعيت معه بصفتى القائد العام للجيش السنوسى، دعينا لحضور حفل تتويج السلطان صاحب الجلالة محمد السادس وحيد الدين..

وحفل التتويج عندهم هو تقليد سيف جدهم السلطان عثمان، ويقام هذا الحفل كما اعتادوا فى ضريح الصحابى الكبير السلطان أيوب.. وأرسل السلطان لنا غواصة ألمانية بتكليف من الحكومة التركية الى ميناء «العقيلة» على الشاطئ الليبى، فركبناها واجتزنا بها البحر الأبيض المتوسط والأرياتيلى حتى وصلنا الى «بولا» وكان يحتشد بها الاسطول النمساوى كله، ومن هناك ركبنا القطار حتى وصلنا الى فيينا، ومكثنا بها سبعة أيام ثم ركبنا قطارا الى استامبول وتمت مراسم تقليد سيف عثمان لجلاله السلطان محمد السادس وحيد الدين..

وكانت عائلة خاصة هى التى تقلد السيف وتتوارث هذا العمل، الا فى هذه المرة فإن السلطان قد كلف السيد أحمد الشريف السنوسى، أن يقلده السيف تكريما لسيادته وتبركا به.

حفاوة بالفة

وقد قوبل السيد احمد الشريف أعظم مقابلة، وقد كان تكريم الامبراطور غليوم عندما دعاه السلطان عبدالحميد، كان هذا التكريم مضرب المثل فى الحفاوة، حتى جاء السيد أحمد الشريف السنوسى فأُمسست هذه الحفاوة لاتنكر أبدا بجانب ما قوبل به السيد السنوسى من حفاوة بالفة وتكريم عظيم..

سلمت بلغاريا التى كانت تحارب فى ذلك الوقت، ولم تجد الدولة العثمانية أيضا مناصا من التسليم للحلفاء، فرأى السلطان وحيد الدين أن يغادر السيد أحمد الشريف السنوسى الاستانة قبل أن يدخلها الحلفاء منتصرين، ومن ثم غادرنا الاستانة قبل دخول الحلفاء بثلاثة أيام واتجهنا الى «بروسة» فى الاناضول..

الثورة الكمالية

وكان الانجليز فى مصر قد استصبروا حكما على بالاعدام، وكنت أتحرق شوقا للعودة الى وطنى الحبيب، ولكن كان من رابع المستحيلات أن أعود فى ذلك الوقت وفى هذه الفترة بدأت الثورة الكمالية فى تركيا..

ويعد هزيمة تركيا ودخول الحلفاء استامبول ثار فريق من ضباط تركيا الأحرار، وعلى رأسهم مصطفى كمال، فأعلن الثورة على هذه الاوضاع الفاسدة، وسعى سعيا حثيثا ليضم اليه السيد احمد الشريف السنوسى إذ كان موقفه فى غاية من الدقة، وكان أيضا فى أمس الحاجة الى المؤيدين والانصار، فأرسل رسالة الى السيد السنوسى تفيض وطنية وغيرة على الإسلام، وعندما أمنا بأهداف الثورة الكمالية ومبادئها انضممنا إلى مصطفى كمال..

وكان السلطان العوية فى أيدي الانجليز، وقد حملوه على أن يستصدر فتوى من شيخ الاسلام هناك تقول بأن مصطفى كمال مارق على الخليفة، وانه خارج على الدين والدولة. وكانت هذه الفتوى فى الواقع من أسباب سعى مصطفى كمال لضم السيد أحمد الشريف السنوسى إليه لمكانته الدينية الكبرى..

أتعس النتائج

وكانت الحرب، ثم المفاوضات بين الجانب التركى، والانجليز وانتهت هذه المفاوضات بين الجانبين الى أتعس النتائج، فقد أملوا مع الاسف على الاتراك شروطا مجحفة لم

يرض عنها مصطفى كمال والضباط العظام الأحرار الذين كانوا فى أنقرة..
وحدث الانقسام، وأصبح مصطفى كمال والضباط العظام فى جانب.. والسلطان
والوزراء ومن بقى من الجيش فى جانب آخر..

وقد انضم الجيش للسلطان ولكنه كان موجودا فى الغرب، فى الجهات التى كان
يحارب فيها.. وكان السلطان يسيطر عليه.. وكان لابد لنا من جنود نحارب بهم، وبلغ بنا
الحال أن نأخذ قطاع الطرق لتدريبهم ونحارب.. وكان هناك شخص اسمه «أدهم» وهو
«شيخ منصر» أى كبير قطاع الطرق فكان يجمع لنا هؤلاء القطاع الذين كانوا يتقاضون
أجورهم ويأخذون مرتباتهم من مصطفى كمال حتى يحاربوا معه..

وجعل بلدة «اسكى شهر» الأساس لتكوين جيشه الجديد، فلم يجد صعوبة كبيرة فى
ذلك، وبدأت التدريبات وسرعان ما انتهى تدريب أول كتيبة، وجاءت كتيبة أخرى لتدريبها،
وفى هذه الأثناء بذل السلطان كل جهودة حتى يمنع قطاع الطرق من التعاون معنا..
وبالتالى يحول دون اطلاق الحلفاء.

وتمكن بالفعل من تحقيق غرضه، وأعلن قطاع الطريق الثورة والعصيان والخروج علينا فى
«كوتاهيا».. وقال لهم السلطان أنا خليفة المسلمين كيف تتركوننى وتتصمون مع مصطفى كمال؟
وفى هذا الوقت كان «عصمت» (٥٢هـ) فى «اسكى شهر» أى البلدة القديمة وكان عنده
طابور واحد أكمل تدريبه.. فأخذ هذه الكتيبة التى تم تدريبها وتصادف وجود «فتحي» وهو
ضابط تركى من السوارى، فأخذه معه وذهب ليخمد ثورة قطاع الطريق فى «كوتاهيا»
وإذا بأشارة تليفونية من «بنى شهر» أى البلد الجديدة الى «اسكى شهر» تلقاها الضابط
بورصلى كاظم الذى كان قد خلفه لينوب عنه تقول «لقد جاعتنا إشارة تفيد بأن هناك فرقة
مشاه وألاى سوارى ويطارتين جبل طالعة من «بورصة».

وكان بورصلى كاظم فى «اسكى شهر» وعنده كتيبة لا زالت تحت التدريب ولكن الذى
أفادنا حقا هو انه كانت هناك قوة من الحلفاء فى «اسكى شهر» وكانوا قد تركوا ست
مدافع ابوس، وهى نمساوية تركوها قبل الانسحاب، وهى ممتازة جدا.

وعندما انسحبوا حطموا حوامل المدافع، فوجد الاتراك هذه الحوامل محطمة، ولم
يلاحظ الانجليز أن هناك «جبخانة» (٥٤هـ) للمدافع، فلما رأها الاتراك فرحوا للغاية وأخذوها
وأصلحوها ثم عملوا حملات أخرى، ووجدوا الذخيرة كثيرة، وقد شجعهم هذا على القتال.

وكان لهذه المدافع الأثر الكبير فى معركة اينونو وبمجرد أن جاء هذا الخبر من ينى شهر، ارسل «كاظم» الخبر لعصمت ينبئ به بنتيجة الاشارة التليفونية.. وخرج المنادى ينادى على المتطوعين فى سبيل الله.. واجتمعنا فى «ينى شهر» واتجهنا الى الطريق الذى لابد ان يمرؤا منه، وجئنا من شرق السكك الحديدية وجاء «عصمت» بقوته من الغرب، فأصبحوا فى الوسط وكان الحصار فى محطة «اينونو» ووجودا انفسهم بين قوتينا فأبيدوا عن بكره أبيهم وتم لنا النصر فى هذه المعركة الحاسمة الهامة..

وفد من العراق

وفى هذه الفترة جاء وفد من العراق يتكون من أربعة وعشرين شخصا، من الحضرم ومن البنو، ومن السنة، ومن الشيعة، جاءوا جميعا موقدين من الحكومة الثائرة فى العراق التى كانت تحارب الانجليز.. لمقابلة مصطفى كمال فى أنقرة. ومعهم رسالة من رئيس الثورة وقالوا له:

اننا نقوم بمحاربة الانجليز، ونريد منك سلاحا ونخيرة، الى جانب بعض الضباط وبمجرد أن ننتصر عليهم ونطهر البلاد منهم سنعلن أنفسنا ولاية تابعة لتركيا، كما كنا.. فلما سمع منهم مصطفى كمال هذا الكلام قال لهم:

أنتم عرب ونحن أتراك ونحن نتمنى لكم التوفيق وأنا بحاجة الى جنودى وضباطى.. فقالوا له:

اننا نعلم أن الشيخ السنوسى موجود هنا.. ونريد أن تقنعه بمساعدتنا ونحن ننادى به ملكا على العراق..

فقال لهم مصطفى كمال: أما هذه فيكل سرور، لأننا نثق فى السيد السنوسى ونسعد به ونأمن له..

أقبل ولكن الشروط

وارسل مصطفى كمال فى طلبى، واستشارنى فى الامر فقلت له ان السيد السنوسى موجود هنا فلماذا لا تقاآونه فى الموضوع.

قال لى: وهل سيقبل؟

قلت له: حدثه فى الامر... فقال: متى؟

قلت له: تعال غدا فى الساعة الخامسة..

وجاء مصطفى كمال فى الموعد المحدد وحكى له القصة كلها، فقال السيد السنوسى:
والله أنا لم أخرج من بلدى لأبحث عن الملك، أنا رجل مجاهد فى سبيل الله..
فقال له مصطفى كمال: إنن اذهب معهم مجاهدا.. ورد السيد السنوسى. أما هذه
فأقبلها ولكن بشرط واحد..

فقال مصطفى كمال: وما هو هذا الشرط؟

الطلبات التى طلبوها منك تنفذها... فأجاب مصطفى كمال:
بكل ترحاب، من أجلك سأعطيك كل شىء وسأقوم بكتابة خطاب لنهاد باشا قائد
المنطقة الشرقية فى «ديار بكر» عاصمة الكرد لتزويدك بكل ما تطلبه.
وأردف السيد السنوسى يقول:

لقد وافقت بشرط أن يكون معنا البكباشى محمد صالح حرب.. ووافق مصطفى كمال،
وأقبل الوفد يحىى الشيخ السنوسى ويشكره ويقبل يديه.. ورجع الوفد ليهيئ كما قال
الرأى العام لاستقبال السيد السنوسى وسافر قبلنا بخمسة عشر يوما..

ما جئت لأكون ملكا

وبدأنا الرحلة، حتى وصلنا الى ديار بكر وتقابلنا بنهاد وأخذ خطاب مصطفى كمال.
وقال: إننا مستعدون لتقديم كل المساعدة.
وأخذنا منه السلاح.

وعندما سمع الانجليز بذلك جن جنونهم، وما نشعر الا وهم يعلنون تتويج الملك فيصل
ملكا على العراق، وكان فى سوريا.

ووجه الملك فيصل خطابا الى السيد أحمد الشريف السنوسى قال فيه:
«يا ابن عمى، أنا الان أصبحت ملكا على العراق، ونحن أبناء عمومة، ولا يصح أن
نقتل فيما بيننا على الملك.. والأمر لك»..

فرد عليه السيد السنوسى قائلا:

«أنا ماجئت لأكون ملكا، لقد جئت لأخلص البلد من الانجليز ولم اجىء لاختصم على
ملك، فاذا كنت تستطيع ان تحقق ما جئت من أجله فمرحبا»..

وكتب الشيخ السنوسى خطابا لمصطفى كمال ورجعت الى «ديار بكر» فى طريقى
لأعطيه لمصطفى كمال.

١٢- جهادى فى تركيا مع الحركة القومية التركية ضد اليونانيين

الفصل الجديد

يقول السيد اللواء محمد صالح حرب، مستطردا حديث ذكرياته:

«رجعت بالخطاب الى مصطفى كمال، ووصلت فى الوقت الذى كانوا يحاربون فيه فى معركة «نهر سكاريا» - وكانت من أهم المعارك التى خضناها - وقد استمرت مدة ثلاثة وعشرين يوما، ولكنها كانت معركة فاصلة حاسمة وانتهت بنصر مصطفى كمال..»

وكان مصطفى كمال يمر على الجبهة كل يوم ممتطيا صهوة جواده، ليطمئن بنفسه على جنوده ويرفع روحهم المعنوية التى تعد من ألزم اللوازم وأقوى الاسلحة فى الميدان..

ولكن طبيعة الأرض فى الجبهة كانت سيئة للغاية اذ كانت الأرض وعرة كثيرة المنحنيات والمنخفضات، كما كانت كثيرة المرتفعات.. وذات يوم وبينما كان مصطفى كمال يمر على الجبهة تعثر به الجواد وسقط من فوقه وكسر أحد ضلوعه فى صدره، وكان لابد له أن يلزم الفراش لشدة اصابته ويبقى طريح هذا الفراش حتى يعالج من هذه الكسور..

المرور على الجبهة

ولم يلبث فى فراشه سوى أربعة «أيام» ومع ذلك سرت إشاعة بين الجنود تقول أن الغازى مصطفى كمال قد مات، وكادت الروح المعنوية بين الجنود أن تتلاشى، وضعفت

عزائهم نتيجة لسماع هذا الخبر المؤلم...

ويبلغ الخبر مصطفى كمال فقال «لابد أن أمر على الجبهة» ونصح الكثيرون - حرصا على صحته واشفاقا عليه - بعدم المرور حتى يشفى تماما ويلتئم كسر أضلعه، ولكنه أصر على رأيه لانه كان يعلم جيدا مبلغ تأثير هذا الخبر فى نفوس الجنود وكان له ما أراد، فقد ضمدوا له جروحه وربطوا صدره وحملوه على الجواد..

وبدأ المرور من أول الجبهة إلى آخرها وهو يتحمل على نفسه ويحى جنوده بيده، وراه الجميع على طول الجبهة وتأكدوا بأعينهم أن قائدهم على قيد الحياة.. يمر عليهم ويحييهم ويبعث فى نفوسهم من روحه العالية، ويمدهم بالعزيمة القوية والإيمان، الذى يصنع المعجزات..

معركة نهر سكاريا

ولما رأى الحلفاء - وكان الذين يحاربون هم اليونان ومعهم قواد من الانجليز والفرنسيين والايطاليين - وكان أكثر الجيش من اليونانيين...

أقول لما رأوا أن مدة الحرب قد طالت أرادوا أن يخوضوها معركة حاسمة فاصلة.. ونظموا تجمعات فى جناحهم اليسار على يميننا، وأرادوا بذلك أن يعملوا حركة الالتفاف على جناحنا الأيمن فى معركة نهر سكاريا.

وعند مرور مصطفى كمال رأى أن هناك تجمعات على جناحنا الأيمن، وسأل عن هذه القوات، فحكى له «عصمت» القصة، فرجع مصطفى كمال الى الخريطة وقال له:

- اسمع.. العدو لن يعمل حركة الالتفاف على جناحك الايمن بل سيعمل هذه الحركة على جناحك الايسر!!

فقال عصمت:

- غير معقول ياسيدى، لقد مضى أسبوع وهو يجمع قواته ويحشد لها على جناحنا الأيمن.

فقال مصطفى كمال:

- ولو.. اعمل حسابك ان العدو سيقوم بحركة الالتفاف على جناحك الايسر وليس على الأيمن.

النصر لنا

وأخذ (عصمت) ينقل جيشه من اليمين الى اليسار، ولم يعلم العدو بهذا التغيير، وظن أن القوات التي رآها ما زالت كما هي في مواقعها.

وقد تحقق ما قاله مصطفى كمال فعلا وفي الليلة التاسعة عشرة بدأت المعركة التي شنت فيها شملهم وتفرق جمعهم، ولذت البقية الباقية منهم بالفرار، وكان ما أشار به مصطفى كمال من تغيير للخطة سببا في الحاق الهزيمة بهم وكتابة النصر لنا..

الواقع أن مصطفى كمال كان قائدا شجاعا، ممتازا، وكان الى جانب تبحره في الاستراتيجية العسكرية والتعبئة، صاحب أفق واسع، اشترك في معارك كثيرة.. وإذا أمكنك أن تعد عشرة قواد في العالم فلا بد أن تذكر منهم الغازي مصطفى كمال..

في كلية اركان العرب

وتم النصر المبين لمصطفى كمال بعد تعدد المعارك مع اليونان الى أن القوا في البحر وتحررت تركيا من سلطانها الضعيف الذي اصبح في أخريات أيامه ألعوية في أيدي الانجليز.

ويعد أن تم النصر للغازي مصطفى كمال - عدت الى استامبول والتحقت بكلية أركان الحرب هناك.

وقد أديت امتحان السنة الثالثة بنجاح، ثم التحقت بالسنة الرابعة وأقمت بهذه الكلية سنة كاملة وتخرجت فيها...

إلى الأراضي الحجازية

أما الشيخ أحمد الشريف السنوسي فقد رجع في هذه الفترة الى الجنوب (الاناضول)، ومن هناك سافر الى الأراضي الحجازية لأداء فريضة الحج...

وكان رحمه الله يدعو دائما بأن يلقى وجه ربه في مدينة النبي عليه الصلاة والسلام وأن يدفن بجواره.. وكنت أقول له:

- اعمل معروف أشركني معك في الدعاء.

فيضحك رحمه الله ويقول:

- والله أنا لا أنساك.. وعدت الى مصر.

ثم جاعتنا أخبار من «مصر» تقول انه قد صدر عفو شامل عن المجاهدين المصريين الذين كان قد حكم عليهم بالاعدام..

وكان قد صدر دستور ١٩٢٣ فى أعقاب ثورة ١٩١٩ والوعد بالاستقلال..

وفى سنة ١٩٢٤ صدر العفو الشامل عن المجاهدين المصريين، وشملنى العفو وعدت بعد أن سبقنى اخوانى الضباط ومتهم ضباط الصف والأنفار الى وطنى لأشارك فى الجهاد السياسى الجديد.. وعدت بعد أن أنهيت امتحاننى فى كلية أركان حرب.

١٢- عينت قائداً عاماً للجيش السنوسى

بعد أن أعلنت إيطاليا الحرب على ليبيا، طلب الانجليز من مصر إما أن تعلن الحياد وقالوا أنهم فى هذه الحالة على استعداد لحمايتها، واما اذا لم تعلن الحياد فلا شأن لهم بها.

ولاحماية سواحلها وموانئها من أى اعتداء تقوم به إيطاليا وأمام هذا التهديد اضطرت مصر الى إعلان الحياد.. وكنا فى هذه الفترة على الحدود، والمطلوب منا هو تنفيذ الاوامر، ولكننا كنا نساعد على تهريب القادة والضباط الاتراك عبر صحراء مصر الغربية، ثم الى ليبيا.. وقد اشتكت إيطاليا من وجود الضباط المصريين على رؤوس الدوريات واستبدلوهم بالضباط الانجليز فكان هذا باب فرج لمضاعفة الجهود فإن وجود الضباط الانجليز رفع عنا مسئوليات كثيرة، وقد كنت أخفى هؤلاء القادة والضباط فى بيتى، وكنا ننبه على الدوريات التى فى الخدمة بأن تسهل مرورهم..

ولم يكن الضباط الانجليز على علم كاف كضباطنا بالصحراء وأسرارها، فأصبح التهريب أكثر من الأول..

وفى هذه الفترة أيضاً أعلنت مصر انشاء الهلال الاحمر بمساعدة الامير عمر طوسون(٥٥)، وقد توافدت القوافل التى تحمل المؤن الى جانب الأنوات الطبية اللازمة لعلاج

الجرى والمصابين فى الميدان من اخواننا المجاهدين.

وأصبحت المؤن كثيرة، فأرسلنا الى القاهرة رسالة قلنا فيها أن الطعام الآن كثير، ونحن فى حاجة الى أسلحة ونخيرة، وقلنا لهم ضعوا فى أجولة الارز والدقيق أسلحة، وفكوا المدافع الرشاشة وضعوها داخل هذه الاجولة..

وفعلا نفذوا المطلوب ووصلتنا الاسلحة وسط القمح والدقيق وغيرهما فقد كان الانجليز يفرضون رقابة شديدة للغاية على إرسال الاسلحة للمجاهدين الليبيين..

وقد عينت خلال فترة الجهاد قائدا عاما للجيش السنوسى ووجه السيد أحمد الشريف السنوسى الى هذا الفرمان.. وقد استهل «بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما».

وهذا هو نصه:

«يقول كاتبه عبد ربه ومملوك أستاذة، نائب الخليفة الأعظم أحمد الشريف السنوسى:

«الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، يا قومنا أجيبيو داعى الله والصلاة والسلام على من نتوسل بجاهه عند القريب المجيب في امدادنا بالنصر والصولة علي عبدة الصليب، سيدنا محمد المرسل رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا، والداعى الى الله يأنته وسراجا منيرا، وعلى آله وأصحابه الهادين المهتدين من الأنصار والمهاجرين الذين شدوا أزره وشيد الله بهم من بعده معالم الدين، وارض اللهم عن أستاذنا بحر الحقائق المحمدية، ومحى آثار السنة الأحمديّة أقامنا بقدرة الله تحت نظره فى هذا المقام، وشرفنا بفضلہ وكرمه العام، محرضا لنا على أخذ الاهبة والاستعداد بالعدة والعدد لاحياء الشريعة والقيام بفريضة الجهاد مؤيدا ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم: «لكل نبى حرفة وحرقتى الجهاد».

ويقوله تعالى «قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله...»

«أما بعد فهذا ظهير معظم وعقد فخيم مكرم تمعه نعم الله، فضلا وأسعادا ويحفه النور المبين منة وإرشادا، جعله الله مظهر العز الكامل والفضل الشامل حسبا اقتضت الارادة الالهية والحكمة الريانية، اظهره على لسان عبده بمدد أستاذہ السيد المفضل سيد سادات أهل الكمال، ولذا قلناه لولنا وقرة أعيننا الهمام المسمى باسم خير الأنام، المحتمى بحماه الأحمدي والمقتبس من نوره المحمدى الا وهو ولنا «محمد صالح باشا»

أناله الله من كل الخيرات ما أحب وشاء، وألبسه الله لباس الفخر والتقوى، وجعله شعاره وبنائه في السر والنجوى، فلكرم به من فرع أصيل ذى مكانة ومجد أثيل ارتقى مرتقى الأكارم، وجنى أطيب المكarm، فحق له الاسعاد ووجب ادراجه مع الأكارم الأمجاد، بعدم ركونه الى الراحة، ونبذه للنسيا بخروجه من تحت جيش الاحتلال مع ما كان مقيما فيه بينهم من التعظيم والاحلال. فنذ الكل والتحق بجيشنا المنصور بالله محبة في دين الله وخدمة لخليفة رسول الله، واشهد الله انى رأيت قام بخدمة جليلة لدولة الاسلام قل من يقوم بمثلها فى الأنام...

«ولا رأيت بهذا الصدق والاخلاص الكامل وتمسكه بالعروة الوثقى ونبذه للنعيم الزائل اتخذته مستشارا وقائدا عاما لجيوشنا ومنحته رتبة فريق وسر ياوران الخاص ومنحته النيشان المجيدى الثانى(٥٦)، رفع الله مقامه بحرمة السبع المثانى، وخلعنا عليه خلعة سنية وقللناه سيفا من سيوفنا، ومنطقة مرقومة بأبيات من البردة العظيمة البهية، ونالناه اللواء العظيم فتلناه بالتكريم والتعظيم، وأخذ باليمين، جعل الله النصر على يده مقرونا بيمينه بحرمة سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم.

ثم انتى أوصى ولدى بوصية أستاذى، وهى وصية الله فى الأولين والآخرين والأنبياء والمرسلين.

قال جل شأنه وعز سلطانه فيما أوجاه:

«ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله».

وقال «واتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون» وقال «واتقون يا أولى الاباب لعلمكم تغفلون» وقال «فاتقوا الله ما استطعتم، واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» وقال «ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا» وقال «ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجرا» فأرحب لذلك صدرا اذ هى النخيرة الناجحة النافعة فى السر والنجوى.

قال تعالى: «وترزقوا فان خير الزاد التقوى» والمرجو منه سبحانه وتعالى أن يجعل ذلك شعارنا وشعاركم فى الحركات، والسكنات مع أداء المأموريات واجتناب المنهيات والتحفظ على أداء الفرائض فى أوقاتها من صلاة وصيام، والتحرز من ترك شىء على الدوام،

والحرص على اتباع السنة مع ملازمة الله والتخلق فى معاملة الأمة بخلق رسول الله، فبهذا تهتدون فى حل المشكلات وتتجون من الأمور المعضلات، اذ بها يحصل ملك الأمر كله ووقاية جميع الأسواء وكشف أنواع البلوى والظفر بنهاية الامال، فما فوق ذلك فى الدارين مما لا يخطر على بال، والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى..

حرر يوم السابع فى أشرف الربيعين سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة وألف من هجرة من له العز والشرف صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم».

وفى نهاية الفرمان كتبت هذه الكلمات:

«كتبه برقم بنانه ومملوك أستاذة، نائب الخليفة الأعظم أحمد الشريف السنوسى»..

١٤- عندما رفعنا العلم المصرى على السلوم وأحببنا مشروع (كيب تاون - السلوم)

علم أحد زملائى الضباط وهو الضابط محمود لبيب - بالاتجاه الاستعماري الذى يبيته الانجليز، وذلك عن طريق عمله معهم واختلاطه بهم، كما علم ذلك أيضا من برقية كانت مرسلة إلى «هنتر باشا»...

وكانت البرقية تقول:

«الى هنتر باشا: قابل الضابط التركى المعسكر بقشلاق السلوم العلوى، واحتل عليه فى اخلاء القشلاق وتسليمه، وان لم يرضخ توجه بجنودك الى ظهر الجبل وعسكر فى جهة مساعد التى تبعد ٢ كيلو مترات غربى قشلاق السلوم.. انتظر تعليمات أخرى».

امضاء كتشنر

وارتفعت اصوات زملائى الضباط بالاستنكار القوى والغضب الشديد... وأنكر اننى قلت لهم يوما: «ليس هناك داع مطلقا لرفع أصواتنا وتنبية الأعداء: إن علينا التزامات قطعناها على أنفسنا، وعهدا أقمنا جميعا على تنفيذه، إنن فلابد من العمل، فكروا فى القيود الجائرة التى كبلوا بها بلادنا، فكروا فى هؤلاء المعنيين الذين يسحقونهم بقدامهم: لقد زادوا الفقراء فقرا، لكى يضاعفوا من ثراء أتباعهم الاغنياء».

لقد أباحوا قطرا عرييا لدولة جائرة، لحاجة فى أنفسهم، وها هو الشعب الليبى أمامنا

فى دور الاحتصار! واذا ماتت جنور الشجرة سرى الموت الى اجزائها العليا كذلك. فالموت لا يجهز على عضو دون عضو: وغرق السفينة لايمكن أن يكون موضع قلة المبالاة من راكب دون راكب! فتحن جميعا فى الكارثة سواء اذا قلت ان الهاوية تغفر فاهها لتبتلع الجميع!

احباط مؤامرة الانجليز

وكنا جميعا لانكاد نملك أعصابنا الثائرة، وأخذ زملائى فى التشاور، واستقر رأى أخيرا على احباط أية مؤامرة يمكن أن يديرها الانجليز.

وقال لى زميلى الضابط محمود لبيب:

– يا أخى.. انى أبحث عن مغامرة جديدة..

قلت له:

– لك الله، أما تعلم ان كل مغامرة لاتخلو من مخاطرة!

فقال: انى أرحب بالخطر فى سبيل أن افسد خطط هؤلاء الانجليز!

قلت له:

– ما أجمل أن يبلغ الانسان نهاية أمله، ان كان لما يرجوه حد يقف عنده، أو نهاية

يصل اليها، وسيان بعد ذلك الموت أو الحياة!

وسكت زميلى.. ثم قال:

لقد استدعانى «هنتر باشا» منذ قليل وأخبرنى أن أكون مستعدا أنا والملازم مرسى

محمد، للتوجه معه غدا فى هذه المهمة مهمة تبليغ الضابط التركى أمر الاخلاء: كما جاء

فى البرقية الشفوية، فما هو رأيك؟

قلت له:

– هذه النقطة بالذات هى محور تفكيرى الان، وعلى كل حال فلندع الحوادث تجرى فى

مجراها الطبيعى، ولنتربها متحفزين حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا وأعتقد انه

سبحانه لايتخلى عن نصره جنوده المخلصين.. أما عن المغامرات التى تريد أن تبحث عنها

فالايام الحافلة بها مقبلة لاشك فيها فترقب وانتظر..

وفى اليوم التالى توجه أربعة من الضباط صوب السلوم العلوى حيث تقوم الثكنة

التركية، وكان على رأس هذه القوة «هنتر باشا» مدير عام السواحل والحدود والبحرية،

وانتهى بهم المسير الى الثكنة!

ولما تقابل «هنتر باشا» بالضابط التركي عصمت قال فى لهجة قاسية لاتخلو من عجرفة:

- عندى أوامر من كتشنر باخلاء هذه الثكنة وتسليمها لنا!

فرد الضابط التركي فى قوة وشجاعة:

- احتفظ بأوامر رئيسك لنفسك، أما أنا فأبني اعلتها صريحة مدوية، إننى لن أنزحزح عن هذه الثكنة حتى أبذل فى سبيل الزود عنها دمي، وأروى به رمال الصحراء أنا ورجالى.. اليك عنى. اغرب عن وجهى.

المأساة توشك أن تتكرر

وقد امكننا الوصول الى برقية بالشفرة عن طريق السيد أحمد مسعود وكيل مكتب تلغراف السلوم - وكان فى مقدمة الرجال العاملين المخلصين الذين يمثلون غيرة ووطنية - وقد ارسلها لنا رحمه الله داخل مظروف صغير مع أحد سعاة مكتب التلغراف. وفى المخيم الكبير اجتمع الضباط وأخذ زميلى يتلو عليهم البرقية مترجمة عن الشفرة. وكان نصها:

«الى مدير عام السواحل والحدود والبحرية هنتر باشا، ارفع العلم البريطانى على السلوم».

امضاء كتشنر

وأوشكت مأساة رفع العلم البريطانى فى السودان أن تتكرر من الانجليز أيضا فى السلوم... وقلت لزملائى الضباط:

- إن الساعة عصبية، والوقت حافل بالخطر، إن علينا أن نتصرف بمنطق الوطنية، ونصون ارض بلادنا وما ينبغى لاي اعتبار ان يدخل فى حسابنا او يحول دون أداء واجبنا، وليس أمامنا الا عمل واحد وتصرف واحد، أطلبه منكم باسم وطننا العزيز، هو رفع العلم المصرى فوق هذه الأرض، انها أرض مصرية، فلا بد من عمل المستحيل، وأرجو أن نقسم جميعا على هذا المصحف بأن ندافع عن هذه الارض، وألا نسمح برفع أى علم عليها الا علم مصر العزيزة، حتى لاتتكرر هنا مأساة رفع العلم البريطانى فى السودان، أو نموت جميعا فداء لهذه الغاية السامية، إذا اقتضى الأمر ذلك!

وأقسم جميع الضباط على المصحف الشريف ان يبروا بالوعد الذى قطعوه على انفسهم...

ووسط هذه الظروف أرسل المرحوم أحمد مسعود الحناوى وكيل مكتب التلغراف بالسلم برقية أخرى كان فحواها:

«المستر برنجل مدير مخازن خفر سواحل الاسكندرية أرجو ارسال العلم البريطانى والسارية مع الطوافة عبدالمنعم لرفعه على السلم».

امضاء هنتر

وكان علينا أن نتصرف سريعا وبحكمة.. ورأيت أن أرسل بعثة الى نقطة بقبق - وكانت تبعد عنا بمسافة ٤٥ كيلو مترا - لتحضر العلم المصرى من هناك..

وكان حكمدار هذه النقطة ضابطاً برتبة ملازم أول اسمه يوسف هيبة، وكان من اصداقائى الاعزاء ومن توفيق الله وفضله ان كان مثلى فى هذه النقطة فقد كان يتمتع - رحمه الله - بروح عالية، وايمان صادق.. وقد أرسلت اليه رسالة حملها الجاويش مرجان عليمى، ومعه اثنان صف ضباط هما الجاويش محمد عباس الغراوى والباشجاويش السودانى محمد على الشاجى.

وذكرت له فى الرسالة ان هؤلاء سيصلون اليه وجمالهم لاتصلح أبدا للعودة، فقد قلت لهم الا يرحموا الجمال بالنسبة لاهمية المهمة التى قاموا لانجازها.

وقلت له: وستصلك جمالهم وهى لاتصلح لان تعود بهم فمن واجبك ان تستبدل هذه الجمال بالقوى هتجن عندك، وأرجو ان تسلمهم علم النقطة الذى عندك، وترسل معهم البروجى والبورى والسارى، لأن هذا العلم سينصب ويرفرف على السلم، وأرجو أن يصلوا فى الميعاد المحدد لهم، وشكرا لك يا رب المروءة والوطنية».

عندما هبوا مذهبين

وسلمهم العلم العزيز والأشياء الأخرى التى طلبناها ثم قفلوا عائدين بعد أن أنجزوا المهمة على خير ما يكون...

ويعد ان وصلوا شرعنا فى الحفر للصارى، وعلقتنا العلم مطويا، ولا علم لأحد بذلك.. وكانت التعليمات قد أعطيت للضابط النويتجى والجاويش النويتجى وفى الميعاد المحدد كان البروجى تحت العلم..

وفى الموعد تماما عزف السلام ونشر العلم فى الحال، ولما سمع الانجليز البورى وهو يرسل تحية العلم هبوا منهولين، وخرجوا فوجدوا العلم المصرى يرفرف على السلوم، وأسقط فى أيديهم.. وطأطأوا الرؤوس وعيونهم تنظر الى الأرض، بينما العلم المصرى يتخذ وضعه نحو السماء وينشر ظله على أرضنا العزيزة..

هوامش التحقيق

- ١- يوزياشي: وهي رتبة التقيب حالياً.
- ٢- وهي الثورة التي قام بها اللواء محمد صالح حرب في ٢٦ نوفمبر ١٩١٥ ضد الإنجليز على الحدود المصرية الغربية أثناء الحرب العالمية الأولى، وانضمت إليه قبائل أولاد علي في صفوف قوات المجاهدين السنوسيين والأثراك.
- ٣- أورفلة: بلدة تقع في المنطقة الشرقية من طرابلس الغرب، وقد دارت فيها معركة في أغسطس ١٩١٧ بين المجاهدين السنوسيين والإيطاليين بناء على أوامر نوري ياشا وذلك رغم شدة الظروف الصعبة التي كان فيها المجاهدين بقيادة صالح حرب، وكان الهدف من هذه المعركة تحريك جبهة طرابلس ضد الإيطاليين، ولكن هذه الجبهة قد فشلت بسبب عدم اعتراف رمضان السويطي بسلطة السيد أحمد السنوسي كممثل للسلطان العثماني في منطقة طرابلس. انظر: مصطفى علي هويدي، الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى. (الجمهورية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ١٩٨٨) ص ١٦٢- ١٧١.
- ٤- وهو من الضباط الذين انضموا إلى صالح حرب في ثورته ضد الإنجليز عام ١٩١٥. انظر: المنكرات الخطية للعميد محمود عبدالواحد المنشورة في: محمود دياب، أبطال الكفاح الإسلامي المعاصر (القاهرة: دار الشعب، ١٩٧٨).
- ٥- هو آخر السلاطين العثمانيين تولى عام ١٩١٨، وفر من أستانبول في ١٧ نوفمبر ١٩٢٢ بعد أن تم تجريد الخلافة من السلطة.
- ٦- مصطفى كمال أتاتورك (١٨٨١ - ١٩٣٨) نشأ في سالونيك ودخل الجيش وانضم إلى حزب تركيا الفتاة، واشترك في الدفاع عن الدردنيل في عام ١٩١٥. وبعد سقوط الإمبراطورية العثمانية واحتلال أستانبول، أرسل إلى الأناضول في مايو ١٩١٩، حيث أشعل نار الثورة وكون جيشاً من الوطنيين لمحاربة اليونانيين وطردتهم من آسيا الصغرى، كما أسس المجلس الوطني. وفي عام ١٩٢١ انتصر انتصاراً ساحقاً في موقعة سقاريا فمنح لقب غازي. عقد مع الحلفاء معاهدة لوزان في ٢٤ يولييه ١٩٢٣، وفي ٢٩ أكتوبر أعلن الجمهورية في تركيا واختير أول رئيس لها إلى حين وفاته. انظر: أحمد عطية الله، القاموس السياسي، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤١)، ص ٧؛ زكي محمد مجاهد، الإعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، ج ١، (القاهرة: دار الغرب الإسلامي، ١٩٤٩) ص ٥٠، ٥١.
- ٧- أحمد الشريف بن محمد ولد بالجغبوب (١٨٦٧-١٩٢٣) خلف عمه المهدي السنوسي عام ١٩٠٢ مع تولى الوصاية على إدريس ابنه وبرز اسمه عام ١٩١٢ مع الغزو الإيطالي لليبيا وانسحاب تركيا فقاد حركة التحرير حتى إذا ما نشبت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤، عينه السلطان العثماني نائباً له في برقة ومنحه حق إعطاء الرتب والأوسمة واشترك في الخطة التي وضعها الأثراك والألمان لغزو مصر، لكنها فشلت ودب الخلاف بينه وبين ابن عمه إدريس فكان ذلك من أسباب خروجه إلى أستانبول في

غواصة ألمانية، وهناك منح رتبة وزير ثم لجأ إلى دمشق ثم إلى الحجاز وتوفي في المدينة. انظر: أحمد عطية الله، القاموس الإسلامي، ج ٢ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠) ص ٥٢٢.

٨- اصدر مصطفى كمال أتاتورك أمرا بإلحاق صالح حرب بكلية أركان حرب التركية تقديرا لبوره في حركة التحرير التركية، إذ كان الالتحاق بها قاصرا على الأتراك فقط. انظر: مجلة رسالة الإسلام الجديدة، العدد ٩، أكتوبر ١٩٨٤، ص ٣١.

٩- الجدير بالذكر أن السلطات الحاكمة بعصر قد أصدرت حكما بالإعدام على صالح حرب عام ١٩١٥ لقيامه بالثورة هو ومن انضم إليه من الضباط والجنود، وقد صدر عفو عنهم في وزارة سعد زغول الأولى عام ١٩٢٤. انظر: محمود دياب، مصر سابق، ص ١١٤.

١٠- تم عزل السلطان عبدالحميد الثاني في عام ١٩٠٩.

١١- اللواء مكريدي (Mcready): هو رئيس البعثة العسكرية البريطانية في الجيش المصري أثناء عامي ١٩٢٩-١٩٤٠. انظر: عبدالوهاب بكر محمد، الوجود البريطاني في الجيش المصري ١٩٣٦-١٩٤٠، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢) ص ١٩٣.

١٢- الجنرال ويلسون (Wilson): قائد عام الجيوش البريطانية في مصر عام ١٩٢٩ - ١٩٤٠.

١٣- الطواف: مركب صغير يتولى حراسة الشواطئ.

١٤- الحطايا: جمع حطية وهي تعني محلة أو قرية صغيرة تحيط بها الحقائق التي تعتمد في رها وزراعتها على عين أو أكثر من عيون المياه. انظر:

Fakry, Ahmed, Siwa Oasis, (Cairo: The American University Press, 1973) P31.

١٥- نوري بك: ضابط تركي حضر المعارك ضد الإيطاليين في طرابلس ١٩١١-١٩١٢، وبعد نشوب الحرب العالمية الأولى أوفد إلى برقة لإشعال الثورة على الإنجليز ومهاجمتهم من جهة الغرب، وبعد فشل الحملة انتقل إلى طرابلس وشارك في المعارك ضد الإيطاليين، وهو شقيق أنور باشا وزير الحربية العثمانية. انظر: مصطفى علي هويدى، «رحيل أحمد الشريف إلى تركيا». مجلة الشهيد، مركز جهاد الليبيين، العدد ٩ (١٩٨٨) ص ١٢٣.

- أنور باشا: جنرال تركي ولد في استانبول ١٨٨١ تخرج من المدرسة الحربية ١٨٩٩ وفي ١٩٠٣ تخرج من الأكاديمية العسكرية ثم رقى إلى رتبة رائد وعين ملحقا عسكريا في برلين وفي ١٩١٣ رقى إلى رتبة لواء وفي ١٩١٤ عين وزيرا للحربية وفي خلال وزارته عمد إلى رفع مستوى الجيش واستخدم النظم الألمانية، واستشهد في أغسطس ١٩٢٢. انظر: أحمد عطية الله، القاموس الإسلامي، ج ١، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٣) ص ٢٠٥، ٢٠٦.

- جعفر العسكري (١٨٨٥-١٩٣٦): قائد عراقي ولد في بغداد وتخرج من المدرسة الحربية بالأستانة، ثم ببرلين، وحارب مع الأتراك في القصيم ١٩٠٥ واشترك في حرب البلقان وأرسل ١٩١٥ على ظهر غواصة ألمانية إلى برقة لحمل السنوسيين على مهاجمة حدود مصر الغربية، اعتقله الإنجليز جريحا في مرسى مطروح ١٩١٦ وعندما قامت الثورة في الحجاز على الترك أفرج عنه، كان وزيرا للدفاع في أول حكومة وطنية في العراق ثم عين وزيرا مفوضا للعراق في لندن وعندما قامت الثورة العراقية ١٩٣٥ كان وزيرا للدفاع وقد أعدته الثورة رميا بالرصاص انظر: خير الدين الزركلي، قاموس الأعلام، الجزء الرابع (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٨) ص ١٢٥؛ أحمد عطية الله، القاموس

الإسلامي، ج ١ مرجع سابق، ص ٦١٢: زكي محمد مجاهد، مرجع سابق، ج ١، ص ١٦٠، ١٦١.
١٦- هو، مايلاز لامبسون Miles, Lampson والملقب فيما بعد بلورد كليرن Lord Killearn ولد عام ١٨٨٠، والتحق بالعمل الدبلوماسية عام ١٩٠٢، وأصبح المندوب السامي البريطاني لمصر والسودان ١٩٣٤-١٩٣٦ وسفيراً في مصر ١٩٣٦-١٩٤٦.
١٧- هو الملك فاروق.

١٨- الصحيح هو حسن صبري الذي تولى رئاسة الوزارة المصرية للمرة الأولى ٢٧ يونيو ١٩٤٠-١٤ نوفمبر ١٩٤٠، وقد توفي في البرلمان يوم ١٤ نوفمبر ١٩٤٠. انظر: النظارات والوزارات المصرية، ج ١، جمع وترتيب فؤاد كرم، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤) ط ٢، ص ٢٨٩-٢٩٢.

١٩- حسين سرى: تولى رئاسة الوزارة المصرية خمس مرات:
المررة الأولى ١٥ نوفمبر ١٩٤٠ إلى ٣١ يوليو ١٩٤١ والمررة الثانية من ٣١ يوليو ١٩٤١ إلى ٤ فبراير ١٩٤٢ والمررة الثالثة من ٢٥ يوليو ١٩٤٩ إلى ٢ نوفمبر ١٩٤٩ والمررة الرابعة من ٢ نوفمبر ١٩٤٩ إلى ١٢ يناير ١٩٥٠ والمررة الخامسة من ٢ يوليو ١٩٥٢ إلى ٢٢ يوليو ١٩٥٢. انظر: النظارات والوزارات المصرية، ج ١، مرجع سابق، ص ٤٢١.

٢٠- يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ هو الحادث التاريخي المشهور، حيث اقتحمت البوابات قصر عابدين وأرغم السفير البريطاني الملك فاروق على ضرورة تغيير الوزارة وتولى النحاس باشا الوزارة الجديدة.

٢١- انتخب صالح حرب رئيساً للمركز العام لجمعية الشبان المسلمين العالمية بالقاهرة بالإجماع من مجلس الإدارة بعد وفاة عبدالحميد سعيد وكان ذلك في يوليو ١٩٤٠م.

٢٢- أنشئت أول جمعية للهلال الأحمر ١٨٧٦ في أثناء حرب تركيا مع الصرب، للقيام بالمساعدة الطبية أسوة بالصليب الأحمر، وأنشئت جمعية الهلال الأحمر المصري ١٩١١ في أثناء حرب طرابلس، لتقديم المعونة الطبية والمادية لمحكومي الحرب، حيث أنشأت الجمعية مستشفى لإيواء الجرحى العثمانيين عند نشوب الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ وفي ١٩١٨ أمدت أهل فلسطين بمعونات مالية، وفي ١٩٢٣ صدر القانون النظامي للجمعية، وفي ١٩٣٧ افتتح مبنى الجمعية ومستشفاهها. انظر: الموسوعة العربية الميسرة، ج ٤ (القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ٢٠٠١) ط ٢، ص ٢٥٤٤.

٢٣- الدرنيل: هو الجزء الجنوبي من المضائق التي تصل البحر الأسود بالبحر المتوسط وجميع هذه المضائق (الدرنيل ويحرم ومرمرة والبسفور) والشواطئ المطلة عليها تحت السيادة التركية حالياً. ولأهميتها العسكرية حاول الحلفاء الاستيلاء عليها إبان الحرب العالمية الأولى ولكنهم عاؤوا بخسائر فادحة. وبعد انتهاء تلك الحرب وانهيار الإمبراطورية العثمانية استرد الحلفاء الدرنيل، ومنحت شبه جزيرة غاليلوى إلى اليونان. إلا أن انتصارات الكماليين على اليونان وحلفائهم أدت إلى عقد معاهدة لوزان في ٤ أغسطس ١٩٢٣ التي عززت بمعاهدة مونترو في ٢٠ يوليه ١٩٣٦ قاعدت السيادة التركية كاملة على المضائق وأعيد تحصينها. انظر: أحمد عطية الله، القاموس السياسى، مرجع سابق، ص ١٧٤.

٢٤- الاميرالاي سنويك: هو ضابط بريطاني برتبة عميد كان مفتشاً للحدود الغربية، وقد تعقب محمد صالح حرب عندما قام معه قبائل أولاد على بثورة ضد الإنجليز، وأعد له صالح حرب كمين في وادى ماجد في نوفمبر ١٩١٥ أوقع به ويقواته وقتل في هذا الكمين. انظر: محمد سيد كيلاتى، الغزو

الإيطالي على ليبيا والمقاتلات التي كتبت في الصحف المصرية ما بين ١٩١١ - ١٩١٧، (القاهرة: دار الفرجاني، ١٩٩٦) ص ٢٥٦، ٢٥٧: مصطفى على هويدى، الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق، ص ٧٢.

٢٥- المقصود هو الخديو عباس حلمى الثانى (١٨٧٤-١٩٤٤) الذى كان فى الأستانة عند نشوب الحرب العالمية الأولى، فتأخرت عوبته واتخذت الحكومة البريطانية تأخره وسيلة لخلعه وعينت السلطان حسين كامل، وقد استقر عباس فى لوزان إلى أن ولى أحمد فؤاد فاتصلت بينهما الرسل ونزل له عباس سنة ١٩٣١ عما كان له من حق فى العرش، وبقي حياته مغترباً وتوفى فى سويسرا ودفن فى القاهرة. انظر: الزركلى، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٦٠، ٢٦١.

٢٦- القائمقام رويل بك: ضابط بريطانى برتبة عقيد وهو قومندان قسم مرسى مطروح.

٢٧- الجنرال ماكسويل (Maxwell) (١٨٥٩-١٩٢٩) رافق الجنرال Archibald Allison مساعداً له فى معركة التل الكبير (١٣ سبتمبر ١٨٨٢) وغادر مصر عام ١٨٨٢، وخدم فى أيرلندا وملطا عام ١٩٠٦، وتولى قيادة القوات البريطانية فى مصر وفى عام ١٩١٤ تولى القيادة العامة للجيش البريطانية فى مصر. وقد غادر مصر عام ١٩١٦. انظر:

The Dictionary of National Biography, 1922-1930 ed. by: J.R.H. Weaver (Oxford: University Press 1993) PP 570, 571.

٢٨- هانتر (Hunter): ضابط بريطانى برتبة لواء، كان قائداً عاماً لسلح الهجانة ومديراً عاماً للسواحل والحدود والبحرية، وقد عين رئيساً للحكومة التى أنشئت بعد استيلاء صالح حرب على الواحات وسميت محافظة الغرب وشملت الحدود المصرية الغربية وأخضعت للإحكام العرفية وألحقت بالسلطة العسكرية رأساً. انظر: لطيفة محمد سالم، «الصراع العسكرى بين الدولة العثمانية وبريطانيا فى مصر»، المجلة التاريخية المصرية، المجلدان الثامن والعشرون والتاسع والعشرون، ١٩٨٢/١٩٨١، ص ٢٩٦.

٢٩- سيدى برانى هى قرية واقعة بالقرب من شاطئ البحر الأبيض المتوسط، على الطريق الموصل من مرسى مطروح إلى السلوم، وعلى بعد ١٨٠ كيلو متر، غربى مرسى مطروح. انظر: محمد رمزى، القاموس الجغرافى، ج ٤، مرجع سابق، ص ٢٥٥.

٣٠- القومندان Comandante كلمة إيطالية معناها أمر أى من يأمر الجنود ويدير السفينة مرادف أمير وقائد وريان. انظر: طوبيا العنيسى، تفسير الألفاظ البخيلة فى اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه، (القاهرة: دار العرب البستاني، ١٩٨٨-١٩٨٩)، ص ٥٩.

٣١- البقجة (Bohca) جمع بقع لفظ تركى (بوغجة) بمعنى الخنق مثل بوغمق وهو قطعة من القماش تلف بها الأغراض ثم تربط أطرافها الأربعة، وقد تحفظ فيها الأوراق. انظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعى للمصطلحات العثمانية التاريخية، (السعودية: الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢١هـ) السلسلة الثالثة - ٤٣، ص ٦٢.

٣٢- القائمقام هوايت: أحد الضباط الإنجليز فى خفر السواحل.

٣٣- القائمقام موريس بك: أحد الضباط الإنجليز فى خفر السواحل، وقد أرسله هانتر مع صالح حرب لوقف تهريب السلاح من جهة العميد، ولكن صالح حرب استطاع خداعه، وممرت الشحنة إلى المجاهدين فى ليبيا بسلاط. انظر: محمود لبيب، حماة السلوم، (القاهرة: دار الانصار، ١٩٨٠)

٢٤- الجنرال كيتشنر: Kitchener (١٨٥٠ - ١٩١٦) قائد بريطاني وسياسي دخل خدمة الجيش المصري بعد الاحتلال البريطاني وعين حاكما للسودان الشرقي عام ١٨٨٦، وحارب المهديين عام ١٨٨٩، وعين سردارا للجيش المصري عام ١٨٩٢، وقاد الجيش المصري الإنجليزي لاسترجاع السودان (١٨٩٦ - ١٨٩٨) عمل في جنوب إفريقيا والهند ثم عين معتمدا بريطانيا في مصر (١٩١١ - ١٩١٤) ثم وزيرا للحربية البريطانية (١٩١٤ - ١٩١٦) عند نشوب الحرب العالمية الأولى حيث غرق في رحلته إلى روسيا في ٦ يونيو ١٩١٦. انظر:

The Dictionary of National Biography, 1912-1921 ed. by: H.W.C Davis and J.R.H. Weaver Tenth Impression, (Oxford: University Press 1985) PP 306 - 314.

٢٥- البكباشي تويدي: أحد الضباط الإنجليز الذين كانوا في خفر السواحل.

٢٦- همدان: اسم يجمع عددا من قبائل اليمن، أهمها حاشد، ويكيل، ويقطنون بين مدينتي صنعاء وصعدة. انظر: الموسوعة العربية الميسرة، ج ٤، مرجع سابق، ص ٢٥٤.

٢٧- آل العاصي: عائلة العاصي من قبيلة القتيشات وهم من عرب أولاد على التي تسكن الصحراء الغربية.

٢٨- بقبقي: هو نجع، واقع بقرب البحر الأبيض المتوسط، على الطريق الموصلة من مرسى مطروح إلى السلوم، وعلى بعد ٢٢٠ كيلو مترا، غربي مرسى مطروح. انظر: محمد رمزي، القاموس الجغرافي، ج ٤، ص ٢٥٤.

٢٩- محمود لبيب: هو الصاغ محمود لبيب أحد الضباط الذين انضموا الى صالح حرب في ثورته ضد الإنجليز، وهو رفيق درب جهاد صالح حرب، وهو قائد جولة الإخوان المسلمين، وقائد كل التكوينات الرياضية التي انبثقت منها التكوينات العسكرية، والتي أبلت البلاء الحسن في حرب فلسطين ثم حرب القناة.

٤٠- الصحيح هو عام ١٨٨٩.

٤١- المقصود هو السفير لاميسون.

٤٢- الدكتور يحيى أحمد الدربيري (١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م - ١٩٥٠م) من مؤسسي جمعية الشبان المسلمين ومن أعضاء مجلس إدارتها، واختير مراقبا عاما لها فظل يعمل لأغراضها النافعة نحو ثلاثين عاما. وتولى الاتحاد التعاوني العام بمصر. انظر: خير الدين الزركلي، قاموس الإعلام، ج ٨، مرجع سابق، ص ١٣٧.

٤٣- زكي علي باشا: هو محمد زكي علي باشا المحامي، وعضو الحزب الوطني، وقد اعتقل أثناء الحرب العالمية الأولى، وكان وكيلا لجمعية الشبان المسلمين. انظر: محمود نياب، مصر سابق، ص ٢٦٢.

٤٤- الدكتور عبد الحميد سعيد: حصل على شهادة الدكتوراه للقانون والاقتصاد السياسي من فرنسا ثم سافر إلى الأستانة وتطوع في الجيش العثماني في أثناء حرب البلقان سنة ١٩١٢، واشترك في المعارك التي دارت بين العثمانيين والبلغار وأصيب فيها ورجع إلى مصر بعد السماح له بالرجوع مع غيره من المنفيين سنة ١٩٢٢م ونجح في انتخابات مجلس النواب. وقد وقع اختيار أعضاء جمعية الشبان المسلمين لترشيحه رئيسا لها في ديسمبر سنة ١٩٢٧ حتى وفاته في يونيو ١٩٤٠. انظر:

- محمود دياب، مصدر سابق، ص ٢٥٨ - ٢٦٠.
- ٤٥- الصحيح هو سمارت (Smart) السكرتير الشرقي للسفارة البريطانية، في مصر والملقب بعد ذلك سير والتر (Walter) والذي عين بعد ذلك وزير دولة في القاهرة ١٩٤٦ - ١٩٤٨.
- ٤٦- توفيق دوس باشا المحامي وعضو مجلس الشيوخ. اختير عضواً في لجنة وضع المبادئ العامة للدستور وكان من أصحاب الرأي القائل بأن يوضع للأقليات نظام يضمن تمثيلها في مجلس النواب بنسبة تتفق مع عدد هذه الأقليات مما أحدث ضجة في البلاد فكان في نظر الجميع حتى الأقباط الوفدين زعيماً للخوارج. تولى عدة وزارات منها وزارة الزراعة عام ١٩٢٥، والمواصلات عام ١٩٣٠. انظر: محمد السوادي، البرلمان في الميزان، ج ١، ص ١٨٢ - ١٨٥.
- ٤٧- أحمد ماهر: تولى رئاسة الوزارة المصرية للمرة الأولى من ٨ أكتوبر ١٩٤٤ إلى ١٥ يناير ١٩٤٥ والثانية من ١٥ يناير ١٩٤٥ حتى اغتياله في ٢٤ فبراير ١٩٤٥. انظر: النظارات والوزارات المصرية، ج ١، مرجع سابق، ص ٤٢١.
- ٤٨- محمود فهمي النقراشي: تولى رئاسة الوزارة المرة الأولى من ٢٤ فبراير ١٩٤٥ إلى ١٥ فبراير ١٩٤٦، والثانية من ٩ ديسمبر ١٩٤٦ إلى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨. انظر: النظارات والوزارات، مرجع سابق، ص ٤٣٢.
- ٤٩- حسن فهمي رفعت: هو مسئول الأمن العام في مصر في تلك الفترة.
- ٥٠- الأمير محمد علي توفيق: (١٨٧٥ - ١٩٥٥) شقيق الخديو عباس حلمي الثاني، ولد بالقاهرة وتعلم بها وبسويسرا وآلت إليه ولاية العهد مرتين الأولى في عهد شقيقه عباس والثانية قيل أن يرنق فاروق ولداً. ورحل إلى سويسرا بعد قيام ثورة ١٩٥٢، وتوفي في (لوزان) وبغداد بالقاهرة. انظر: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء، ج ٦، مرجع سابق، ص ٣٠٦، ٣٠٧.
- ٥١- فؤاد سراج الدين: محمد فؤاد سراج الدين سياسي مصري ولد بمحافظة كفر الشيخ ١٩١٠. حصل على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة عام ١٩٣١، وعمل محامياً، تولى وزارات كثيرة حيث عين وزيراً للزراعة ١٩٤٢، ووزيراً للداخلية ووزيراً للشؤون الاجتماعية (١٩٤٢، ١٩٤٤) ووزيراً للمواصلات ١٩٤٦، ووزيراً للداخلية ١٩٥٠، ثم وزيراً للمالية مع وزارة الداخلية ١٩٥٠ - ١٩٥٢. انظر: الموسوعة العربية العالمية، ج ١٢، ط ٢ (الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩) ص ٢١٦، ٢١٧.
- ٥٢- منصور فهمي (١٨٨٦ - ١٩٥٩): فيلسوف وباحث عربي، ولد بالبحرية وبعد إتمام دراسته الابتدائية والثانوية التحق بمدرسة الحقوق الخديوية، ثم التحق ببعثة الجامعة الأهلية بفرنسا عام ١٩٠٨، فحصل على الدكتوراه من السربون ١٩١٢، وبعد عودته عين سكرتيراً لجمعية الهلال الأحمر، وتولى التدريس بالجامعة المصرية الأهلية عام ١٩٢٠ وعندما أنشئت الجامعة المصرية عين أستاذاً بكلية الآداب ١٩٢٥، ثم عميد الكلية (١٩٣٣ - ١٩٣٦) فمديراً لدار الكتب ١٩٣٦، فمديراً لجامعة الإسكندرية (١٩٤٥ - ١٩٤٦) وكان من أعضاء مجلس إدارة الشبان المسلمين، وعضواً بجمع اللغة العربية وأميناً عاماً لسره. انظر: الموسوعة العربية الميسرة، ج ٤، مرجع سابق، ص ٢٣٤٥.
- ٥٣- عصمت: هو الجنرال عصمت باشا، ولد في أزمير (١٨٨٤)، ودخل الجيش في عام ١٩٠٢، اشترك في الحرب العالمية الأولى في الجبهة السورية، وانضم إلى الكماليين في عام ١٩١٩ واشتهر بتنظيم الجيش الوطني الذي هزم اليونانيين عند محطة اينتوني، واشترك في انتصار سقاريا وكان مندوباً

لتركيا في إمضاء معاهدة لوزان بين تركيا والحلفاء بصفته وزيرا للخارجية، تولى رئاسة الوزراء حتى عام ١٩٣٧، وأنتخب رئيسا للجمهورية التركية في ١١ نوفمبر ١٩٣٨ بعد وفاة أتاتورك. انظر: أحمد عطية الله، القاموس السياسي، مرجع سابق، ص ٥٦.

٥٤- جبخانه: Ciphane = Cephanelik هي مكان حفظ الذروع في الأصل. ثم شمل أيضا مكان حفظ البارود والقنابل والأسلحة والذخائر. انظر: سهيل صابان، مرجع سابق، ص ٨١.

٥٥- الأمير عمر طوسون (١٨٧٢هـ - ١٩٤٤م) ولد في الإسكندرية، ودرس في سويسرا وقام بسياحة في فرنسا وإنجلترا، ثم عاد إلى مصر وتولى إدارة أعماله بنفسه وكان يجيد اللغات التركية والعربية والفرنسية والإنجليزية وهو من المشتغلين بالعلم والأدب والمطالعة في مختلف العلوم واشتهر بحبه لمصر والسودان وبقائه عنهما في كل مناسبة، وهو أول من دعا إلى إرسال وفد من مصر إلى مؤتمر فرساي ١٩١٨ للمطالبة باستقلالها، و توفي بالإسكندرية عام ١٩٤٤. انظر: زكي محمد مجاهد، الأعلام الشرقية، ج ١، مرجع سابق، ص ٤٥، ٤٦.

٥٦- الوسام المجيدي: Macidi نوع من الأوسمة في عهد السلطان عبدالمجيد (١٨٣٩ - ١٨٦١)، وكان أرفع وسام في الدولة العثمانية. حتى استحداث الوسام العثماني. كان له من الرتب: المصم، الأولى، الثانية، الثالثة، الرابعة، الخامسة. انظر: سهيل صابان، مرجع سابق، ص ٢٠٢.

العناوين الجانبية للذكريات

- ١- فقدت المنكرات
- ٢- للمرة الثانية
- ٣- مع الشريف السنوسي
- ٤- مع مصطفى كمال
- ٥- نكريات لامنكرات
- ٦- تأمر المستعمرين
- ٧- جواسيس وضباط
- ٨- يابهيّة خيريني عالي جتل ياسين
- ٩- عندما عينت وزيرا للدفاع
- ١٠- ضباطنا مع الأنفار
- ١١- نكرى قديمة
- ١٢- الخطة مع جندي
- ١٣- ثمن دخولنا الحرب
- ١٤- اجتمعنا في الظلام
- ١٥- الملك يتجسس
- ١٦- يطلبون نفى
- ١٧- جهاد السنوسي
- ١٨- استعداد هزيل
- ١٩- حركة منبوحة
- ٢٠- تقدير خاطئ
- ٢١- مقالب
- ٢٢- انكشف الأمر

- ٢٢- التدبير الثانی
- ٢٤- جعفر يسعى بالوقیعة
- ٢٥- إعلان الجهاد
- ٢٦- الحقیقة المفقودة
- ٢٧- وفشلت المكيدة
- ٢٨- القلب الرابع
- ٢٩- الجنیة
- ٣٠- احتجاج
- ٣١- تحریض على الثورة
- ٣٢- الضحك على الذقون
- ٣٣- سیدی تجلنز
- ٣٤- لأجل مولانا
- ٣٥- لیه كده
- ٣٦- الیوم الفضیل
- ٣٧- حوار مع نوری
- ٣٨- منافسة بین القواد
- ٣٩- بركان ورائی
- ٤٠- المباغطة
- ٤١- اتفاق على ابعادی
- ٤٢- تدفق القوات
- ٤٣- ماذا على أن أفعل؟
- ٤٤- إنهم أعداؤنا؟
- ٤٥- رجولة رجل.
- ٤٦- دعوة إلى الجهاد
- ٤٧- حيلة حریبة
- ٤٨- بینی و بین جعفر

- ٤٩- على أبواب كارثة
٥٠- دموع طيبة
٥١- الموقف ينكشف
٥٢- مع نوري
٥٣- الإمام يشترط
٥٤- في مدرسة السواحل
٥٥- تذكريات الجهاد
٥٦- ماذا أقول للجندى
٥٧- كادت الغواصة تغرق بنا
٥٨- قصتي مع الشبان المسلمين
٥٩- أرادوا إيعادى
٦٠- إلى جنوب إفريقيا
٦١- رشحوا البرنس محمد على
٦٢- أساليب الاستعمار
٦٣- حفاوة بالغة
٦٤- الثورة الكمالية
٦٥- أتعس النتائج
٦٦- وفد من العراق
٦٧- أقبل ولكن بشرط؟
٦٨- ماجئت لأكون ملكا
٦٩- الفصل الجديد
٧٠- المرور على الجبهة
٧١- معركة نهر سقاريا
٧٢- النصر لنا
٧٣- فى كلية أركان الحرب
٧٤- إلى الأراضى الحجازية

- ٧٥- وعدت إلى مصر
- ٧٦- نص فرمان الشريف السنوسي بتعييني قائداً عاماً للجيش السنوسي
- ٧٧- عندما رفعنا العلم المصري على السلوم
- ٧٨- إحياء مؤامرة الإنجليز
- ٧٩- المأساة توشك أن تتكرر
- ٨٠- عندما هبوا مذهولين

ملاحق الصور



صورة تذكارية للواء محمد صالح حرب وزير الدفاع

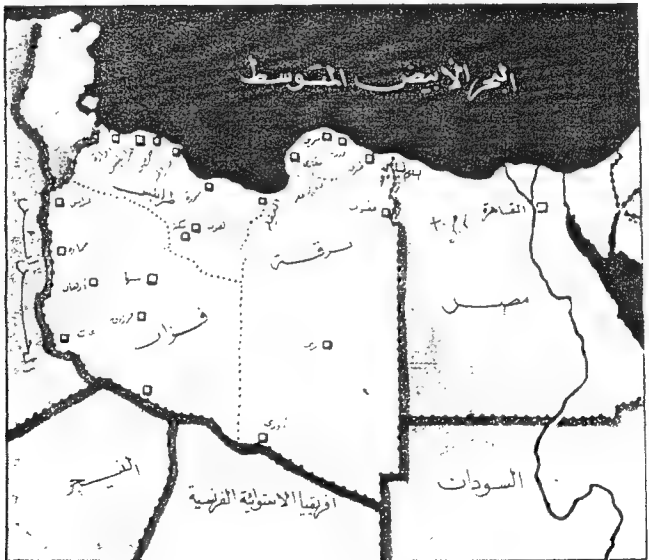


اللواء صالح حرب يستطلع بعض المواقع الاستراتيجية في الصحراء الغربية



صورة تذكارية للسيد السنوسي أخذت سنة ١٩٢٣ في القدس وإلى يمينه الشيخ محمد الروبي

والحاج أمين الحسيني وإلى يساره الأمير سعيد الجزائري





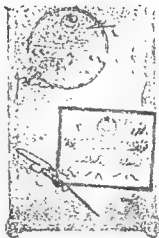
اللواء محمد صالح حرب



اللواء محمد صالح حرب في الزى العربي الذي أهده له الإمام السنوسي



مسيرة التوسعة بادوة
للمجاهد البطل محمد صالح
حرب عندما كان في تركيا



صليحة من جوائز
اللواء محمد صالح حرب
عندما كان في تركيا



الفقرى مصطفى كمال
أتاتورك ولقد أخذت هذه
الصورة عام ١٩٢٣



اللواء محمد صالح حرب في صدر شبابه



البيكاشي محمد صالح حرب



صورة تاريخية للإمام المجاهد السيد أحمد السنوسي



السيد أحمد الشريف السنوسي
ويقف بجانبه صالح باشا حارب بالبدلة العسكرية

بر بیکم شریف محمد علی بابا
صفت و بیکم اراد و بیکم بابا
مک و نام و بیک و بیک
مک و نام و بیک و بیک
مک و نام و بیک و بیک
مک و نام و بیک و بیک

هذه الصفحة من جواز سفر اللواء محمود صالح
حرب يوسف . . . ومحل تاريخ ميلاده الم
جانب بغير المستندات الأخرى . . .



صفحة من جواز سفر اللواء محمد صالح حرب عندما كان في تركيا



يستقبل اللواء محمد صالح حرب الرئيس العام لجمعية الشبان المسلمين داتما ضيوف الوطن العربي والعالم الإسلامي، ويرى سيادته وهو يتحدث إلى زعيم مسلمي الكونغو



كان بين الدكتور على ماهر واللورد كليرن حب مفقود ومع ذلك فقد اتسم ماهر وانغنى العملاق البريطاني..

من ملحقه ضاحية الخفائية

- 91- الأداة الحكومية..... إبراهيم مذكور - مريت غالى
- 92- تراث العرب العلمى..... قلدرى حافظ طوقان
- 93- المسحراتى..... محمد خطاب
- 94- رسالة عن السودان..... البكاشى أ.ح / محمد نجيب
- 95- من زاوية القاهرة..... محمد شفيق غربال
- 96- حضارة الإسلام فى دار السلام..... جميل نخلة المدور
- 97- فى الأدب المصرى..... أمين الخولى
- 98- علم التاريخ..... هرنشو - ت. عبد الحميد العبادى
- 99- قصة الفكر الغربى أفكار ورجال..... كرين برنتن - ت. محمود محمود
- 100- المدنية والإسلام..... محمد فريد وجدى
- 101- الأبطال..... توماس كارليل - ت. محمد السباعي
- 102- ١١ يولييه وضرب الأسكندرية..... عباس محمود العقاد
- 103- حياة محمد (ص)..... إميل درمنغم
- 104- قناة السويس ج ١..... د. مصطفى الحفناوى
- 105- قناة السويس ج ٢..... د. مصطفى الحفناوى
- 106- قناة السويس ج ٣..... د. مصطفى الحفناوى
- 107- قناة السويس ج ٤..... د. مصطفى الحفناوى

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلي سابقاً)

لقد كان محمد صالح حرب متعدد الادوار فقد شارك في جبهات المقاومة والجهاد الإسلامى، فضلا عن دوره الوطنى فى مصر قبل الحرب وبعدها .. ومن هنا اكتسبت شخصيته أهميتها التاريخية، ليس فقط من خلال دوره الوطنى والقومى الذى قام به فى دعم وتأيد حركة الجهاد الليبى ضد الغزو الايطالى، ثم نضال الحركة القومية التركية (1911 - 1924)، كما اكتسبت هذه الشخصية أهمية أخرى عندما انتخبت عضوا بمجلس النواب المصرى (1926 - 1930) وهناك استطاع أن يثير ويناقش عددا من القضايا الوطنية خاصة ما يتعلق بالجوانب العسكرية مثل ضرورة تأمين الصحراء المصرية، وتسليح الجيش المصرى وتحديثه، والمطالبة بإلغاء الامتيازات الأجنبية...

والواقع أن القضايا التى أثارها، مع خلفيته العسكرية وخبرته فى ميادين القتال، قد اهلتة لكى يعين وزيرا للدفاع الوطنى فى وزارة علي ماهر (1939 - 1940) حين أخذ على عاتقه مهمة تطوير الجيش المصرى وتحديثه ، والتصدى لنفوذ البعثة العسكرية البريطانية وتثبيت أقدام العناصر الوطنية المصرية فيه، فضلا عن محاولته مع علي ماهر تجنب مصر ويلات الحرب العالمية الثانية، وهى السياسة التى أدت الى صدامه مع الإنجليز، والثابت أن نشاطه مع عزيز المصرى قد أثار الشعور الوطنى داخل الجيش، خاصة لدى فئات الضباط الذين شكلوا فيما بعد خلايا الضباط الأحرار وقادوا ثورة 23 يوليو 1952 .

Bibliotheca Alexandrina



0751617

www.culturepalaces.com.eg

www.gocp.gov.eg

www.qatreinada.com.eg

www.alithaqafahigadidah.com.eg

www.odabaaelaaqaleem.com.eg

تصميم الغلاف : فكرى يونس

التمن : ثلاثة جنهيات